

بستان العارفين

للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي
(٦٣١ - ٦٧٦هـ)

حققه وعلق عليه
محمد الحجار



دار البشائر الإسلامية

قوبلت هذه الطبعة على
طبعة قديمة من كتب الجامعة في
المدينة المنورة فحصل بعض تعديلات


بستان العارفين

الطبعة السادسة
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
بيروت - لبنان ص ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

* الحمد لله وليِّ التوفيقِ، ومُهْدِي مَنْ اسْتَهْدَاه لأَقْوَمِ الطّريقِ،

* وَالصَّلاَةُ والسَّلامُ عَلَىٰ سيِّدنا محَمَّدٍ سَيّدِ الدّاعينَ، وإمامِ الهَادِينَ،

* ورَضِيَ اللّٰهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الغُرِّ الْمَيَامِينَ، وَسَلَّم تَسْلِيماً كثيراً!!

وبعد:

* فَمِنْ نِعْمَةِ اللّٰهِ عَلَيْنَا مَعْشَر الْمُؤمنينَ، تَسْهِيْلُ طُرُقِ الْهِدَايَةِ، وَفَتْحُ أَبْوَابِ العِلْمِ:

* بِتَسْخِيرِهِ لنا هَذِهِ الْطِبَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ، الَّتِي تُظْهِرُ الْكُتُبَ الدّارِسَةَ مِن العَدَمِ، وَتكْشِفُ مَا انْدَرَسَ مِنْ كَلاَمِ الأَوَائِلِ مِنْ أَحْكَامٍ وَحِكَمٍ!!

* الَّذِيْنَ وَضَعُوا لِلْمُسْلِمِينَ مناراً وَاضِحاً لِكُلِّ مُسْتَنِيرٍ!!

* وَنَصَبُوا لنا عَلَماً لا عِوَجَ فِيه، وَلاَ أَمْتاً، مَنْ تمسَّكَ بِهِ وَصَلَ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وهَلَكَ!!

* فَألَّفوا لنا الكُتبَ والرسَائلَ، وبيَّنوا مَا فِيها مِنَ الفَضَائل . . . !

* وَأَسْتَاذُ مَنْ أَلَّفَ وَكَتَبَ، إمَامُنا وَمُرْشِدُنَا يَحْيـىٰ بنُ شَرَفِ النَّووي رَضيَ اللّٰـهُ عَنْهُ وَنفَعَنا بِه:

* المُحَدِّثُ الكَبيرُ، والمُحَقِّق النِّحريرُ، وَالنَاصِـحُ الأَمِينُ!!

* الذي فَاقَ أَهْلَ زَمانِهِ: عِلْماً، وَزُهْداً، وَوَرَعاً، واتباعاً . . . !

* وَهَا أَنَا ذَا! أَفْتَتِح بِكِتابه بُسْتَان الْعَارِفينَ بِبَعْضِ مَا نُقِلَ عَنْهُ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ طَيّبَةٍ وَأَثَر، وَمَا كُتِبَ مِنْ أَحْوالٍ صَحِيحَةٍ وخَبَرْ!

* وإنْ كان هو أشْهَرُ مِنْ أَنْ يُشْهَر، وَأَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُعرَّف، وَلَكِنْ حَدِيثُهم حقّاً لا يُمَلُّ، وَذِكْرُهُمْ دَوَاءٌ لِكُلّ هَمٍّ وَغَمٍّ . . . !

وللّهِ دَرُّ القائل:

* كَرِّرْ عَليّ حَدِيثَهم يَا حَادي

فحديثهم يَجْلُو الْفُؤَادَ الصَّادِي

نزيل المدينة المنورة
محمّد محمود الحجّار

التَّعْرِيف بالإِمَام النَّووي

نسبه ، مولده ، اشتغاله بالعلم ، حرصه عليه

* فأقول نقلاً عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي مع اختصار بعض العبارات :

نَسَبُهُ :

* هو الإِمام، الحافظُ الأَوحَدُ، القدوةُ، شيخُ الإِسلام، عَلَمُ الأَولياء، محيي الدِّين، أبو زكريا، يحيىٰ بنُ شرف، بن مَري، الخزامي، الحوراني، الشافعي صاحبُ التصانيفِ النافعة.

مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ :

* ولد في المُحرم سنةَ إحدى وثلاثين وستمائة، وقَدِمَ دمشقَ، سنةَ تسعٍ وأربعين وستمائة!!

* فسكن في الرواحية يتناولُ خبزَ المدرسة، فحفظ التنبيهَ في أربعة أشهر ونصف!!

* وقرأ ربعَ المهذب حِفْظاً في باقي السنة علىٰ شيخه الكمالِ بنِ أحمدَ!!

* ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة المنورة شهراً ونصفاً، ومرض أكثرَ الطريق.

* فذكر شيخُنا أبو الحسن بنُ العطار، أن الشيخَ محيـي الدِّين ذكر له أنه كان يقرأ كلَّ يومٍ اثني عشر درساً تقريباً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً:

* ١ ــ درسين في الوسيط.
* ٢ ــ ودرساً في المهذب.
* ٣ ــ ودرساً في الجَمْع بينَ الصحيحين.
* ٤ ــ ودرساً في صحيح مسلم.
* ٥ ــ ودرساً في اللُّمَع لابن جني.
* ٦ ــ ودرساً في إصلاح المنطق.
* ٧ ــ ودرساً في التصريف.
* ٨ ــ ودرساً في أصول الفقه.
* ٩ ــ ودرساً في أصول الدِّين.

قال: وكنت أعلِّق جميعَ ما يتعلق بها من شرح مشكلٍ، وتوضيح عبارةٍ وضبطِ لغةٍ..!

وبارك الله تعالىٰ في وقتي...!

* وخطر لي أن أشتغل في الطب فاشتغلتُ في كتاب القانون، فأظلم قلبـي، وبقيتُ أياماً لا أقدر على الاشتغال به، فأشفقتُ علىٰ نفسي، وبعت القانون فنارَ قلبـي[1].

---

(١) **أقول:**

* إن الله تعالى قد أفرد المؤلف لخدمته، واجتباه لمحبته، وسخّره لحمل شريعته، وهي من أشرف الخدَماتِ، لأن الطبَّ تعلُّقه بالأبدان، وما عليه الشيخ تعلقه بالأرواح، وشتان بينهما. اهـ محمد =

شُيُوخُهُ:

* سمع من الرّضِيِّ بنِ البرهان، وشيخِ الشيوخ عبدِ العزيز بن محمد الأنصاري، وزينِ الدِّين بنِ عبد الدّائم، وعمادِ الدِّين عبدِ الكريم الخرستاني، وزينِ الدِّين خلف بنِ يوسف، وتقي الدِّين بنِ أبي اليسر، وجمال الدِّين بن الصيرفي، وشمس الدِّين بن أبي عمر وطبقتهم.

* وسمع الكتبَ الستةَ، والمسندَ والموطأ، وشَرْحَ السنَّةِ للبغوي، وسننَ الدارقطني وأشياءَ كثيرةً.

* وقرأ الكمالَ للحافظ عبدِ الغني علاء الدِّين، وشرح أحاديث الصحيحين على المحدث ابن إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي، وأخذ الأصول عن القاضي التفليسي.

* وتفقَّه على الكمال إسحاق المعري، وشمس الدِّين عبد الرحمن بن نوح، وعز الدِّين عمر بن سعد الإربلي، والكمال سلار الإربلي.

* وقرأ اللغةَ على الشيخ أحمد المصري وغيرِه.

* وقرأ على ابن مالك شيئاً من تصنيفه.

* ولازمَ الاشتغالَ، والتصنيفَ، ونَشْرَ العلم، والعبادةَ، والأورادَ، والصيام، والذكر، والصبر على المعيشة الخشنة في المأكل، والملبس، ملازمةً كليةً لا مزيدَ عليها!!

* ملبسُه ثوبُ خامٍ، وعمَامَتُه سبجلانية صغيرة.

تَلَامِيذُهُ:

* تخرَّج على يديه جماعةٌ من العلماء منهم:

* الخطيب صدرُ الدِّين سليمان الجعفري، وشهاب الدِّين الإربدي، وعلاء الدِّين ابن العطار، وحدَّث عنه ابن أبي الفتح، والمزني، وابن العطار. . .

اجْتِهَادُهُ، وَحِفْظُهُ، وَزُهْدُهُ:

قال ابن العطار:

* ذكر لي شيخُنا ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ، أنه كان لا يَضيعُ له وقتٌ: لا في ليل ولا في نهارٍ حتَّى في الطريق. . . !

* وأنه دام ستَ سنين، ثم أخذ في التصنيف، والإفادة، والنصيحة، وقول الحق.

* **قُلْتُ**: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه، والعملِ بدقائق الورع والمراقبة، وتصفية النفس من الشوائب، ومَحْقِها من أغراضها!!

* كان حافظاً للحديث وفنونه، ورجاله، وصحيحه، وعليله، رأساً في معرفة المذهب.

قال شيخُنا الرشيدُ بن المعلم:

* عذلتُ[1] الشيخَ محيي الدِّين في عدم دخوله الحمام،

---

(١) **العذل:**

* الملامة، وقد عذله من باب نصر. والاسم: العَذَل، بفتحتين.

اهـ مختار

وتضييق العيش في مأكله، وملبسه، وأحواله، وخَوَّفته من مرض يُعطله عن الاشتغال **فقال:**

إنَّ فلاناً صام وعَبَدَ الله حتَّى اخضرَّ جلدُه.

* وكان يمتنع من أكل الفواكه والخيار، **ويقول:**

أخاف أن يُرطِّبَ جسمي، ويجلبَ النوم!

* وكان يأكل في اليوم والليلةِ أكلةً، ويشرب شَرْبَةً واحدة عند السحر!

قال ابن العطّار:

* كلَّمتُه في الفاكهة **فقال:**

دمشق كثيرةُ الأوقاف، وأملاكٌ مِنْ تحت الحَجْر، والتصرفِ لهم، ولا يجوز إلاَّ على وجه الغبطة لهم، ثم المعاملةُ فيها علىٰ وجه المساقاة[1] وفيها خلافٌ فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟؟

* وقد جمع ابنُ العطار سيرتَه في ست كراريس.

---

(١) المساقاة:

* هي عقدٌ يتضمنُ معاملةَ الشخصِ غيرَه علىٰ شجر عنبٍ أو نخيلٍ، ليتعهدَه بسقي وتربية علىٰ أن له قدراً معلوماً من ثمره...!

وأما المزارعة:

* فهي معاملةٌ علىٰ أرضٍ ببعض ما يخرج منها ــ والبذرُ من المالك ــ.

* وهي جائزة في بياض بينَ نخل وشجر وعنب، تبعاً للمساقاة بشرط اتحاد عقد وعامل.

* فهذه عقود فيها دقة ولصحتها شروطٌ، وخلافٌ بينَ العلماء؛ ولذلك لم تطب نفس الإمام ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونفعنا به ــ فتورع عن الأَكل منها تحرجاً. اهـ.

تَصَانِيفُهُ :

من تصانيفه :

* ١ ــ شرحُ صحيح مسلم .
* ٢ ــ ورياضُ الصالحين .
* ٣ ــ والأَربعين .
* ٤ ــ والإِرشادُ في علوم الحديث .
* ٥ ــ والتقريبُ .
* ٦ ــ والمبهماتُ .
* ٧ ــ وتحريرُ الأَلفاظِ للتنبيه .
* ٨ ــ والعمدةُ في تصحيح التنبيه والإِيضاحُ في المناسك، وله ثلاثة مناسك سواه .
* ٩ ــ والتبيان في آداب حملة القرآن .
* ١٠ــ والفتاوى[١] .
* ١١ــ والروضة أربعة أسفار .
* ١٢ــ وشرح المهذب إلىٰ باب المصرَّاة[٢] في أربع مجلدات .

---

(١) * فقد أكرمني الله لخدمة هذين الكتابين، أعني: التبيانَ، والفتاوىٰ، من حيث الطباعةُ الحديثة، والترتيبُ الحسن، معَ بعض التحقيقات الطفيفة، والإِضافاتِ اللطيفة!! نحمده سبحانه علىٰ توفيقه، ونسأله السداد، وحسن الختام.

اهـ محمد

(٢) * من عادة العرب أن تَصِرَّ ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعىٰ سارحة.

* ويسمون ذلك الرباط صراراً، فإذا راحتْ عشيًّا حُلِبت تلك الأَصرةُ . =

* ١٣ـ وشرح قطعة من البخاري وقطعة من الوسيط، وعمل قطعة من الأَحكام، وجملاً كثيرة من الأَسماء واللغات، ومُسوَّدة في طبقات الفقهاء ومن التحقيق إلى باب المسافر.

وَرَعُهُ:

* كان لا يقبل من أحد شيئاً إلاَّ في النادر ممن لا يشتغل عليه، أهدىٰ له فقير إبريقاً فقبله.

* وعزم عليه الشيخُ برهان الدِّين الإِسكندراني أن يُفْطِر عنده فقال:

* أحضرِ الطعام ونُفْطِر جملة فأكل من ذلك، وكان لونين، وربما جمع الشيخ بعض الأَوقات بين إدامين.

= **ومنه الحديث:**

«لا يَحِلُّ لرجلٍ يؤمنُ بالله واليومِ الآخر أن يُحِلَّ صِرارَ ناقةٍ بغيرِ إذن صاحبها، فإنه خاتم أهلها».

* وقد تكون ضرباً من الغِشِّ إذا تُركت من غير حلب فترةً من الزمن ثم عرضت للبيع للحديث:

«لا تَصِرّوا الإبلَ والغنمَ للبيع، فَمن ابْتَاعَها بعدَ ذلك فهو بخير النظرين من بعد أَنْ يَحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطَها ردَّها وصاعاً من تمر». متفق عليه.

وفي رواية:

* «مَن اشْتَرىٰ شاةً مُصراة فهو بالخيار ثلاثةَ أيام فإنْ ردَّها ردَّ معها صاعاً من تمر».

رواه مسلم

* **المُصَرَّاة**: اسمُ مفعول، من صرَّه إذا جمعه، وهي شاة أو ناقة أو بقرة مثلاً: يُجمع لبنُها في الضرع من دون حَلْب فيكثر، فيراها المشتري فيظن أنها كريمةٌ!

* فإذا حلبها ثم جاء وقت الحلب لم يجدها كما اشتراها:

* فله ردُّها مع صاع تمر عوضَ اللبن، قلَّ أو كثر.

اهـ. من حسن الأَثر

مَوَاقِفُهُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ :

* وكـان يواجـه الملـوكَ، والظَّلَمَـةَ بالإنكـار، ويكتب إليهم، ويخوفهم بالله تعالىٰ!!

كتب مرةً: مِنْ عبد الله يحيـى النووي :

* سلامُ الله ورحمتُه وبركاتُه على المولى المحسن: ملِكِ الأُمـراء، بـدرِ الدِّين، أدام الله لـه الخيراتِ! وتـولاه بالحسنات! وبلَّغه من خيـرات الدنيـا والآخـرة كـلَّ آمالِـه! وبـاركَ لـه فـي جميـع أحواله آمين!!

* إن أهلَ الشام في ضيق، وضَعف حالٍ بسبب قلةِ الأَمطار، وذكر فصلاً طويلاً، وفي طي ذلك ورقةٌ إلى الملك الظاهرِ، فردَّ جوابها ردًّا عنيفاً مؤلماً، فتكدَّرت خواطر الجماعة.

* وله رسالة لغير الملك الظاهر في الأَمر بالمعروف.

* وكان شيخنا ابن فرح يشرح على الشيخ الحديث فقال نوبة :

الشيخ محيـي الدِّين قد صار إلىٰ ثلاث مراتب: كلُّ مرتبةٍ لو كانتْ لشخصٍ لَشُدَّت إليه الرحال:

* ١ ــ العلم.

* ٢ ــ والزهد.

* ٣ ــ والأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

وَفَاتُهُ:

* سافر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فزار بيتَ المقدسِ، وعاد إلى نوىٰ فمرض عند والده!

* فحضرته المنيةُ فانتقل إلىٰ رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ستٍ وسبعين وستمائة!!

* وقبره ظاهر يُزار، قاله الشيخ قطب الدِّين اليونيني **وقال:**

* كان أوحَدَ زمانه في العلم، والورع، والعبادة، والتقلل، وخشونةِ العيش!!

* ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى[1].

* وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها.

* وذكر أبوه ـ رحمه الله تعالى ـ أن الشيخ كان نائماً إلى جانبه، وقد بلغ من العمر سبَع سنين، ليلةَ السابع والعشرين من شهر رمضان، فانتبه نحوَ نصفِ الليل **وَقَال:**

* يا أبتِ! ما هذا الضوءُ الذي يملأ الدار؟

* فاستيقظ الأَهل جميعاً، قال: لم نر كلُّنا شيئاً.

* قال والده: فعرفت أنها ليلةُ القدر.

---

(١) الوفاة ٦٧٦، الولادة ٦٣١، عمره ٤٥.

* وقال شيخه في الطريق الشيخ ياسين بنُ يوسف الزركشي:

رأيت الشيخَ محيي الدِّين وهو ابنُ عشرِ سنين بنوى والصبيان يُكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي حبُه!.

* وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغلُ بالبيع والشراء عن القرآن.

* **قَالَ:** فأتيت الذي يُقرئه القرآنَ فوصَّيته به **وقلت:**

* هذا الصبي يُرجَىٰ أن يكون أعلمَ أهلِ زمانه، وأزهدَهم، وينتفع الناسُ به.

* فقال لي: مُنَجِّمٌ أنت؟.

فقلت:

لا وإنَّما أنطقني اللَّهُ بذلك، فذكر ذلك لوالده فحَرِص عليه إلىٰ أن ختم القرآنَ وقد ناهز الاحتلامَ؛ ـ رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه، ونفعنا به وبعلومه آمين.

نزيل المدينة المنورة
الفقير إليه تعالى
محمد محمود الحجار



للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

(٦٣١ - ٦٧٦ هـ)

حققه وعلق عليه

محمد الحجار


وما توفيقي إلا بالله
١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

* الحمد لله الواحدِ القهارِ، العزيزِ الغفَّارِ، مُقدِّرِ الأَقدارِ، مصرِّفِ الأُمور!

* مكَوِّرُ[1] الليلِ على النهار!! تبصرةً لأَولي القلوب والأَبصار!

* الذي أيقظ مِنْ خَلْقِه مَن اصطفاه!! فأدخلَه في جملة الأَخيار!

* وفَّقَ مَنْ اختار مِنْ عبيده فجعلَه من الأَبرار!!

* بصَّر مَنْ أحبَّه للحقائق!! فزهدوا في هذه الدار...!

* فاجتهدَ في مرضاته، والتأهُّبِ[2] لدار القَرارِ، واجتنابِ ما يُسخطه، والحذرِ مِن عقاب النار...!

---

(١) تكوير الليل:

* تغشيته، أي يُدخله على النهار، وأصله من تكوير العمامة وهو لفها.

اهـ لسان العرب

(٢) التأهب:

* الاستعدادُ، جَمَعَ الضميرَ في زهدوا مراعاة لمعنى مَنْ، وأفرده في أحبه مراعياً لفظَها، هذا أسلوبٌ من أساليب البلاغة ولها نظائر في كلام الله، وكلام العرب.

اهـ محمد

* أحمدُه حمداً علىٰ نَعمائه، وأسألُه المزيدَ مِنْ فضله وكرمه!!

* وأشهدُ أن لاَ إلـٰهَ إلاَّ الله إقراراً بوحدانيته، واعترافاً بما يجبُ على الخلق كافةً من الإذعان لربوبيته!!

* وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولـه، وحبيبُه المصطفىٰ من خليقته!!

* وأكرمُ الأَولينَ والآخِرين من بريَّته[1]!!

* أكرمُ الخلق، وأزكاهم، وأكملُهم وأعرفهم بالله تعالىٰ وأخشاهم، وأعلمُهم به وأتقاهم!!

* وأشدُّهم اجتهاداً، وعبادةً، وخشيةً، وزهادةً...!

* وأعظمُهم خُلُقاً، وأبلغُهم بالمؤمنين تلطُّفاً ورفقاً!!

* صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى النبيين، وآل كلٍّ، وصحابتهم أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين كلما ذكره الذاكرون وغفلَ عن ذكره الغافلون.

أما بعد!!

فإنَّ الدنيا:

* دارُ نفادٍ لا دارُ إخْلادٍ، ودارُ عبور لا دار حبور[2].

---

(١) البريَّة: المخلوقات.

(٢) الحبور:

* النعمةُ وسعةُ العيش، ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]، وقولُه: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

* ودار فناء لا دار بقاء، ودارُ انصرام لا دار دوام!!

* وقد تطابقَ علىٰ ما ذكرْتُه دلالاتُ قواطعِ النقولِ، وصحائحُ العقولِ!!

* وهذا ما استوى في العلم به الخواصُّ والعوامُّ، والأَغنياء والطَّغام[1]!!

* وقضىٰ به الحسُّ والعَيان، حتَّى لم يقبل الوضوحةَ إلى زيادةٍ في العرفان:

وَلَيسَ يَصِحُّ فِي الأَسْمَاعِ شَيءٌ
إِذَا احْتَاجَ النهارُ إِلى دَلِيل

* ولما كانتْ الدنيا بالحال التي ذكرتُها، والعظةِ التي قدمتُها، جاء في القرآن العزيز من التحذير من الركون إليها، والاغترار بها، والاعتمادِ عليها، ما هو أعرفُ مِنْ أَنْ يُذكَر، وأشهرُ مِنْ أَنْ يشهرَ. . . !

* وكذلك جاءت الأَحاديث النبوية، والآثار الحِكَمِيَّةُ، فلهذا كان الأَيقاظُ من أهلها العُبَّاد، وأعقلُ الناسِ فيها الزُّهَّاد[2]. . .

---

(١) الطغام:
* هم أوغاد الناس، الواحدُ والجمع فيه سواء، والوغد: هو الرجل الذي يخدم بطعام بطنه. . .!

اهـ مختار

(٢) المراد من الزهاد:
* الجماعة الذين لم تستول الدنيا على قلوبهم، ولم يدفعهم الطمعُ إلى الإضرار بالناس، أو اختلاس أموالهم، والاستيلاء عليها بغير الطريق المشروع. =

= * والذي وصف حقيقةَ الزهدِ بشكله الواضحِ، الصحابـيُّ الجليلُ:
حارثةُ **رضيَ اللّه تعالىٰ عنْه:**

حديثه العظيم:

* عن أنس بنِ مالك ــ **رضيَ اللّه تعالى عَنْه** ــ **قال:** بينما رسولُ الله ﷺ يمشي إذ استقبله شابٌ من الأنصار، **فقال له عَليْه الصَّلاة والسَّلامُ:**

* كيف أصبحتَ يا حارثة؟

* **قال:** أصبحتُ مؤمناً بالله حقاً. . . !

فقَال عَليْه الصَّلاة والسَّلامُ:

«انظر ما تقول! فإن لكل قول حقيقةً، فما حقيقةُ ما تقول؟».

* **فقال:** يا رسول الله! عَزفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري فكأني بعرش ربـي بارزاً، وكأني أَنظرُ إلىٰ أهل الجنةِ يتزاورونَ فيها، وكأني أنظرُ إلىٰ أهل النار يتعاوَون فيها.

فقال عَليْه الصَّلاة والسَّلام:

«أبصرتَ فالزم، عبدٌ نوَّر اللّـهُ الإيمانَ في قلبه». . . !

* **فقال:** يا رسول الله! أدعُ لي بالشهادة!

* فدعا له، فقُتِلَ يومَ بدر شهيداً، فجاءت أمه إلى النبـي ﷺ **فقالت:**

* قد علمتَ يا رسول الله منزلةَ حارثةَ مني فإنْ يكنْ في الجنة أصبر؟ وإنْ لم يكن في الجنة تُرىٰ ما أصنع؟

فقال لها عَليْه الصَّلاة والسَّلام:

«أوَ هَبِلْتِ أجنَّةٌ هي؟ إنها جنانٌ، وإنَّ ابنك أصاب الفردوسَ الأَعلىٰ».

فرجعت وهي تضحك وتقول:

* بخٍ بخٍ يا حارثة. . . !

أخرجه الطبراني والبزار وغيرُهما. . . !

* فهذا هو الزهد، وهذه أماراته وعلاماته. . . !

. . . .

* * *

= فلو أوصى إنسانٌ بأن تُنفقَ وصيتُه لأَعقل الناس، لكان الزاهدُ أحقَّ بها. . . !

* فكمالُ العقلِ بالعزوف عن الدنيا، ونقصانُه بالرغبة فيها؛ فالزهادُ أعقلُ الناس

ولله درّ القائل:

* دَعِ الحرصَ على الدنيا
وفي العيشِ فلا تَطْمَعْ

* فلا تجمعْ من المالِ
فما تدري لمن تجمَعْ

* فإنّ الرزقَ مقسومٌ
وسوءُ الظنّ لا ينفعْ

* فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ
غنيٌّ كلُّ من يقنَعْ

أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الدُّنْيَا

وَلَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ فِي وَصْفِهَا:

* انْظُرْ إِلَى الأَطْلَالِ[1] كَيْفَ تَغَيَّرَتْ
مِنْ بَعْدِ سَاكِنِهَا وَكَيْفَ تَنَكَّرَتْ

* سَحَبَ البِلَى أَذْيَالَهُ بِرُسُومِهَا
فَتَسَاقَطَتْ أَحْجَارُهَا وَتَكَسَّرَتْ

* وَمَضَتْ جَمَاعَةُ أَهْلِهَا لِسَبِيلِهِمْ
وَتَغَيَّبَتْ أَخْبَارُهُمْ وَتَنَكَّرَتْ

* لَمَّا نَظَرْتُ تَفَكُّرًا لِدِيَارِهِمْ
سَحَّتْ[2] جُفُونِي عَبْرَةً وَتَحَدَّرَتْ

* لَوْ كُنْتُ أَعْقِلُ مَا أَفَقْتُ مِنَ البُكَا
حَسْبِي هُنَاكَ وَمُقْلَتِي مَا أَبْصَرَتْ

* نَصَبَتْ لَنَا الدُّنْيَا زَخَارِفَ حُسْنِهَا
مَكْرًا بِنَا وَخَدِيعَةً مَا فَتَرَتْ

* وَهِيَ الَّتِي لَمْ تَحْلُ قَطُّ لِذَائِقٍ
إِلَّا تَغَيَّرَ طَعْمُهَا وَتَمَرَّرَتْ

---

(١) **الأطلال**: ما بقي من آثار الديار.

(٢) **سَحَّت**: سالت.

* وَقَابَةً سَلَّابَةً لِهِبَاتِهَا
طَلَّابَةً لِخَرَابِ مَا قَدْ عَمَّرَتْ

* وَإِذَا بَنَتْ أَمْرًا لِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ
نَصَبَتْ مَجَانِقَهَا عَلَيْهِ فَدَمَّرَتْ

وَقَالَ آخَر:

* وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسُرُّهُ
فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا

* إِذَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً
وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومُهَا

* * *

بَيَانُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الكِتَابُ

* فإذا عُلم ما ذَكرتُه، وتقرر ما وصفتُه، كان حقًّا على الإنسان أن يسلك طريقَ العقلاء، ويذهب مَذْهَبَ البُصَرَاء!!

* فنسألُ اللّٰهَ الكريمَ، الرؤوفَ الرحيمَ، أنْ يمنَّ علينا بذلك ويَهدِيَنا إلىٰ أرشد المسالك...!

* وها أنا شارعٌ في جمع كتابٍ يكونُ مبيناً لسلوك الطريقِ التي قدَّمتُ، وسبيلاً إلى التخلق بالأَخلاق الجميلة التي وصفت!!

* أذكر فيه ــ إن شاء الله تعالىٰ ــ جُمَلاً من نفائس اللطائف، وحقائق المعارف...!

* وأنثرُ ما أذكرُه فيه نَثْراً، ليكونَ أبعدَ لمُطالِعه عن المَلَل، وأقربَ للذكرىٰ..

* ولا ألتزمُ فيه ترتيبَه على الأَبواب، فإن ذلك مما يجلب المللَ للناظر في الكتاب...!

* وأذكر فيه ــ إن شاء الله تعالىٰ ــ من الآيات الكريماتِ والأَحاديثِ النبويات، وأقاويلِ السلف المنيرات، ومستجادِ[1] المأثور عن الأَخيار:

---

(١) المستجاد:

* الجيدُ المطلوبُ، والمستحسنُ المحبوب.

* من عيون الحكايات، والأَشعار المستحسنة الزُّهديات!!

* وأبيِّن ـ في أكثر الأَوقات ـ صحةَ الأَحاديثِ، وحُسْنَها، وحالَ رواتها، وبيانَ ما يُخفىٰ ويُشْكِلِ من معانيها. . . !

* وأضبط ما يحتاج إلىٰ تقييد حذراً من التصحيف[1]، وفراراً من التغيير والتحريف[2]. . . !

* ثم إني قد أذكرُ ما أذكرُه بإسنادي فيه، لكونه أوقعَ في نفوس مطالعيه!!

* وقد أحذفُ الإِسناد للاختصار، وخوفاً من التطويل والإِكثار، ولكون هذا الكتابِ موضوعاً للمتعبدين، ومَنْ ليسوا إلىٰ معرفة الإِسناد بمحتاجين؛ بل يكرهونه معظمَ الحالاتِ، لما يلحقُهم بسببه من السآمات[3]!!

* وأَكثرُ ما أذكُره مما أرويه ـ بحمد الله وفضله ـ بالأَسانيد المشهورةِ المعروفة من الكتب الظاهرة المتداوَلةِ المعروفة.

---

(١) التصحيف:

* هو تغيير اللفظ، ليتغير المعنى. . . !

وغالبُ التصحيفِ:

* يكون من الصَّحَفيين بفتحتين نسبةٌ إلى الصحيفة المكتوبة، لأَنه يؤخذ العلم منها دون المشايخ!

اهـ من النسخة القديمة

(٢) التحريف:

* هو تغيير الحرف عن معناه، والكلمةِ عن معناها مع قرب الشبه.

(٣) السآمة: الملَلُ.

* وإذا كان في الحديث، أو الحكاية لفظةُ لغةٍ، أو اسمُ شخصٍ قيدتها، وأوضحتُها بالضبط المحكم وأتقنتها. . . !

* وما أحتاجُ فيها إلىٰ شرحٍ شرحتُه، وما كان مُعَرَّضاً لأَن يُغلَّطَ في معناه بيَّنته. . . !

* ويندرجُ في ضمن هذا الكتاب ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ أنواعٌ من العلوم الشرعية، وجملٌ من لطائفها الحديثية، والفقهية، والآدابِ الدينية!!

* وطُرَفٌ مِنْ علمِ الحديث، ودقائقِ الفِقْه الخفية، ومهماتٌ من أصول العقائدِ، وعيونٌ من نفائس القواعد. . . !

* وغرائبُ لطيفةٌ مما يُستحسنُ في المذكورات، ويُستحبُّ ذكرُه في مجالس الجماعات، ومعارفِ القلوب، وأمراضِها، وطِبِّها، وعلاجها. . . !

* وربما يَجيءُ شيءٌ يحتاجُ إلىٰ بسطٍ لا يحتمله هذا الكتابُ، فأذكرُ مقصودَه مختَصراً، أو أحيلُ بسطَ شرحِه إلىٰ كتاب بعض العلماء، ذوي البصائر والألباب. . . !

* وربما أحلتُه علىٰ كتابٍ صنَّفته أنا ولا أقصد بذلك ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ التبجحَ والافتخار، ولا إظهارَ المصنَّفاتِ والاستكثار؛ بل الإرشادَ إلى الخير والإشارةَ إليه، وبيانَ مظنته[1] والدلالة عليه.

---

(١) المظنة:

* بكسر الظاء وفتحها، موضعٌ يُظن فيه ذلك الشيءُ المطلوب. . . !

* وإنما نبَّهت علىٰ هذه الدقيقةِ؛ لأَني رأيت من الناس من يَعِيب سالكَ هذه، وذلك لجهالته، وسوءِ ظنه، وفساده، ولحسده، وقصوره، وعناده!!

* فأردتُ أن يتقرر هذا المعنىٰ في ذهن مُطالع هذا التصنيف، وليُطهرَ نفسه من الظن الفاسد والتعنيف[1]. . . !

* وأسألُ اللّٰهَ الكريمَ توفيقي لحسن النيَّات والإعانةَ علىٰ جميع أنواع الطاعات، وتيسيرها، والهدايةَ لها دائماً في ازدياد حتى الممات!!

* وأسألُه ذلك لجميع مَنْ أُحِبُّه، ويُحبني لله تعالىٰ وسائرِ المسلمينَ والمسلمات. . .

* وأن يجمعَ بيننا وبينهم في دار كرامته، بأعلى المقاماتِ، وأن يرزقَنا رضاه، وسائرَ وجوه الخيرات. . . !

* **اعتصمتُ**[2] بالله، **استعنتُ** بالله، **توكلتُ** على الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله العليّ العظيم، حسبنا الله ونعم الوكيل. . . !

* اللَّهم إني أسألُكَ بكل وسيلةٍ، وأتشفعُ إليك بكل شفيع، أَنْ تنفعني، وأحبابي، والمسلمينَ أجمعين، بهذا الكتابِ نَفْعاً عامّاً بليغاً، يا من لا يُعجزه شيءٌ، ولا يتعاظمه[3] أمرٌ!!.

---

(١) **التعنيف**: اللوم بعنف، أي: ضدّ الرفق. . . !

(٢) **اعتصمت**: اعتمدت عليه واستمسكت به.

(٣) **تعاظم**: عظم عليه وصعب. . . !

وهذا حينُ شروعي في مقصود الكتابِ[1].

* * *

(١) **أقول:**

* لقد تجلىٰ لك ـ أيها القارىءُ الكريمُ ـ مِنْ خِلال هذه المقدمةِ إخلاصُ المؤلفِ ـ رحمه الله تعالى ـ وصِدْقُ طلبه، وحُسْنُ نيته، في كتاباته، بأنه لا يبتغي مِنْ وراءِ ذلك، ثناءً من الناس ولا شكوراً، وأنه مِنْ أساطين الحكماء والكَمَلةِ من الرجال، وإنَّ إمامنا فَذٌّ في زمانه، فردٌ بينَ أقرانه:

* فهو الأَديبُ الأَريبُ، الماهرُ الفطن الوقَّاف، المرموقُ بينَ العلماءَ: إعجاباً وإكباراً، صدقاً وإخلاصاً. . . !

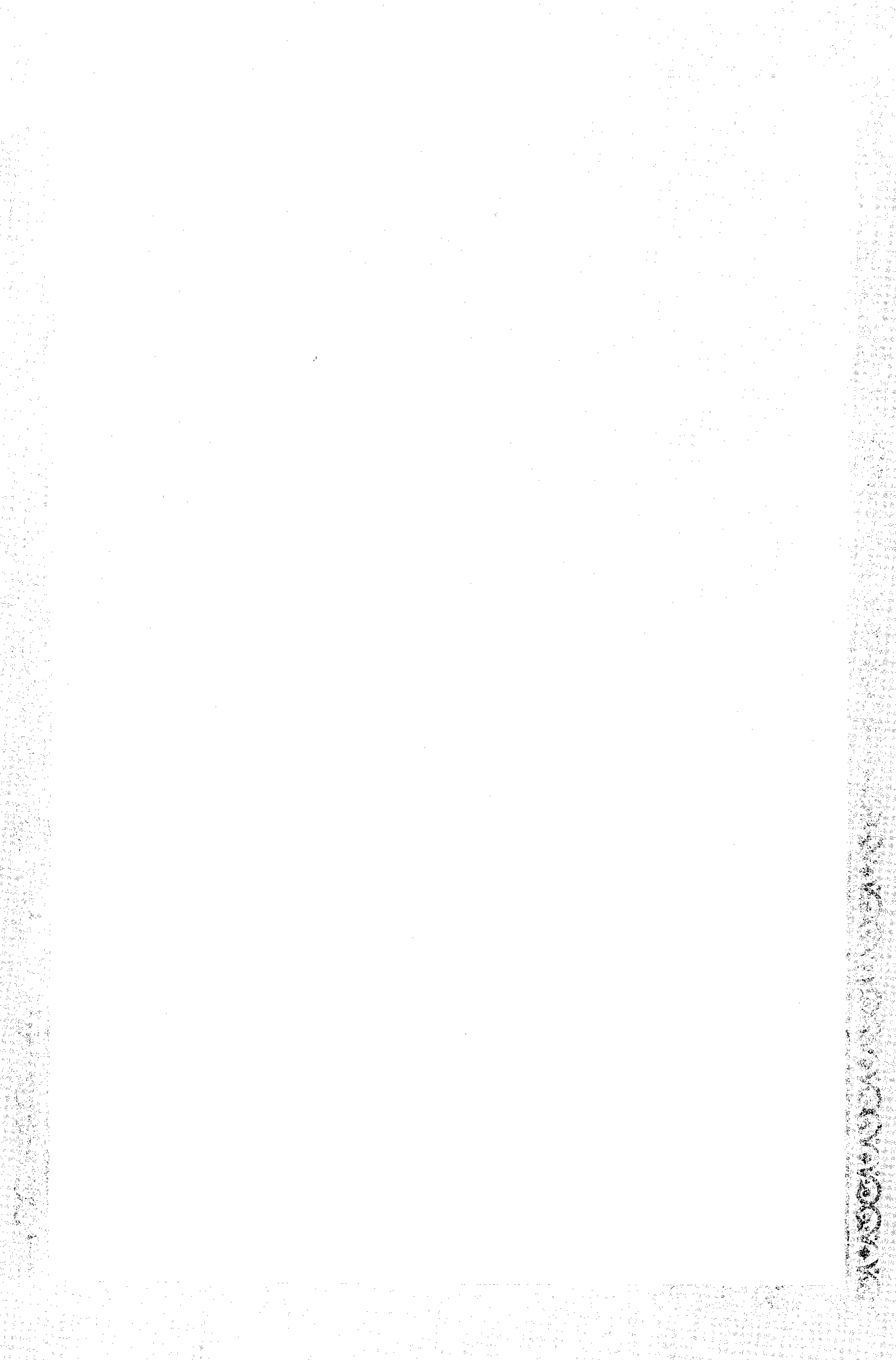
* قد حباه اللّـهُ مِنْ جلائل نعمه، وغمرَه بفضائل كرمه، حتَّى أصبحَ كالكوكب المتألقِ، ومع ذلك فهو مُوَطَّأُ الأَكناف، رَضِيُّ الخُلق، خافضُ الجناح، قسيمٌ وسيمٌ، ألانَ ببيانُه القلوبَ القاسيةَ، وذلَّل بأسلوبه النفوسَ العاصيةَ. . . !

* جمع بَيْنَ الحالِ والقال، وقلما تجدُ ذلك في كملة الرجال.

اهـ محمد

باب

فِي الإِخْلَاصِ وَإِحضَارِ النِّيَّة في جميع الأعمال الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ



باب
في الإخلاص وإحضار النّيّة
في جميع الأعمال الظّاهرة والباطنة

قالَ اللَّه تعالى:

* ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥].

* مَعناه: الملَّة المستقيمة.

وقيل: القائمةُ بالحق واللّه أُعلم.

وَقالَ اللَّه تعالى:

* ﴿ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ ﴾ [النساء: ١٠٠].

وَقالَ اللَّه تعالى:

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ ﴾ [الإسراء: ٢٥].

وَقالَ اللَّه تعالى:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾ [الحج: ٣٧].

قال ابنُ عبّاس ـ رضيَ اللّه عنهما ـ:

* معناه: ولكن يناله النياتُ منكم...!

وقال إبراهيم:

* التقوىٰ ما يُرَادُ به وجهُه. . . !

وقال الإمام أبو الحسن الواحدي:

قال الزجاج: المعنىٰ: لن يتقبَّلَ اللّـٰهُ الدماء واللحومَ إذا كانت مِنْ غير تقوى اللّـٰهِ تعالىٰ، وإنما يتقبل منكم ما ستتقونه به!!

* وهذا دليلٌ علىٰ أن شيئاً مِنَ العباداتِ لا يصحّ إلاَّ بالنية:

* **وهو** أن ينويَ به التقربَ إلى الله تعالىٰ وأداءَ ما أُمِرَ به.

الشَّرحُ والتَّعليقُ

قولُه تعالىٰ في سورة البيّنة: ﴿حُنَفَآءَ﴾:

* جمعُ حنيفٍ، وهو المسلم الذي يتحنف عن الأَديان، ويميل إلى الحق، ولم يلتوِ في سلوكه: لأَن الحنيفَ المستقيمُ!!

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ أي في كتابَيْهم: ١ ــ **التوراة**، ٢ ــ **والإنجيل** ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الجملة حالية مفيدةٌ قبحَ ما فعلوا أي تفرقوا بعدَ مجيء البينة، والحالُ أنهم ما أُمروا بما أُمروا إلاَّ لأَجل أن يعبدوا اللّـٰهَ مخلصين له الدين من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾ مستقيمين علىٰ دين إبراهيم ودينِ محمد إذا جاء فكيف كفروا به؟

اهـ (الجَمل على الجلالين ٤/ ٩٥٢)

وقولُه تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ. . .﴾ الآية:

سببُ نزولِ الآيةِ:

* هذا ترغيبٌ في الهجرة؛ كما وقعَ لجَندع بنِ ضَمُرةَ الليثي ــ **رضي الله تعالى عنه** ــ . . .

وذلك أنه لما نزل **قوله تعالىٰ:**

* ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ ـ ١٠٠].

* بعث بها عليه الصلاة والسلام إلىٰ مكةَ فتُلِيَتْ على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك. . . !

* فسمعها رجلٌ مِنْ بني ليث، شيخٌ كبير مريضٌ يُقال له جندعُ بنُ ضَمرَة **فقال:**

* والله ما أنا ممن استثنى اللّـٰهُ عزَّ وجلّ فإني لأَجد حيلةً، ولي من المال ما يبلغني المدينة وأبعدَ منها!!

* واللّـٰهِ لا أبيتُ بمكةَ، أَخْرجُوني!!

* فخرجوا به على سرير حتَّى أتوا به التنعيمَ فأدركه الموتُ، فصَفق بيمينه علىٰ شماله، **ثم قال:** اللّـٰهمَّ هذه لك، وهذه لرسولك، أُبايعك علىٰ ما بايعك رسولُك. . .

ثم مات!!

* فبلغ خبرُه أصحابَ رسولِ الله ﷺ **فقالُوا:** لو وافى المدينةَ لكان أتمَّ وأوفىٰ أجراً. . . !

* وضحك المشركون **وقالوا:** ما أدرك ما طلب!!

فأنزل عزَّ وجلّ هذه الآية.

اهـ (الجمل على الجلالين ١/ ٤٤٥)

ومعنى قوله تعالى في سورة الحج: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا...﴾ الآية:

* أي إنما شَرَعَ لكم هذه الأَضاحِـيَ، والهدايا، لتذكروه عندَ ذَبحِها؛ فإنه الخالقُ الرازقُ، لا ينالُه شيءٌ مِنْ لحومها، ولا من دمائها، فإنه تعالىٰ هو الغنيُّ عمّا سواه!!

* وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوا لآلهتهم، وضعوا عليها من لحوم قرابينهم، نضحوا عليها من دمائها فقال الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾.

* أي: لا يُرفعان إليه ولن تبلغَ مرضاتُه، ولن تقعَ موقعَ القبول.

اهـ ابن كثير وأبو السعود

وقال أبو حيان في البحر:

* أراد المسلمون أن يفعلوا فعلَ المشركين من الذبح، وتشريح اللحم، منصوباً حولَ الكعبةِ، وتضميخِ الكعبة بالدم تقرباً إلى الله فنزلت هذه الآية...!

* فنفسُ الدمِ واللحم، لا يُرفع إليه؛ وإنما يُرفع إليه العملُ الصالحُ ومنه:

* التصدقُ باللحم: فالتصدقُ مِنْ عمل البر فيُرفع إلى الله تعالىٰ، وأما نفسُ اللحم المتصدَّقِ به فلا يُرفع!!

*** والمعنىٰ:**

أنه لا يُثيبكُم علىٰ لحم، إلاَّ إذا وقع موقعاً من وجوه الخير...!

اهـ (الجمل على الجلالين ٢/ ١٧٨)

* فالمؤلفُ ـ رحمه الله ـ قد ذكر أقوالَ الأَئمةِ في معنى الرفع إلى الله تعالىٰ بأن لا يكونَ إلاَّ إذا كان العملُ خالصاً لوجهه، غيرَ مشوبٍ بسمعة، أو رياءٍ، مما يُبطل العملَ ويُحبط الأَجرَ!!

* فإن الله تعالىٰ لا يقبل الشركةَ في العمل: فتصحيحُ النية، وإحكامُ العملِ، والإِخلاصُ فيه: هو المقبولُ عندَ الله والمرفوعُ إليه!!

* فإنه سبحانه لا يقبل إلاَّ الطيبَ، ولا يُرفع إليه إلاَّ الخالصُ؛ اللَّـهُمَّ ارزقنا الإِخلاص في الأَقوال، والأَحوال، والأَعمال. . . !

ولهذا قال سفيان الثوري ـ رَضِيَ اللَّه تعالىٰ عنه ـ :

* ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيّتي، لأَنها تنقلب عليَّ. اهـ.

سيأتي معك ترجمةُ سفيان إن شاء اللَّه تعالىٰ فترقبه.

كتبه محمد

* * *

إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ

* **أخبرنا** شيخُنا الإمامُ الحافظ أبو البقاء خالدُ بنُ يوسفَ بنِ سعيدٍ، ابنِ الحسن، بنِ المفرج، بنِ بكار المَقْدِسِي النابلسي الشافعي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ **قال: أخبرنا** أبو اليمنِ الكِنْدِي، **أخبرنا** محمدُ بنُ عبدِ الباقي الأَنصاري، **أخبرنا** أبو محمدٍ الحسن بن علي الجوهري، **أخبرنا** أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ، **أخبرنا** أبو بكر محمد بن سليمان الواسطي، **حدثنا** أبو نُعيم عبدُ بن هشام الحلبي، عن ابن المبارك، عن يحيى بنِ سعيد، عن محمد بنِ إبراهيم التيمي، عن علقمةَ بنِ وقَّاص الليثي، عن عمرَ بنِ الخطاب ـ **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ قَالَ: قال رسول الله ﷺ:**

* «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلىٰ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجرَتُهُ إلىٰ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجرَتُهُ إلىٰ دُنْيَا يُصِيبُها، أوِ امْرأةٍ يَتَزَوَّجُها، فَهِجْرَتُهُ إلىٰ مَا هَاجَرَ إليه».

هذا حديثٌ متفقٌ على صحته، مُجْمَعٌ علىٰ عِظَمِ موقعه وجلالته..

* وهو أحدُ قواعدِ الإِيمان، وأولُ دعائمه، وأشدُ الأَركان..

* وهو حديثٌ فردٌ غريبٌ باعتبارٍ، مشهورٌ باعتبار آخر، ومدارُه علىٰ يحيى بن سعيد الأَنصاري.

قال الحافظ :

* لا يصح هذا الحديثُ عن النبي ﷺ إلاَّ من جهة عمرَ بنِ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ !!

* ولا عن عمرَ إلاَّ من جهة علقمة!!

* ولا عن علقمةَ، إلاَّ من جهة إبراهيمَ بنِ محمد التيمي!

* ولا عن محمد، إلاَّ من جهة يحيـى بن سعيد!

* وعن يحيـى انتشرت روايته عن أكثر من مائتي إنسان أكثرُهم أئمة!!

ورواه الإمام أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه في سبعة مواضع :

* ١ ـ فرواه في أول كتابه.

* ٢ ـ ثم في الأَيمان.

* ٣ ـ ثم في النكاح.

* ٤ ـ ثم في العتق.

* ٥ ـ ثم في الهِجرة.

* ٦ ـ ثم في ترك الحِيَل.

* ٧ ـ ثم في النذر.

ثم إن هذا الحديث روي في الصحيح بألفاظ :

إنَّمَا الأَعْمَال بالنيّاتْ !!

وأما الذي وقع في أول كتاب الشهاب: الأَعْمَال بالنيّاتِ، وحذفَ إنما، فقال الحافظ أبو موسى الأَصبهاني: لا يصحُّ إسناد هذا.

* وأما معنى النيّةِ فهو القصدُ وهو: عزم القلب!!

* وإنما: لفظةٌ موضوعةٌ للحصر، تُثْبِتُ المذكورَ، وتَنفي ما عداه.

فمعنى الحديث:

* لا تصحُّ الأَعمالُ الشرعية إلاَّ بالنية...!

* ومن قصد بهجرته رضاءَ الله تعالىٰ، ومن قصد بها الدنيا فهي حظه ليس له غيرُها.

وفي هذا الحديث:

* اشتراطُ النيةِ في الوضوء وغيرِه، والغسلِ، والتيممِ، والصلاةِ، والزكاةِ، والصومِ، والاعتكافِ، والحجِ وغيرها.

* قال إمامنا عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ إدريسَ الشافعي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ:

* يدخل هذا الحديثُ في سبعينَ باباً من الفقه.

وقال أيضًا:

* يدخل في هذا الحديثِ ثلثُ العلم!!

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ:

* يدخلُ فيه ثلثُ العلم. وكذا ذكره أيضًا غيرُهما!!

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في أول كتابه مختصر السنن:

* معنى قولِ الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ : يدخل فيه ثلث العلم:

* أنَّ كسب العبد: إنما يكون بقلبه، ولسانه، ونيّاته.

وَالنِّيَّةُ:

* أحـدُ أقسـامِ كسبـه، وهـي أرجحُهـا، لأَنهـا تكـون عبـادةً بانفرادها، بخلاف القسمين الآخَرين، لأَن القول والعمل، يدخلهما الفساد بالرياء، ولا يدخل النيّة. . . !

مَا اسْتَحَبَّهُ الْعُلَمَاءُ:

* واستحـب العلمـاء ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أن تُسْتَفْتَح المصنَّفاتُ بهذا الحديث. . . !

* وممـن ابتـدأَ بـه فـي أول كتـابـهِ الإمـامُ أبـو عبـد الله البخـاري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في أول حديثه في صحيحه الذي هو أصحُّ الكتبِ بعدَ كتاب الله تعالىٰ.

ورُوِّينا عن الإمام أبـي سعيد عبد الرحمن بن مَهْدِي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قَالَ:

* لو صنَّفتُ كتاباً بدأتُ في أول كلِّ بابٍ منه بهذا الحديث!!

ورُوينا عنه أيضاً قال:

* من أراد أن يصنِّف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث!!

ورويـنا عـن الإمام أبـي سليمـان، حَمْـد بنِ محمـدِ بـنِ إبراهيمَ الخطابي فيما قرأته في أول كتابه الإعلام في شرح صحيح البخاري قَال:

* كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديمَ حديثِ:

إنّما الأعْمَالُ بالنيّة!! أمامَ كلِّ شيءٍ يُنشأ ويبتدأ من أمور الدين، لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها!!

* وبلغنا عن جماعاتٍ من السلف ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أشياءُ كثيرةٌ من نحو هذا من الاهتمام بهذا الحديث!

وهي:

أنَّ في إسناده شيءٌ يُستحسَنُ، ويُستغرب عند المحدثين، وهي:

أنَّ رواته اجتمع فيهم ثلاثةُ تابعيون يروي بعضُهم عن بعض وهم:

* ١ ـ يحيى بنُ سعيد الأنصاري.

* ٢ ـ ومحمد بنُ إبراهيمَ التيمي.

* ٣ ـ وعلقمةُ بنُ وقَّاصٍ ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ....!

وهذا وإن كان مُسْتَظْرَفاً، فهو كثير في الأَحاديث المستظرفة الصحيحة، يجتمع ثلاثة تابعيون بعضهم عن بعض، وأربعة تابعيون بعضهم عن بعض!!

* وقد جمعها الحافظ عبدُ القادر الرهاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في جزءٍ صنَّفه فيها، وأنا أرويها وقد اختصرتها في أول شرح صحيح البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ، وضممتُ إليها ما وجدتُه مثلَها فبلغ مجموعُها زيادةً على ثلاثين حديثاً...! والله أعلم

قولُه: عزم القلب!!

* أي إنَّ النيـة تعـود إلـى القصـد فـي القلـب، فهـي واجبـة فـي جميـع العبادات. . . !

سواء كانت ماليةً كالزكاة، أو بدنيةً كالصلاة، أو ماليةً وبدنية كالحج، ويُشترط فيها الجزمُ ودوامُه، ولا يشترط التلفظُ بالمنوي فلا يضر مخالفةُ اللسان:

* كمن قصد الظهر بقلبه وجرى علىٰ لسانه العصرُ، إلاَّ في الإحرام بحج أو عمرة خاصة لورود ذلك عن النبـي ﷺ. . .

* ولا يُعتبـر التلفـظُ بهـا مـن البـدع المحْـدَثـةِ حيـث إن بعـض أهـلِ العلـم استحسـن ذلـك، لِمـا رأوا فـي الأمـة مـن انصـرافٍ إلـى الـدنيـا، وإدبـارٍ عـن العقبـىٰ. . . !

* فاللسان يساعد القلبَ علىٰ استحضار العبادةِ، وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، ويُقاس بها غيرُ الحج على الحج، ولا يكفي نطق اللسان مع غفلة القلب فليتنبه. اهـ.

ولقد اختلف العلماء في النيَّة:

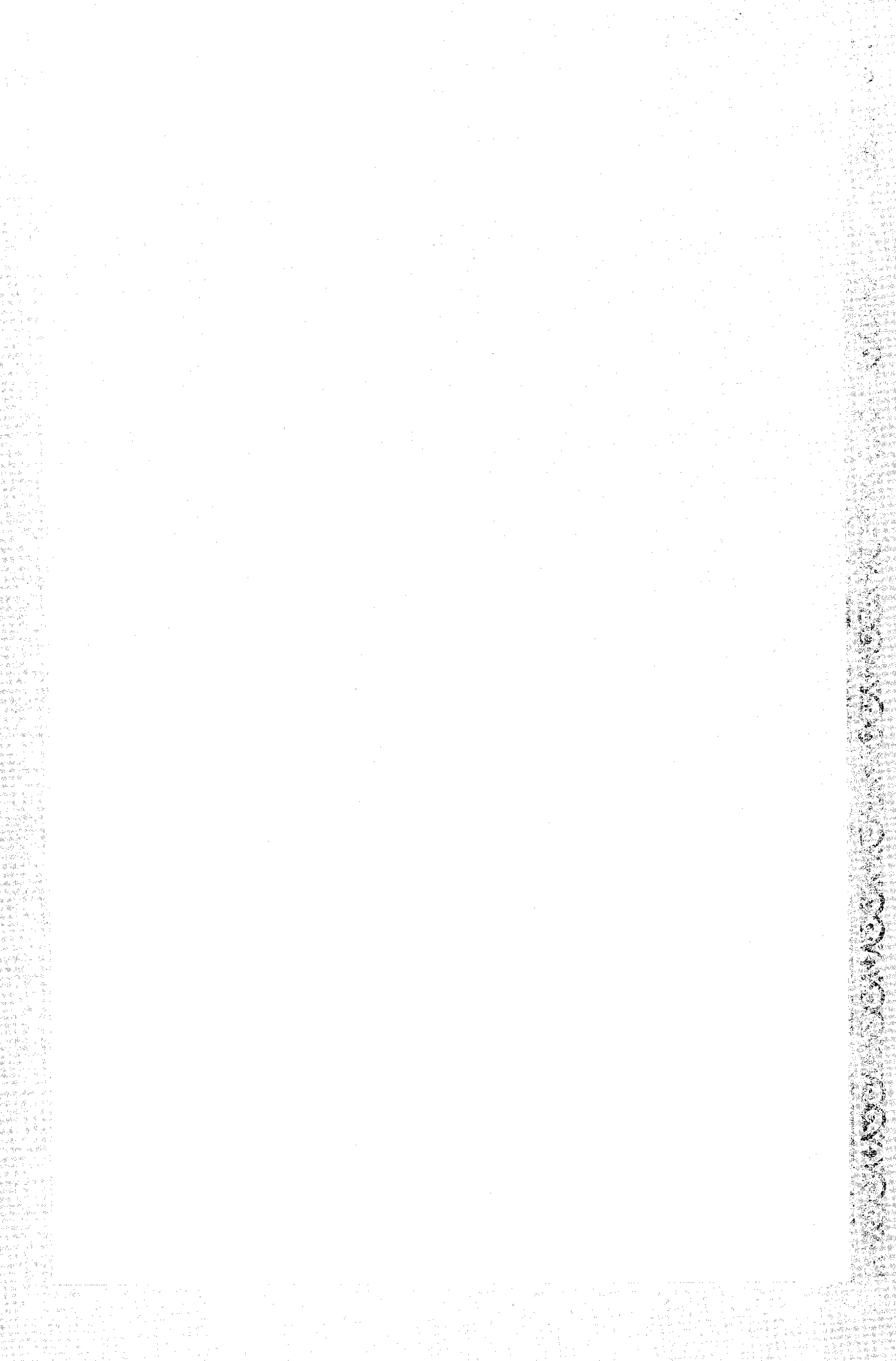
* **فمنهم** مَنْ عدَّها ركناً وعليه أكثرُ العلماء!!

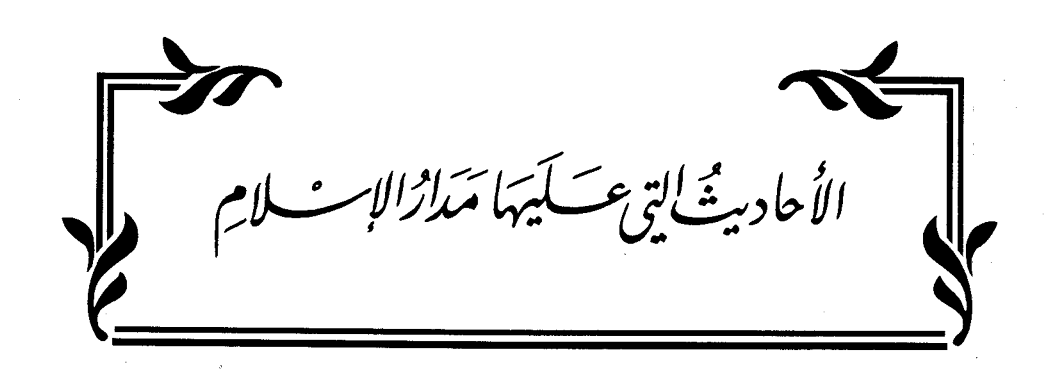
* **ومنهم** مَنْ عدَّها شرطاً كالإمام الغزالي **وقال**: هي بالشرط أشبه. . . !

ووجهُـه: أنـه يُعتبـر دوامُهـا حكمـاً إلـىٰ آخـر الصـلاة فـأشبهـتِ الـوضـوءَ والاستقبال وهو قويٌ.

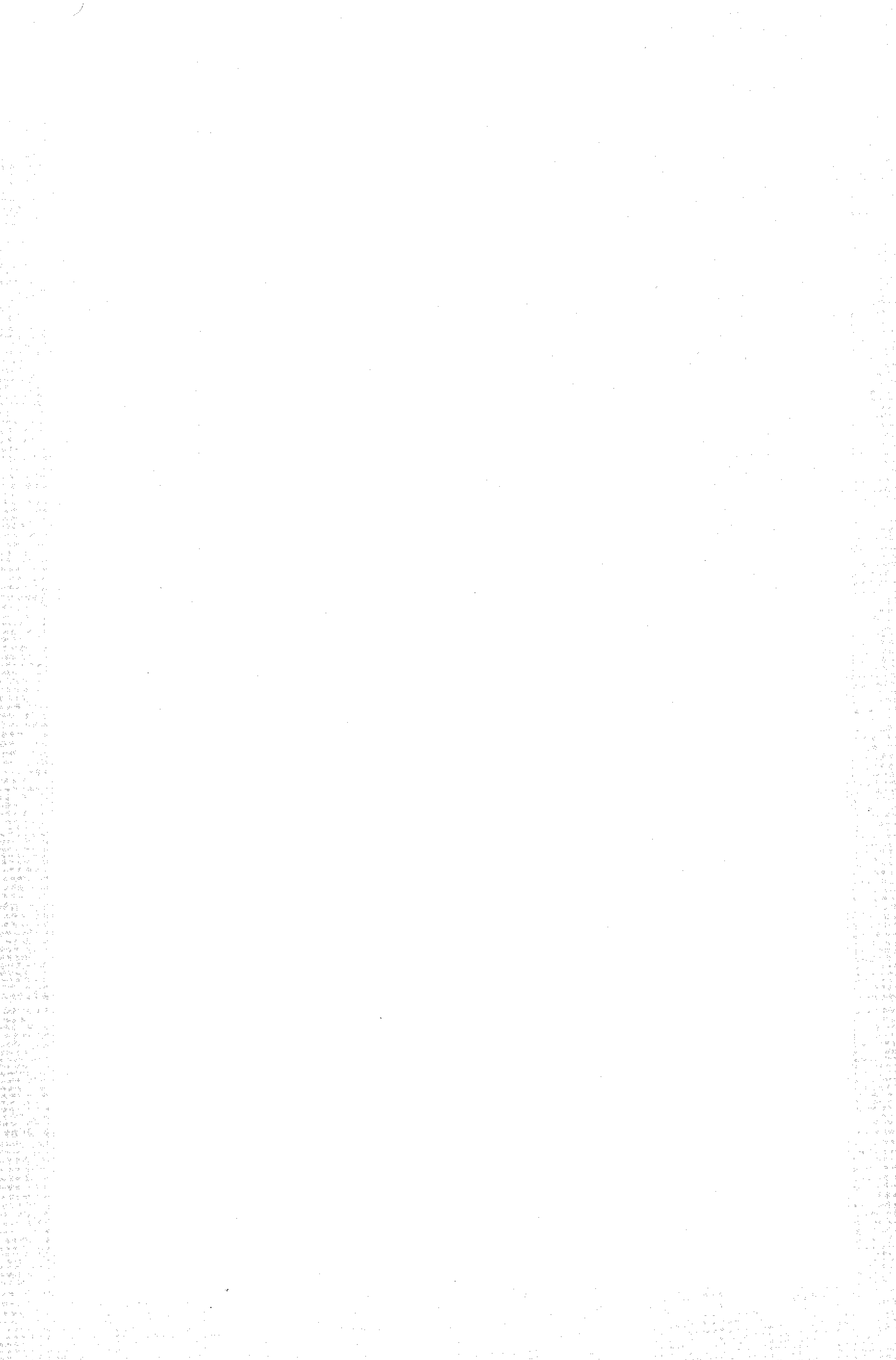
اهـ من كفاية الأخيار ١/ ٦٣

* * *





الأحاديث التي عليها مدار الإسلام



الأحاديث التي عليها مدار الإسلام

* ومما ينبغي الاعتناءُ به بيانُ الأَحاديثِ التي قيل:

إنها أصولُ الإسلام، وأصولُ الدِّين، أو عليها مدارُ الإسلام، أو مدارُ الفقه، والعلم، فنذكرها في هذا الموضع، لأَن أحدَها حديثُ إنما الأعمالُ بالنية، ولأَنها مهمةٌ فينبغي أن تُقَدَّمَ.

* وقد اختلف العلماء في عددها اختلافاً كثيراً:

* وقد اجتهد في جمعها وتبيينها الشيخُ الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بنُ عبدِ الرحمنِ المعروفُ بابن الصلاح ـ رحمه الله تعالى ـ ولا مزيدَ علىٰ تحقيقه، وإتقانه. . . !

* فأنا أنقل ما ذكره ـ رحمه الله تعالى ـ مختصِراً، وأضمُّ إليه ما تيسَّر مما لم يذكره فإن الدين النصيحة.

إضافة الكلمة إلى قائلها

* ومن النصيحة أن تُضافَ الفائدةُ التي تُستغربُ إلىٰ قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله. . . !

* ومن أوهم ذلك فيما يأخذه من كلام غيره أنه له،

فهو جدير أن لا يُنتفع بعلمه، ولا يُبارَكَ له في حاله . . . !

* ولم يزل أهلُ العلم والفضل علىٰ إضافة الفوائد إلىٰ قائلها، نسأل الله تعالى التوفيقَ لذلك دائماً.

* * *

الأعمال بالنيات

قال الشيخ أبو عَمْرو ـ رحمهُ الله تعالى ـ بعدَ أن حكَىٰ أقوالَ الأئمةِ في تعيين الأَحاديثِ التي عليها مدارُ الإسلام، واختلافِهم في أعيانها وعددِها فبلغت ستةً وعشرين حديثاً:

أحدها:

* حديث: إنما الأعمال بالنيات . . . !

الشرح والتعليق

الشيخ أبو عَمْرو، هو ابنُ الصلاح.

وقد ظهر لي بعدَ النظرِ والتدقيق، أن ثلاثة أحاديثِ زادت علىٰ ما ذكر الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح، فهل هذه الزيادةُ كانت مِنْ رأي الإمامِ النووي ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ أم لا؟ والله أعلم.

أما حديث:

* «إنَّما الأعمال بالنيات»، فقد تقدَّم الكلام عليه من الإمام النووي بما يغني عن مزيد، انظر ص ٣٨ فما بعدها.

* * *

البِدَعُ والأَهْوَاءُ

الثَّانِي :

* عن عائشة ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ قالت :

قال رسول الله ﷺ :

* «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

هذا حديث متفق على صحته، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

وفي رواية لمسلم :

«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا . . .».

ومعنى رَدٌّ: مردودٌ، كالخَلْق بمعنى المخلوق.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

في الحديث الصحيح :

* «شَرُّ الأُمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ».

* والمراد بأصحاب البدع فيه، مَنْ كَان علىٰ خلافِ ما عليه أهلُ السنَّة والجماعةِ . . . !

* ويدخلُ في المبتدعة، كلُّ مَنْ أَحدَثَ في الإسلام حدثاً لم يشهدِ الشرعُ بحسنه: كالمكوس والمظالم . . . والغصب بأنواعه . . . واختلاف أشكاله ! !

* نعم؛ إن كان في تليين القولِ للظالم إنقاذُ مظلوم منه، أو حمله علىٰ خيرٍ، أو معروف فلا بأس به . . . والله مطلع على السرائر . . . !

قالَ اللَّه تعَالىٰ:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤].

وفَسَّر بعضُهم البدعة:

فقَال:

* هي ما لم يقم دليلٌ شرعيٌّ علىٰ أنه واجبٌ، أو مستحبٌ سواءٌ أفُعِلَ في عهده ﷺ، أو لم يُفعل:

* كإخراج اليهودِ والنصارى مِنْ جزيرة العرب، وكذا جمعِ القرآن في المصاحف، والاجتماعِ علىٰ قيام شهرِ رمضان، وغيرِ ذلك مما ثبت وجوبه، أو استحبابه بدليل شرعي:

* وقول عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ في التراويح:

نعمت البدعةُ هي. . . !

* أراد البدعةَ اللغويّة، وهو ما فعله علىٰ غير مثال كما في قوله سبحانه:

﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩].

* وليستْ بدعةً شرعاً، فإنَّ البدعةَ الشرعيةَ ضلالةٌ كما قال ﷺ.

قال:

* وَمَنْ قسمها مِن العلماء إلىٰ ١ ــ حسن، ٢ ــ وغير حسن!

فإنما قسَّم البدعةَ اللغويةَ!

* ومَنْ قال: «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»!

فمعناه البدعةُ الشرعية. . . !

* ألا ترىٰ أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسان أنكروا فرضية غيرِ الصلواتِ الخمس:

* كالعيدين، وإن لم يكن فيه نهي، وكرَّهوا استلام الركنين الشاميين، والصلاةَ عقب السعي بينَ الصفا والمروة، قياساً على الطواف. . . !

* وكذا ما تركه ﷺ معَ قيام المقتضي فيكون تركُه سنَّةً، وفعلُه بدعةً مذمومة. اهـ من فتاوى الإمام ابن حجر ص٢٨٠ باختصار، جزاه الله تعالى خيراً.

أقول:

* لو أدَرنا نظرنا في المسلمين اليومَ لرأينا العجبَ العُجاب، ولشاهدنا أموراً تُخجل الإنسانيةَ، وأعمالاً يندىٰ لها جبينُ الحُرِّ المسلم:

فساداً في الأخلاق إلىٰ أبعد حد!!

* انحطاطاً عن الفضيلة!

* تدهوراً إلى الحضيض السافل المخزي!

* انحرافاً في العقائد، والعادات والتقاليد والأزياء: في الشباب والشيوخ، في الصغار والكبار، في النساء والرجال!

* ردَّة ويا لها مِنْ ردَّة، ندّعي الإسلام والإسلامُ منا برآء!

* ندَّعي الإيمانَ، وأعمالُنا عنه بمعزل، كيف نلتقي غداً برسول الله وهذا حالُنا، ماذا نجيبُه إذا سألَنا عما أحدثناه؟

* فيجب أن نُعدَّ للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، فَلا حَوْلَ ولا قوّةَ إلاّ باللّه. اللّهمّ ردّنا والمسلمين إليك ردًّا جميلًا ...!!

اهـ شرح الحديث الثاني

كتبه محمد

* * *

الحلالُ والحرامُ

الثالثُ:

* عن النعمان بن بشير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

* «إنَّ الْحَلاَلَ بيِّنٌ وَالْحَرَامَ بيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبهَاتِ فَقَدْ اسْتبَرأَ لِدينِه وَعِرضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الْحَرَامِ؛ كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فيه، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىٰ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ محَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ».

هذا حديث متفق على صحّته، رويناه في صحيحيهما

* **يُوشِكُ**: بضمِّ الياء وكسر الشِّين المعجمة، أي: يُسرع.

الشرحُ والتعليقُ

قوله: «وعِرضه»:

لأنه إذا فعلَ الشُّبه، جعل للسفهاء طريقاً للتطاول عليه، بالافتراء والغيبة . . . !

* ونسبوه إلىٰ فعل الحرامِ فجعل عِرضَه هدفاً للتناول، والقَدح، والطعن، والقذف، وصار سبباً لوقوعهم في الإثم. وقد ورد عنه ﷺ أنه قال:

* «مَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلا يقِفنَّ مواقفَ التُّهَمِ».

وقال عليٌّ كرّم الله وجهه :

* «إياك وما يَسبقُ إلى القلوب إنكارُه، وإن كان عندك اعتذارُه! فربّ سامعٍ نُكْراً، لا تستطيع أن تُسمعَه عذراً» . . . !

* وقد يتدرج إلىٰ أن يصل إلى الحرام كالمثال الوارد في الحديث الشريف، لأنه يصل إلىٰ حالة لا يستطيعُ أن يحولَ دونَ وقوعِ نفسه في هاوية الحرام، مهما كان قويَّ الإرادة، متينَ العزيمة، **وإليه أشار الحديث** :

* «لعنَ اللّـٰهُ السارقَ يسرقُ البيضةَ فتقطعُ يدُه، ويسرقُ الجمل فتقطع يده» .

أي يتدرج من البيضة إلى الجمل، إلىٰ نصاب السرقة، فلا يصدرُ فعلٌ إلاَّ وقد سبقته مقدماتُهُ، أو تكرر مراتٍ عديدة! !

قالَ اللّه تعَالىٰ :

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

[آل عمران: ١١٢]

* يريد أنهم تدرجوا بالمعاصي إلىٰ قتل الأنبياء .

اهـ من مصنف على الأربعين من تعليقات العوفي

* اختلف العلماء في الحلال والحرام :

فقال أبو حنيفةَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* **الحلالُ** : ما دل الدليل علىٰ حلِّه .

وقال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* **الحرامُ** : ما دل الدليل علىٰ تحريمه .

اهـ شرح الحديث الثالث

كتبه محمد

* * *

جَمْعُ الخَلْقِ

الرَّابِعُ:

* عن عبد الله بن مسعود ـ **رضي الله تعالىٰ عنه** ـ قال:

حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ:

* «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعينَ يَوماً نُطفةً، ثم يكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثم يُرسَلُ إليه المَلَكُ فَينفخُ فيه الروحَ، ويُؤْمَرُ بأربعِ كلماتٍ: بكَتْبِ رِزْقِهِ، وأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقيٍ، أو سَعِيدٍ، فوالَّذي لاَ إلـٰه غَيرُه، إنَّ أَحَدَكُم لَيعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجنَّةِ، حتَّىٰ ما يكونُ بينَه وبينَها إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أَهْلِ النار فيدخلُها، وإن أحدَكم ليَعْمَلُ بعمل أَهْلِ النَّارِ، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُها».

رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما

قولُه: بِكتْب، بالباء الموحدة الجارَّةِ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قولُه: «فيعمل بعمل أهل النار».

* أي ظاهراً، أو صِرْفاً بعد أن كان مشوباً. قال المصنِّف في شرح الأَربعين علىٰ هذا الحديث:

إنَّ مَنْ آمنَ وأخلصَ العملَ، لا يُختم له دائماً إلَّا بخير، وإنَّ خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل، أو خلطه بالعمل الصالح المشوبِ بنوع من الرياء والسمعة!!

ويدلّ عليه الحديث الآخر:

* «إنَّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنّةِ فيما يبدو للنّاس».

أي فيما يظهر لهم من صلاح ظاهر، معَ فسادِ سريرته وخبثها.

والله تعالى أعلم

عن علي كرّم الله وجهه:

* **قال:** كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبيُّ ﷺ فقعد وقعدنا حولَه، ومعه مِخْصَرةٌ فنكس وجعل ينكثُ بمخصرته ثم **قال:**

* «ما منكم مِنْ أحد إلَّا وقد كُتِبَ مقعدُه من الجنة».

* **فقالوا:** يا رسول الله، أفلا نتكلُ على كتابنا؟

فقال:

«اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له»!!

وفي رواية:

* أنَّ رجلاً **قال:** يا رسولَ الله! أنعملُ فيما جرتْ به المقاديرُ، وجفَّ به القلم، أو شيء نستأنفه؟ **قال:**

«بل بما جرت به المقاديرُ وجفَّ به القلم».

* **قالوا:** ففيم العملُ؟

* **قال:** «اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له».

وعن أبي بكر الصديق ــ رضي الله تعالى عنه ــ **قال:**

قلت: يا رسول الله!

* أنعمل علىٰ أمرٍ قد فُرغ منه، أم علىٰ أمر مؤتنَف؟

قال:

* «بل علىٰ أمر قد فُرِغَ منه».

* **قلت:** ففيمَ العملُ يا رسولَ الله؟

قال:

* «اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلقَ له».

اهـ من أسباب ورود الحديث: ١/ ١١٣

معنى الحديث:

* اعملوا بظاهر ما أُمِرتم، ولا تتكلوا علىٰ ما كُتِبَ لكم من خير وشر، فذو السعادةِ ميسَّر لعمل أهلها بحكم القدر الجاري عليه!!

* وإذا غلبت عليه مادةُ الحكم، واستحكمت في إنسان، فإنما تَيسر له عملُ الخُبثِ، فكان مُظْهِراً للأفعال الخبيثة التي هي عنوان الشقاء، وحُكْمُ عكسِه عَكْسُ حُكْمِه...!

تنبيهٌ:

قال الإمام الغزالي ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ:

* بيَّن بهذا الخبرِ أن الخَلْقَ مَجاري قدَرِ الله ومحلُّ أفعاله، وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله تعالىٰ...!

* وهو سببٌ لعلم الخلق بأن العلم نافع، وعلمُهم من أفعال الله.

* وهو سببٌ لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعاله تعالىٰ؛ لكنَّ بعضَ أفعاله مسببٌ للبعض أي: الأول شرط للثاني، كخلق الحياة شرط لخلق العلم.

* والعلم والإرادة بمعنًى، أو لا يستعد لقَبول العلم إلاَّ ذو حياة، ولا للإرادة إلاَّ ذو علم...!

* فيكون بعضُ أفعاله سبباً للبعض لا موجباً لغيره.

وهذا القول من الله سببٌ لوجود الاعتقادِ!!

* والاعتقادُ سببٌ للخوف، والخوف سببٌ لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وهو سببُ الوصول إلىٰ جِوار الرحمٰـن!!

* وهو مُسَبِّبُ الأَسباب ومرتبها.

فمن سُبق له في الأَزل السعادةُ يُسِّرَ له الأَسبابُ التي تقوده بسلاسلها إلى الجنة، ومن لا، يبعد عن سماع كلام الله ورسوله والعلماء، فإذا لم يسمع لم يعلم، وإذا لم يعلم لم يخف!!

* وإذا لم يخف لم يتركِ الركونَ إلى الدنيا، وإذا لم يتركه صار من حزب الشيطان وإن جهنّم لموعدهم أجمعين.

اهـ من فيض القدير: ٢/ ١٢، وهو موضوعٌ علميٌّ نفيس.

اهـ شرح الحديث الرابع

كتبه محمد

* * *

تَرْكُ الرِّيَبِ

الخَامِسُ:

* عن الحسن بنِ عليٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ـ قال:

حفظتُ من رسول الله ﷺ:

* «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**».

حديث صحيح رواه أبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي قال أبو عيسى الترمذي: حديث صحيح.

* **وقولُه:** يريبك، بفتح أوله وضمه لغتان؛ الفتحُ أشهر.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قولُه: «ما لا يَرِيبُك»:

* أي ممّا تركن إليه النّفسُ، ويطمئنّ إليه الفؤاد، ويستريحُ له القلب، لأَنّ الحسَّ ناصح للمرء، ولذا جاء في حديث وابصة:

* استفت قلبَك وإنْ أفتاك المُفْتون، لأَن المرءَ أدرىٰ بدخائل نفسِه، والروحُ تفر من المؤذي إذا لم تتدنس بالآثام. . . !

* وإذا صُقِلتْ بالتقوىٰ لا تميل إلاَّ إلى النافعِ المَرْضِي لله ولرسوله.

اهـ من تحقيق العوفي

* أي اترك ما اعْترضَ لك الشكُّ فيه منقَلِباً عنه إلىٰ ما لا شك فيه، ذكره **الطيبي**.

* فإن الصدق يُنجي، أي: فإنَّ فيه النجاةَ، وإن كان الإنسانُ يظن أن فيه الهلكةَ. . . !

* فإذا وجدتَ نفسَك ترتابُ مِنْ شيءٍ فاتركه، فإنَّ نفس المؤمن الكاملِ تطمئن إلى الصدق الذي فيه النجاةُ من المهالك، وترتابُ من الكذب. . !

* فارتيابُك في شيء أمارةُ كونِه حراماً فاحذره، واطمئنانُك علامةُ كونه حقاً فخذ به، ذكره القاضي!!

* قال: والنفسُ إذا ترددتْ في أمر وتحيرتْ فيه، وزالَ عنها القَرارُ، استتبعْ تلكَ العلاقةَ التي بينها وبين القلب الذي هو المتعلق الأول لها، فتنقل العلاقة إليه من تلك الهيئة أثراً فيحدثُ فيه خفقان واضطراب. . . !

* ربما يسري هذا الأَثرُ إلىٰ سائر القوىٰ، فتُحسُّ بانحلال وانهزال، فإذا زال عن النفس وجدت لها قراراً وطَمأنينةً.

* وقيل: المعنيُّ بهذا الأَمر أربابُ البصائر من أهل النظر والفكرة المستقيمة، وأهلِ الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة والقلوب السليمة:

* فإن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير، وتنبو عن الشر، فإن الشيء يتحببُ إلىٰ ما يلائمه، وينفر مما يخافه، فيكون ما يُلْهَمُه الصوابُ غالباً.

وفي رواية:

* «فإن الصدقَ طُمأنينةٌ»، أي يطمئنُ إليه القلبُ ويسكن، وفيه إضمار أي محل طمأنينة، أو سبب طمأنينة. وإن الكذب ريبة، أي يُقلق القلبَ ويضطرب.

وقال الطيبي:

* جاء هذا القول ممهداً لما تقدمه من الكلام. . . !

ومعناه:

* إذا وجدتَ نفسَك ترتابُ في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتاب من الكذب!!

* فارتيابك من الشيء مبني عن كونه مظنةً للباطل، فاحذره!

* وطمأنينتك للشيء مشعر بحقيقته فتمسك به. . . !

* والصدقُ والكذبُ، يُستعملان في المقال والأَفعال، وما يحق أو يبطل من الاعتقاد. .

* وهذا مخصوصٌ بذوي النفوس الشريفة القدسية المطهَّرةِ عن دنس الذنوب ووسخ العيوب. اهـ.

وَالحَاصِل :

* أنَّ الصِّدْق إذا مازج قلبَ الكاملِ امتزج نورُه بنور الإِيمان فاطمأن، وانطفأ سراج الكذب. . . !

* فإن الكذبَ ظلمةٌ، والظلمةُ لا تمازج النور.

اهـ شرح الجامع الصغير ٣/٥٢٨. وهو بحث علمي دقيق قلّما تجده في كتاب.

اهـ شرح الحديث الخامس

كتبه محمد

* * *

تَركُ مَالَا يَعْنِي

السَّادِسُ :

* عن أبـي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ قال :

قال رسول الله ﷺ :

* « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »[1].

حديث حسن، رواه الترمذي وابن ماجه

الشَّرحُ وَالتَّعلِيقُ

* وذلك لينصرف كلٌّ إلىٰ عمله الذي خُصِّص له، أو وافق ذوقُه وقابليته!!

فإنَّ انصرافَ المرءِ إلى البحث عن كل ما لا علاقةَ له به يمنعه من إنتاج أيِّ عمل كان فيختل النظام، وتسودُ الفوضىٰ بالأَعمال. . . !

* لأَن إباحةَ هذا الفعلِ المذموم لشخص تجويزُه للجميع!!

* فالشريعةُ الإِسلامية جاءت عامةً لا تستثني في أحكامها أحداً، ولا فضلَ لواحد على الثاني إلاَّ بالتقوى والامتثال لأَمر الله تعالىٰ، فمتى اشتغل كلٌّ بما لا يعنيه فسدت الأَمورُ، وفقد التوازن، وهذا هو أحد الأَسباب التي أقعدتنا الآن وجعلتنا آلة مُسخَّرةً للغير.

اهـ عن النسخة القديمة للعوفي.

اهـ شرح الحديث السادس

كتبه محمد باختصار

* * *

الحُبُّ وَالإيمَانُ

السَّابِعُ :

* عن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضِيَ اللّه تعالى عَنْه ـ :

عَن النَّبِيّ ﷺ قال :

* «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

متفق على صحّته

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

* قولُه : «لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه» إلخ :

لأَن الدين لم يَدْعُ إليه شخصٌ واحد . .

أو أنه حقٌّ فردٍ معين :

* فالمسلمون أمامَ الدين كُلُّهم بنظر واحد . . . !

فإذا لم يحب رفيقه :

* فإما لدنياه فيكون قد رجح الدنيا على الدين . . . !

* وإما لدينه فيكون حسوداً طالباً لإِزالة ما عليه أخوه غيرَ راض بما قسم الله له :

* وإن المسلمين بمثابة جسد واحد . . .

فعدمُ المحبة علامةُ الافتراق . . . !

والافتراقُ مقدمةُ المحو والهلاك . . . !

* فكأنه أراد محوَ الدين بعدم محبته لأَخيه ، وهذا ينافي الإِيمان قطعاً .

* وذكر المصنفُ في شرح الأَربعين أن الحب يشمل الكافرَ والمسلمَ. . . !

* فيحب لأَخيه الكافر، ما يحب لنفسه من دخوله في الإِسلام، كما يحب لأَخيه المسلم دوامَه على الإِسلام. . . !

* ولهذا كان الدعاءُ للكافر بالهداية مستحبّاً. . . !

* أو المراد من المحبة: إرادةُ الخير والمنفعة.

والمحبة المرادة:

* هي الدينية لا البشرية؛

فإن الطباع البشرية قد تكره حصولَ الخير، وتمييزَ غيرِها عنها.

* والإنسانُ يجب عليه أن يُخالفَ الطباعَ البشرية ويدعو لأَخيه ويتمنى له ما يحب لنفسه.

اهـ عن النسخة القديمة للعوفي.

اهـ شرح الحديث السابع

كتبه محمد

* * *

إِنَّ اللّٰهَ طَيِّبٌ

الثَّامِنُ:

* عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللّٰه تعالى عَنْه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

* «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ.

فقال الله تعالى:

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال الله تعالى:

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

* ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السفرَ، أَشْعَثَ أَغْبرَ، يَمُدُّ يَدَه إِلىٰ السَّماءِ يَا ربُّ! يَا ربُّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بالحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لذلك!!».

رواه مسلم في صحيحه

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: «فأنىٰ يُستجابُ له ذلك»، وقد امتلأ جسمه من الحرام!!

* وهذا نصٌّ صريحٌ أن التقوىٰ ليست باللباس، فليس كُلُّ مَنْ تراه قذراً، أو متقشفاً هو رجل صالحٌ...!

* وإنما يجبُ أن يزنه بميزان الشرع :

فإنْ ظهرَ كاملاً فهذا هو الصالحُ حقاً، لبس جيِّداً أو جديداً . . . !

وإنْ كان ناقصاً فهو الشقيُّ وإنْ كان زيه زيَّ أتقى الناس، وأورعِهم .

* **فمنهم** مَنْ يتخذُ الشَعثَ زهداً في الدنيا!

* **ومنهم** مَنْ يتخذُه مصيدةً للاستيلاء علىٰ قلوب الناس وأموالهم!

* **ومنهم** من يتخذ اللباس تحدثاً بنعمة الله وإظهاراً لها!

* **ومنهم** مَنْ يستعملُه كبراً وغروراً.

فكلُّها تدور حولَ الحديث الأَولِ :

إنَّما الأَعْمالُ بالنِّيَّاتِ

* ولكن المقياس الحقيقي لنا هو اتباع الشرع .

اهـ للعوفي عن النسخة القديمة!

ورحم الله ابن الحاج حيث قال في كتابه المدخل :

* ليسَ التصوُّفُ لبسَ الصُّوفِ ترقعُهُ
ولا بكاؤك إنْ غنَّى المغنُّونا

* ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ
ولا اختباطٌ كأنْ قدْ صِرتَ مجنونَا

* بل التصوُّفُ أنْ تصفوَ بلا كدرٍ
وتتبعَ الحقَّ والقرآنَ والدِّينا

* وأنْ تُرى خاشِعًا للّهِ مُكتئِبًا
علَى ذنوبكَ طولَ الدَّهرِ محْزونَا

ورضي الله عنه إمامنا الشافعي حيث قال :

* حَسِّنْ ثيابك ما اسْتَطعت فإنّها
زَيْنُ الرِّجالِ بهَا تُعَزُّ وتُكْرَمُ

* ودعِ التَّخشُّعَ في الثِّيابِ تَواضُعًا
فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِـرُّ وتكتمُ

* فجَديدُ ثوبِكَ لا يضرُّكَ بعدَمَا
تخْشى الإلَه وتتَّقي مَا يَحْرُمُ

* ورَثيثُ ثوبِكَ لا يَزيدكَ رِفعةً
عندَ الإلهِ وأنتَ عَبدٌ مُجْرِمُ

اهـ شرح الحديث الثامن

كتبه محمد

* * *

لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَار

التَّاسِعُ :

* حَدِيث : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

[رواه مالك مرسلاً، ورواه الدارقطني، وجماعةٌ من وجوه متصلاً وهو حديث حسن]

الشَّرحُ وَالتَّعلِيقُ

قوله: «لَا ضَرَرَ»

* أي: لا يضر الإنسانُ أخاه لأَجل نفع نفسِه.

«وَلَا ضِرَارَ»

* أي: يضر غيرَه بدون انتفاع فكلاهُما مذمومٌ، لأَن الشريعةَ لم تُجَوِّز لك منفعةً تضر فيها غيرَك . . .

وقال في النهاية:

* لَا ضَرَرَ، أي: لا يضر الرجلُ أخاه، فينقصه شيئاً من حقه.

* وَلَا ضِرَارَ، أي: لا يُجازيه علىٰ إضراره بإدخال الضرر عليه.

اهـ باختصار.

وإلى الأَخير الإشارة **بقوله تعالى:**

* ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾.

[فصلت: ٣٤]

و «ضِرَارَ» بكسر أوله من ضرَّه، وضارَّه بمعنًى وهو خلافُ النفعِ، كذا قاله الجوهري.

* فالجمعُ بينهما للتأكيد، والمشهور أن بينهما فرقاً. . . !

ثُمّ قيل :

* الأَولُ: إلحاقُ مفسدةٍ بالغير مطلقاً. . . !

* والثاني: إلحاقُ مفسدةٍ بالغير علىٰ وجه المقابلة أي: كلٌ منهما يقصد ضررَ صاحبه. . . !

وقال ابن حبيب:

* الضررُعندَ أهل العربية: الاسم، والضِرار: الفعل. . . !

* فمعنى الأَول: لا تُدخِلُ علىٰ أخيك ضرراً لم يُدخله علىٰ نفسه. . . !

* ومعنى الثاني: لا يُضارَّ أحدٌ بأحد. . . فهي أبلغ في الضرر!!

وقيل: الضرر أن يُدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به. . . !

* **والضرار:** أن يُدخلَ علىٰ غيره ضرراً بما لا منفعةَ له به، كمن منع ما لا يضره ويتضرر به الممنوع. . .

وقيل :

* الأَول: ما لكَ فيه منفعةٌ وعلىٰ جاره مضرة. . . !

* والثاني: ما لا فيه منفعةٌ لك وعلى جارك فيه مضرة، وهو مجرد تحكم بلا دليل، وإنْ قال غيرُ واحدٍ إن هذا وجهٌ حسنُ المعنى في الحديث. . . !

وفي رواية :

* «ولا إضرار» مِنْ أضرَّ به إضراراً إذا ألحق به ضرراً. . . !

وقال ابن الصلاح:

* وهي علىٰ ألسنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها!!

* ولذا أنكرها آخرون، وانتصر لها بعضُهم بأنها جاءت في بعض روايات ابن ماجه والدارقطني وفي بعض نسخ الموطأ!!

قال:

وقد أثبتها بعضهم **وقال**: يقال ضرَّ وأضرَّ بمعنىً أي: بمعنى واحدٍ. . . !

وظاهر الحديث:

* تحريمُ سائر أنواعِ الضررِ إلاَّ لدليل، لأن النكرة في سياق النفي تعم، إلاَّ في نحو لا رجلٌ في الدار بالرفع، لأنك تقول: بل رجلان، ولا تقول ذلك مع الفتح. . . !

* فكلُّ ما جاء في تحريم الظلم من الآيات والأحاديث دليلٌ علىٰ تحريم الضررِ لأنه نوع من الظلم. . . !

* فعُلمَ أن معنى الحديثِ ما مرَّ مِنْ نفي سائر أنواع الضرر والمفاسد شرعاً، إلاَّ ما خصه الدليل. . .

* وأنَّ المصالحَ تُراعىٰ إثباتاً، والمفاسدَ تراعى نفياً، لأنَّ الضرر هو المفسدة، فإذا نفاها الشرعُ لزم إثباتُ النفع الذي هو المصلحةُ، لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما. **وقد ورد:**

* مَنْ ضارَّ ضار الله به، ومن شاقَّ شاق الله عليه. . .

وفي رواية:

* لُعِنَ مَنْ ضَارَّ مسلماً، أو ماكره. . . !

اهـ من الفتح المبين باختصار ص٢٣٧. وهو بحث علمي نفيس.

اهـ شرح الحديث التاسع
كتبه محمد

* * *

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

العَاشِرُ:

عن تميمٍ الداريِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ :

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ».

قُلْنَا: لمن؟

قَالَ:

* ١ ـ «للَّهِ.
* ٢ ـ ولرسولِهِ.
* ٣ ـ ولأَئمةِ المسلمينَ وَعَامَّتِهِمْ»...!

رواه مسلم

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

فأما النصيحة لله:

* فالإِخلاصُ في العبادة، ونفيُ الشريك، وتركُ الإِلحاد، وتنزيهُه تعالىٰ عن كل نقص وعيب مع القيام بالطاعة، والحثِّ عليها، واجتنابِ المعاصي، وزجرِ الغير عنها، والحبُّ في الله والبغضُ في الله.

وأما النصيحة لرسوله:

* فهي تصديقُه، والإِيمانُ بما جاء به، وبثُّ دعوتِه، وإِحياءُ سنتِه، وقمعُ

البدعِ التي أحدثت بعده، والتخلقُ بأخلاقه ﷺ والتأدبُ بآدابه، والحبُ لآله وأصحابه صلوات الله عليهم أجمعين.

وأما النصيحة لأَئمة المسلمين:

* فمعاونتُهم على الحق، وطاعتُهم فيه، وأمرهم به، ونهيهم عن المنكر، وتذكيرهم به، وإعلامُهم بما غفلوا عنه، وأن لا يَغِرَّهم بالثنَاء عليهم كذباً وزوراً، فمن مدحك بما ليس فيك، ذمك بما ليس فيك.

* وقد ذكرت في كتابي «الحب الخالد» في الطبعة السابعة ص ٢٢١، بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم بالسلاح، ولو كان منحرفاً، وذكرت موقف الحسن البصري أمامَ الحجاج المتفق على ظلمه، وموقف الشيخ سعيد النوري أمام أتاتورك!

وهو موضوع اجتماعي حسَّاس ينبغي أن نقف عليه بفهم ودقة، ونُفهمه غيرَنا من ولد وصاحب، حِقناً للدماء، وحفاظاً على البلاد. . . ! اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبدٌ حبشي. . . !

وإلَّا ندمنا ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

اهـ شرح الحديث العاشر

كتبه محمد

* * *

الأَمْرُ والنَّهْيُ

الحَادِي عَشَرَ:

* عن أبـي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ تعالىٰ عنه ـ :

أُنّه سمع النَّبِيَّ ﷺ يقول:

* «مـا نَهَيْتُكُـمْ عَنْـهُ فَـاجْتَنِبُـوه، وَمَـا أَمَـرْتُكُـمْ بِـهِ فَـافْعَلـوا مِنْـهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِكَثْرَةِ مَسائِلِهِمْ، وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ».

متفق علىٰ صحّته

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: بكثرة مسائلهم، لأنها تُسبب الخلاف، وتورثُ النزاعَ. . . !

* وقد وقع ما حذَّر منه الرسول ﷺ، فلقد بلغ من المسائل أن صارت الخيالاتُ البعيدةُ عن العقل تُدَوَّن بالكتب، وتمضي الأوقاتُ الكثيرةُ لدرسِها، والتحقيق عنها، وهي مستحيلة الوقوع عادة!!

* وقد بلغ من الاختلاف أن المسلمين يُكفر بعضُهم بعضاً، ويتعصبون علىٰ بعضهم، وليتهم فعلوا هذا التعصبَ ووجهوا قوتَهم نحوَ الكفار الذين استغلوا هذا الاختلافِ فامتلكوا البلاد، واستعبدوا العباد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اهـ شرح الحديث الحادي عشر

كتبه محمد

* * *

ٱلزُّهْـدُ

ٱلثَّانِي عَشَر:

* عن سهل بن سعدٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ قال:

* جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال:

* يا رسول الله دلَّني على عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُه أَحَبَّني اللَّـهُ، وأحبَّني الناس!

فقال:

* ١ـ «ٱزْهَدْ فِي ٱلدُّنيا يُحِبَّكَ ٱللَّهُ»!!

* ٢ـ وَٱزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ ٱلنَّاسِ يُحِبَّكَ ٱلنَّاسُ»!!

حديث حسن رواه ابن ماجه

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: ازهد في الدنيا، ليس المراد منه أن يتركَ كلَّ عملٍ، ويعتزلَ العالَم؛ بل القصدُ أن يُخرج حبَّ الدنيا من قلبه، مؤدياً ما عليه من الحقوق:

* لا يبخلُ ولا يُسرفُ، فإن الاقتصادَ والاعتدالَ هو الذي أثنَى اللَّـهُ في كتابه علىٰ مَنْ عمل به:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾.

[الفرقان: ٦٧]

اختلاف الناس في الزهد:

فمنهم من قال:

* الزُّهْدُ في الحرام، لأَن الحلالَ مباحٌ من قِبَل الله تعالىٰ، فإذا أنعم الله سبحانه على عبد بمالٍ من حلالٍ، وتعبَّده بالشكر عليه فتركَه باختياره، لا يُقْدِمُ علىٰ إمساكه بحق إلَّا بإذنه.

ومنهم من قال:

* الزُّهْدُ في الحرام واجبٌ، وفي الحلال: فضيلة، فإنَّ إقلالَ المالِ ـ والعبدُ صابرٌ على حاله، راضٍ بما قسمَ اللّـٰهُ له قانعٌ بما يُعطيه ـ أتمُّ من تَوَسُّعِه وتَبَسُّطِه في الدنيا، وأن الله تعالىٰ زهَّد الخلق في الدنيا بقوله:

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧].

ومنهم من قال:

* إن أنفق مالَه في الطاعة، وعلم مِنْ حاله الصبرَ، وتَرْكَ التعرضِ لما نهاه عنه في حال العسر، فحينئذٍ يكون زهده في المال الحلالِ أتمَّ.

ومنهم من قال:

* ينبغي للعبد ألا يختارَ تركَ الحلالِ بتكلفه، ولا طلبَ الفضولِ مما لا يحتاج إليه، ويراعي القسمة:

* فإن رزقه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مالاً مِنْ حلال شكره، وإن وفَّقه الله تعالىٰ علىٰ حدِّ الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال!!

* فالصبرُ أحسنُ بصاحب الفقر، والشكرُ أليق بصاحب المال!!

وتكلموا في معنى الزهد: فكلٌّ نطق عن فهمه، وأشار إلىٰ حده:

قال سفيان الثوري:

الزُّهْدُ في الدنيا: قِصَر الأَملِ، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العَباءة.

* ترقب ترجمةَ هذا الإِمامِ العظيم في ص ١٧٧ من هذا الكتاب.

وَقِيلَ الزهدُ: يؤخذ من **قوله سبحانه:** ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣].

فالزَّاهد:

* لا يفرحُ بموجود في الدنيا، ولا يتأسفُ علىٰ مفقود منها:

* وقال يحيى بن معاذ: الزهد يورث السخاء بالملك!!

* وقال ابن خفيف: وجودُ الراحةِ في الخروج عن الملك!!

* وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد!!

وقال الإمامَ الغزالي ـ رحمهُ الله تعَالىٰ ـ:

الزُّهْدُ:

عبارةٌ عن الرغبة في حظوظ النفس كلِّها إلى ما هو خير منها، علماً بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ.

واعلم:

* أنه قد يظن الظان، أن تارك الدنيا زاهدٌ، وليس كذلك، فإنَّ تركَ المال، وإظهارَ الخشونة، سهلٌ على من أحبَّ المدحَ بالزهد؛ بل لا بد من الزهد في حظوظ النفس!! وله ثلاث علامات:

* ١ ـ **الأُولى:** ألاَّ يفرحَ بموجود ولا يحزنَ علىٰ مفقود!

* ٢ ـ **الثانية:** أن يستويَ عنده ذامُّه ومادحُه!

* ٣ ـ **الثالثة:** أن يكون أنسه بالله تعالىٰ، والغالبُ علىٰ قلبه حلاوةُ الطاعة.

اهـ شرح الحديث الثاني عشر

كتبه محمد عن مصادر مختلفة

* * *

متى يُستحلُّ الدمُ ؟

الثَّالث عَشَر :

* عن ابن مسعود ــ رَضِيَ اللّٰه تعالىٰ عَنْه ــ قال :

قال رسول الله ﷺ :

* «لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إلاَّ بإحدىٰ ثَلاثٍ :

* ١ ــ الثيِّبُ الزان!

* ٢ ــ والنفسُ بالنَّفس!

* ٣ ــ والتاركُ لدينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» . . . !

متفق على صحّته

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

* هكذا هو في النُّسخ «الزان» من غير ياء بعد النون، وهي لغة صحيحة. قرىء بها في السبع كما في قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد: ٩]، وغيرِه.

والأشهرُ في اللغة إثباتُ الياء في كل هذه.

وَفي الحديث :

* إثباتُ قتلِ الزاني المحصن، والمرادُ رجمهُ بالحجارة حتَّى يموتَ.

وهذا بإجماع المسلمين. . .

واعلم أن ارتكاب الكبائر، لا يسلب الإيمانَ، ولا يُحبط الطاعاتِ:

* إذ لو كانت محبطةً لذلك، للزم أن لا يبقىٰ لبعض العصاة طاعةٌ. .

والقائل بالإحباط، يُحيل دخولَه الجنة.

قال الإمام السبكي:

* والأحاديث الدالة على دخول مَنْ مات غيرَ مشركٍ الجنةَ، بلغت عددَ التواتر!!

وهي قاصمة لظهور المعتزلة القائلين بخلود أهل الكبائر في النار.

وأول الحدود:

* الزنا وهو من أكبر الكبائر بعد القتل **لقوله تعالىٰ:**

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

ولإجماع أهل الملل على تحريمه، فلم يحلَّ في ملة قطُّ، ولهذا كان حده أشدَّ الحدود في الجملة. . . !

* ويجلد الزّاني غير المحصن مائة جلدة، ويُغَرَّب عاماً عن بلده.

فالجلد ثبت في القرآن **في قوله تعالىٰ:**

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾.

فائــدة:

ما الحكمة في مشروعية القصاص؟

أقول:

* ١ ــ شرع الله القصاصَ حفظاً للأنفس:

* ٢ ــ وشرع قمعَ الردةِ وقتال المرتدين حِفْظاً للدين!

* ٣ ــ وشرع حدّ الزنا حفظاً للأنساب!

* ٤ ــ وشرع حد القذفِ حفظاً للعرض!

* ٥ ــ وشرع حدَّ السرقةِ حفظاً للأَموال!

* ٦ ــ وشرع حد شربِ المسكر حفظاً للعقل!

وبيان ذلك:

إذا علم القاتل أنه إذا قَتَلَ قُتِلَ، انكف عن القتل فكان ذلك سبباً لحفظ النفس.

وهكذا يُقال في الباقي!!

* فهذه الحدود العظيمة شُرِعتْ لمصالح الناس خاصةً وعامة، وفيها حياةٌ للبشر، واستقرار، وأمنٌ وأمان.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾.

وأمّا قولُه:

* والنفسُ بالنفس.

فالمرادُ به القصاصُ بشرطه.

وقد يستدل به أصحابُ أبـي حنيفة ــ **رضي الله عنهم** ــ وجمهور العلماء علىٰ خلافه، منهم مالك والشافعي والليث وأحمد...!

وأمّا قولُه:

* والتارك لدينه المفارق للجماعة:

فهو عامٌ في كل مرتد عن الإسلام بأيّ رِدَّة كانت.

* فيجب قتلُه إن لم يرجع إلى الإسلام...!

قال العلماء:

* ويتناولُ أيضاً كلَّ خارجٍ عن الجماعة ببدعة، أو بَغْي أو غيرهما، وكذا الخوارجَ وغيرَهم ممن أحدثوا حدثاً مخالفاً لقواعد الإسلام، **والله أعلم**.

واعلم أن هذا عامٌ يُخصُّ منه الصائلُ ونحوُه، فيباح قتلُه في الدفع.

* وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد لا يحل تعمدُ قتلِه قصداً إلاَّ في الثلاثة، والله أعلم.

اهـ من شرح مسلم للمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ١١/ ١٦٤

وقد تناولت موضوعَ الردة في كتابي الصحوة القريبة تناولاً واسعاً وبينت أحكامها وأنواعها وأقسامها بشكل مفصّلٍ وموضَّحٍ ثبتني الله وأحبابي بالقول الثابت.

اهـ شرح الحديث الثالث عشر

كتبه محمد

* * *

متى نُقاتل الناس؟

الرابع عشر:

* عن عَبدِ اللّـهِ بنِ عُمَرَ ــ رضيَ الله تعالى عنهما ــ :

أنّ رسول الله ﷺ قال:

* «أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّـهُ، وَأَنَّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّـهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهم وَأَمْوَالَهُم، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُم عَلَىٰ الله تَعَالَىٰ».

متفق علىٰ صحته

الشرح والتعليق

قوله: «إلا بحق الإسلام وحسابهُم على الله»:

* يعني أنَّ مَنْ ترك حقًّا مِنْ حقوق الإسلام ليس له حق في استعمال العصمة، وقد يؤول الأمرُ إلىٰ سفك دمه إذا كان فيه ضررٌ على المسلمين!! تأديباً وتعزيراً، وهذا يعود أمره إلى الحاكم المسلم. . . !

* ولا عبرةَ بما تُكنه الضمائر وتُخفيه الأفئدةُ، فإنَّ حسابَ ذلك على الله تعالى.

فكلمةُ التوحيدِ:

* هي التي خلق الله ــ سبحانه وتعالىٰ ــ الخلقَ لها وهي: العبارةُ الدالة على الإسلام:

* فكل مَنْ تلفَّظ بها من الإقرار بالرسالة المحمدية فمسلمٌ، وظاهره، بل صريحه أنَّ قائلها مسلم، وإن كان مقلِّداً. . . !

قال الإمام النووي ـ رضي الله عنه ـ مؤلف هذا الكتاب:

* وهو مذهبُ المحققين، فإذا فعلوها: آثرها أي: آثر إذا علىٰ إنْ مع أنَّ إنْ المقام لها، لأَن فِعْلهم متوَقَّع في المستقبل، لأَنه علم إجابةَ بعضِهم فغلَّبهم لشرفهم، أو تفاؤلاً نحو غفر الله لك. . . !

عصموا:

* حفظوا مني دماءَهم وأموالَهم أي منعوها إذ العصمة: المنعة. . . !

والاعتصام:

* الاستمساكُ، فلا يحل سفكُ دمائهم، ولا أخذُ أموالهم إلَّا بحقها، أي الدماء والأَموال هي معصومة، إلَّا عن حقٍ يجب فيها:

* كَقَودٍ، ورِدَّةٍ، وحَدٍّ، وترك صلاة، وزكاة، وحقٍّ آدميٍّ. . . !

وحقُّها:

* ما تبعها من الأَفعال، والأَقوالِ الواجبة التي لا يتم الإسلام إلَّا بها:

فالمتلفظ بكلمة التوحيد يطالب بهذه الفروض. . . !

وقول أبـي حنيفة:

* إنَّ تارك الصلاة كسلاً لا يُقتل لظاهر هذا الحديث؛ **ولخبر**: لا يحلّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ، ولأَنها أمانة بينه وبين الله تعالىٰ، ولأَنها عبادةٌ تُقْضىٰ وتؤدىٰ:

كصوم، وزكاة، وحج، ولأَن الاختلافَ شبهةٌ تُدرأ بها الحدودُ.

وقد أجاب العلماء على هذا.

اهـ من فيض القدير ٢/ ١٨٨ باختصار، وهو موضوع علمي نفيس.

اهـ شرح الحديث الرابع عشر

كتبه محمد

* * *

أَرْكَانُ الإِسْلَام

الْخَامِس عَشَر:

* عن ابن عمر ـ رضِيَ اللَّه تعَالى عنهما ـ قال:

قال رسول الله ﷺ:

«بُنِـيَ الإِسْلام عَلَى خَمْسٍ:

* ١ ـ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ!

* ٢ ـ وإقامِ الصلاة!

* ٣ ـ وإيتاء الزكاةِ!

* ٤ ـ والحجِ!

* ٥ ـ وصومِ رمضان». . . !

متفق عليه

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: «بني الإسلام على خمس»:

* لا أدري ماذا نقول عن شخص يدّعي الإسلامَ ولم يعمل مِنْ هذا البناءِ شيئاً؟

* وهل هو إلاّ مستهزىءٌ بالإسلام يريد استغلال الإسلام، والاستفادةَ منه، بدعوى لا بيِّنَةَ له عليها!

* وما أحسنَ مناسبةَ هذا الحديثِ بما وراءه وهو قولُهﷺ: «لو يُعطى الناس بدعواهم لادعى. . .» إلخ[1].

* فإنَّ هذا يُوافق عصرنا حيث إن كثيرين ممن يدعون الإسلام، وأن لهم فيه قدماً راسخة، لم يصدر عنهم شيءٌ من الأَركان غيرَ دعوى الشهادة فحسب.

* وقد يجوز أن تكون من الشهادة التي ذكرها الله بقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١].

* فلا بدَّ من البينة علىٰ دعوى الإسلام، وهي العملُ بأركانه، والسعيُ خلفَ مصلحة المسلمين.

اهـ عن النسخة القديمة للعوفي

ولقد صدر لنا ــ والحمد لله ــ كتابٌ جديد عنوانه: الإسلام وأركانه الأَربعة، تحدثنا عنها بشكل مفصل ومفيد والحمد لله. . .

اهـ شرح الحديث الخامس عشر

كتبه محمد

* * *

(١) اقرأه في ص ٨٥ على مهل.

البينة واليمين

السادس عشر:

* عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ :

أن رسول الله ﷺ قال:

«لو يُعْطَىٰ النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لادَّعَىٰ رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ، وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنِ البيِّنَةُ على المُدَّعِـي، واليمينُ على مَنْ أَنكر».

حديث حسن رواه البيهقي بهذا اللفظ،
وبعضه في الصحيحين

الشرح والتعليق

* لا يتمكن المدَّعَىٰ عليه: مِنْ صون دمه، وماله!

* ووجهُ الملازمةِ في هذا القياس الشرطي:

أنَّ الدعوىٰ بمجردها إذا قُبِلتْ، فلا فرقَ فيها بينَ الدماء، والأَموال وغيرِهما...

وبطلانُ اللازم ظاهر، لأَنه ظلم...

* وقدَّم الدماءَ لأَنها أعظمُ خطراً، ولكن على المدعىٰ عليه ذكرُ اليمين فقط، لأَنه الحجة في الدعوى آخراً...

* وإلاَّ فعلى المدعي البيِّنةُ لخبر البيهقي بإسناد جيد: «البيِّنةُ على المدَّعي واليمينُ علىٰ من أنكر»...!

* **فقوله**: لكن، إلخ . . . بيانٌ لوجه الحكمةِ في كونه لا يُعطىٰ بمجرد دعواه، لأَنه لو أُعْطِـيَ بمجردها لم يمكن المدعىٰ عليه صون ماله كما تقرر.

* وفيه حجة لمذهب الشافعي من توجه اليمين علىٰ كل من ادُّعِيَ عليه بحق مطلقاً . . .

* **المدعي**: هو مَن يَدَّعِي أمراً خفيّاً يُخالِف الظاهرَ، أو ما لو تَرَك لتُرِك[1].

* **والمدعىٰ عليه**: عَكسُه. فصُدق بيمينه لقوة جانبه . . . !

وقد يكون كلٌّ من المتنازعين مدَّعياً، ومدَّعًى عليه كما في التحالف.

«**واليمين علىٰ مَنْ أنكر**».

* لأَن الأَصلَ براءةُ ذمتِه عما طُلِبَ منه، وهو متمسك به.

لكن لما أمكن أن يكون قد شغلها بما طُلِبَ منه، دفع الاحتمالَ عن نفسه باليمين!!

ثم الحالف:

* هو كل من توجهت عليه دعوى؛ لو أنكر مضمونها لزمته اليمين ما لم تجرَّ إلى فساد . . .

اهـ باختصار من فيض القدير للإِمام المناوي، وفتح المبين لابن حجر.

اهـ شرح الحديث السادس عشر

كتبه محمد

* * *

(١) **المعنى**: لو تَرَك حقَّه لتُرِك، أي تركه المدعىٰ عليه أو الحاكم.

البِرُّ والإثْمُ

السابع عشر:

* عن وابِصَةَ بنِ مَعْبَد ــ رضي الله تعالى عنه ــ أتى رسولَ الله ﷺ، فقال له:

«جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البرِّ والإِثْمِ؟».

قال: قُلْت: نعم.

قال: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؟.

البِرُّ:

* مَا اطْمَأنتْ إليهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إليهِ الْقَلْبُ.

والإثم:

* مَا حَاكَ في النَّفْسِ، وَتَرَدَّد في الصَّدْرِ وَإنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتوكَ».

وفي رواية:

«وإنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُون».

حديث حسن،

رواه أحمد بن حنبل والدارمي وغيرُهما

* وفي صحيح مسلم من رواية النوّاس بن سمعان ـ رضيَ الله تعالى عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال:

* «البرُّ: حُسْنُ الخُلقِ، والإثم: ما حَاكَ في نَفْسِكَ، وكَرِهتَ أن يَطَّلِعَ عَليه النَّاسُ».

الشَّرحُ والتَّعليقُ

البِرُّ:

* كلمةٌ جامعةٌ لخصال الخيرِ: كالصِّلة، والرَّأْفةِ، والصِّدْقِ، والطَّاعةِ لله تعالىٰ . . . !

والإثم:

* هو الذنبُ علىٰ اختلاف أنواعه، وفعلُ ما حرَّم اللَّـهُ: مِنْ ترك واجبٍ، أو فعل حرام . . . !

وهما مِنْ جوامعِ كلم الرسولِ عَلَيْهِ أفضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّسليمِ.

* وذلك أنَّ البر يدخل تحته: الواجبُ، والمندوبُ، والمباحُ!!

* ويدخلُ في الإثم: الحرامُ، والمكروهُ.

وكلٌ منهما معروف غيرُ مجهول . . . !

ومِن أسمىٰ صفاتِ البرّ وأحسنها:

* التخلقُ بالأَخلاق الجميلةِ؛ والتحلي بمكارم الصفات المرضية؛ مَعَ كَفِّ الأَذىٰ عن الناس، وبذلِ الندىٰ والمعروفِ لهم!!

* وإذا اتصفَ إنسانٌ بهذه الصفاتِ الجليلةِ، ارتفع قَدْرُه، وزكتْ روحُه، وحسُنَ حالُه!!

* وقد أثبت عزّ وجلّ أنَّ البرّ يتناولُ كثيراً من صفات الخير ويشملُها مَعَ انحصار كلٍّ من الإيمانِ، والصدق، والتقوىٰ.

قالَ اللّه تعالىٰ:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١١٧].

* فهذه الآية من أجمعِ الآيات وأشملِها، فهي الجامعة المانعة...!

وفي إخبار الرسول عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، عن البر بحسن الخلق:

إشارةٌ عظمى، ودليلٌ قاطع، علىٰ أن مكارم الأَخلاق، ثمرةُ الدين!!

* إنما بُعث عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام متمِّماً لمكارم الأَخلاق.

* فَمَنْ زاد عليك في الخُلق زادك في الإِيمان...!

* وإذا أراد الإِنسانُ أن يصلَ لدرجة الأَبرار، عليه أن يجتهدَ في الطاعات، والأَعمالِ الصالحة، حتَّى يذوقَ حلاوةَ الإِيمان، وحتَّى يُشرقَ في قلبه نورُ الإِخلاص...!

وقَال بَعْضُهُم:

* إنَّ الدينَ كلَّه في حسن الخلقِ، فصاحبُه يتفوق على الصائم القائم.

والإِثم: ما حاك في النفس:

معناه: اختلج وتردد، ولم تطمئن النفسُ إلىٰ فعله بأن أثَّر فيها ورسخَ، وكرهتَ أَنْ يطلعَ عليه الناسُ!!

فيُعرفُ الإثمُ بأحد أمرين:

*** ١ ــ الأوّل:**

أنْ يجدَ الإنسانُ في نفسه عندَ صدوره منه ثِقَلاً، واضطراباً، وقلقاً!!

*** ٢ ــ الثاني:**

أنْ يكره اطِّلاعَ الناس عليه أثناء التباسِه به لسوء قُبحه... !

فعلى الإنسان أن يراجعَ قلبَه إذا أراد الإقدامَ علىٰ فعل شيء؛ فإن اطمأنتْ إليه النفسُ فعله وإلاَّ تركه!!

* فعليه إذاً أن يضعَ يده علىٰ صدره، إذا أراد عملاً، أو أقدم علىٰ أمر؛ فإن الفؤاد يسكنُ على الحلال، ولا يسكنُ على الحرام، وهذا في حق من تنور قلبُه، وأُلهِمَ الصوابُ... !

* **وقال بعض العلماء العاملين:** أبو شجاع الكرماني

* مَنْ غَضَّ بصرَه عن الحرام، وكفَّ نفسَه عن الشهوات، وعمَّر باطنَه بالمراقبة لله تعالىٰ، وتعوَّد أكلَ الحلالِ، لم تُخطىء فِراستُه.. !

والبِرُّ:

* بالكسر أي الفعلُ المرضي الذي هو تزكية النفس، كالبُرِّ في تغذية البدن بالضم هو القمح، وبالفتح ضد البحر ومقابلُه... !

*** وقوله البِرُّ:**

أي معظمُه، فالحصر: مَجازي. وضده: الفجور والإثم، ولذا قابله به... !

وهو بهذا المعنى: عبارةٌ عما اقتضاه الشارع وجوباً أو ندباً... !

والإثم:

ما يُنهىٰ عنه.

* وتارة يُقابَلُ البرُّ بالعقوق، فيكون هو الإحسان، كما أن العقوق عبارةٌ

عن الإساءة!! من بَرِرتُ فلاناً بالكسر أبرُّه بِرًّا فأنا بَرّ وبارٌّ به، وجمعُ الأَول أبرار، والثاني بَرَرَة.

حسنُ الخلق:

* أي التخلقُ معَ الخَلْقِ والخالق. والمرادُ هنا المعروفُ وهو: طلاقة الوجهِ، وكفُّ الأَذىٰ، وبذلُ الندىٰ، وأن يُحبَّ للناس ما يحبُّ لنفسه...!

اهـ من فيض القدير باختصار
كتبه محمد

ومن ثمَّ قال العلماء:

البِرّ يكون:

* ١ ــ بمعنى الصلةِ!

* ٢ ــ وبمعنى الصدقِ!

* ٣ ــ وبمعنى اللطفِ والمبرَّةِ، وحسنِ العشرة، والصحبةِ، ولينِ الجانب، واحتمالِ الأَذىٰ...!

* ٤ ــ وبمعنى الطاعةِ بسائر أنواعها...!

والإِثم:

أي الذنبُ، على اختلاف أنواعه، وتباين صفاته...!

ما حاك:

بحاء مهملةٍ وتخفيفِ الكاف مِنْ حاك يحيك...!

* ومنه قولُهم: ضربته فما حاك فيه السيفُ أي أثَّر، وما يحيك كلامُك في فلان أي يؤثر، وما تحيك الفأسُ في هذه الشجرة...!

وكرهتَ أن يطلعَ الناسُ عليه:

* أي وجوهُهم وأماثلهم الذي يُستحىٰ منهم...!

والمرادُ هنا بالكراهة:

الدينيةِ الخارمة، أي للمروءة.

* فخرجت العاديةُ، كمن يكره أن يُرىٰ آكلاً لحياء أو بخل!!

* وغيرُ الخارمةِ، كمن يكره أَنْ يركبَ بينَ مشاةٍ لتواضع أو نحوِه، فإنه لو رُئِـي كذلك لم يبال...!

* وقد استفيد من هذا السياق، أن للإثم علامتين.

* وهذا الحديث هـو من جوامـع كلمـه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل مـن أوجزها.

* إذ البِرّ: كلمةٌ جامعة لجميع أفعال الخير، وخصالِ المعروف.

قال ابن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ:

البِرُّ:

* أمرٌ هينٌ، وجه طَلْقٌ، ولسانٌ لَينٌ!!

والإثم:

* كلمةٌ جامعة لجميع أفعال الشرِ والقبائحِ كبيرِها وصغيرِها.

اهـ من الفتح المبين باختصار

اهـ شرح الحديث السابع عشر

كتبه محمد

* * *

الإِحْسَانُ وَالتَّحْسِينُ

الثَّامِنَ عَشَرَ:

* عن شدَّادِ بنِ أوسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ :

عن رسولِ اللهِ ﷺ قال:

* «إنَّ الله كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شيء؛ فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإذَا ذَبَحْتُم فأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وليُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرتَه، وليُرِحْ ذَبِيْحَتُه».

رواه مسلم

والقِتلة والذِّبحة بكسر أولهما.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الإِحْسَانُ:

* مصدرُ أحسنَ إذا أتىٰ بالحسن وهو: ما حسَّنه الشرعُ لا العقل خلافاً للمعتزلة كما هو مقرر في الأَصول!!

* والمرادُ به هنا: تحسينُ الأَعمالِ المشروعة، لا مجردُ الإِنعام على الغير:

* لأَن الأَول أعمُّ نفعاً، وأكثرُ فائدةً، لأَن الإِحسانَ في الفعل يعود منه نفعٌ عليه، وعلىٰ غيره، وعلى كل شيء... !

* دخل في هذه الكليةِ: النباتُ، والحيوانُ، آدمياً، وغيرَ آدمي... !

فالإِحسانُ إلى النبات:

* بسقيه، وإزالةِ الأَشواك، والأَحجار المؤخرة لسرعة النمو، فالإِحسان إلى النبات، هو إحسانٌ للإِنسان والحيوانِ.

أما الإِحسانُ إلى الناس:

* فبنصحهم، وتعليمِهم، وإرشادِهم لطريق الهداية!

والإِحسان إلى الملائكة:

* بإحسان عشرتِهم بأن لا يُفعلَ بحضرة الحفظة ما يكرهون: من فعلِ حرام، أو تلفظٍ بقبيح، أو أكل شيء كريه!

والإِحسان إلى الجن:

* بأن يُدخلَهم بسلامه، ويَشملَهم بتحيته كلما أراد أن يتحلل من الصلاة، فإنه يُسن للمصلي أن ينويَ به من ملائكة، ومؤمني إنسٍ وجنٍّ. . . !

* وهكذا يتوزع الإِحسان كلاًّ علىٰ حسبه.

فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة:

* هي بكسر القاف بمعنى الهيئة والحالةِ، وبالفتح: المرة والوحدَة.

كما قال صاحب الخلاصة:

وفَعلةٌ لمرة كجَلسَة
وفِعلةٌ لهيئة كجِلسة

* وأفاد الأَمرُ الوجوبَ لكل قتلٍ جائزٍ ومشروع ذبحاً كان، أو حدًّا من الحدود، أو قَوَداً:

فيكون بآلة غيرِ كالَّةٍ، وطريقةٍ سريعةِ الإِجهاز، معَ قصد عدم التعذيب، ما عدا طريقَ القِصاصِ يُطلب المماثلة فيها. . . !

وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَة:

* بأن يَرفقَ بالبهيمة فلا يَصرعْها بعنف ولا غلظة، ولا يجرها إلىٰ موضع الذبح جرًّا عنيفاً!! كما يصنعه الأجلاف. . . !

* وألاَّ يَحِدَّ آلة الذبحِ أمَامها، وألا يذبحَها أمامَ أختِها، كما يفعل بعضُ الجهلة من الجزارين!!

* ويَعرِضَ عليها الماء، ويذكرَ اللّٰهَ تعالىٰ عند الذبح!!

وهذا الأَدب يُؤخذ من عَجُزِ الحديث، **وهو قوله عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلامُ:**

* «وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، وليُرِحْ ذبيحتَه».

فصلواتُ الله وسَلامُه عَليْك يا سيّدي يا رسُولَ الله:

* يا مَنْ أحسنتَ وعَلَّمتَ وأدَّبتَ. . . !

وقدَّمتَ للمجموعة البشرية كلَّ رفقٍ وإنسانية.

* فجزاك الله عن أمتك خيرَ جزاء. اهـ[1].

اهـ شرح الحديث الثامن عشر

كتبه محمد

* * *

---

(١) **أقول:**

* هذه الآداب ينبغي أن تُراعَىٰ من القائمين على هذا ـ ولا سيما الجزارون ـ . . . !

* فالرحمة لا تنزع إلاَّ من شقي، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء. . . !

* فهذه المدرسةُ الإنسانية، والجامعة المحمدية التي قدمها لنا النبـي الأمي والتي تفوقت على جميع الجامعات وعلت جميع الدراسات، فصلواتُ الله وسَلامُه عَليْك يا سيّدي يا رسُولَ الله!! كلما ذكرك ذاكر، وغفل عن ذكرك غافل. . . !

اهـ محمد

كَمَالُ الإِيمَانِ

التَّاسِع عَشَر:

عن أبـي هريرة ـ رَضِيَ اللَّه تعالىٰ عَنْه ـ :

عن رسول الله ﷺ قال:

* «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيراً أَوْ لِيَصْمُتْ!
* وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِـرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ!
* وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَه».

متفق علىٰ صحّته

الشَّرحُ وَالتَّعليق

قوله: فليقل خيراً أو ليصمت!!

قال الشّافعيُّ ـ رحمهُ الله ـ :

معنىٰ الحديث:

إذا أراد أَنْ يتكلمَ، فليفكر:

* فإنْ ظهر أنه لا ضررَ عليه تكلم!
* وإنْ ظهر أنَّ فيه ضرراً، أو شكَّ فيه أمسك...!!

ولذا قال القشيري ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ :

* السكوتُ في وقته صفةُ الرجالِ، كما أنَّ النطقَ في موضعه مِنْ أشرف الخصالِ...!

وقال الدقاق ــ رحمهُ الله تعالىٰ ــ :

* مَنْ سَكتَ عن الحق، فهو شيطانٌ أخرسُ. اهـ.

ذكر عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في هذا الحديث أموراً ثلاثةً يقتضيها الإِيمانُ بالله تعالىٰ واليوم الآخر:

* ١ ــ أوّلاً: النطقُ بالخير أو السكوت!
* ٢ ــ ثانياً: إكرامُ الضيف!
* ٣ ــ ثالثاً: إكرامُ الجار!

فمن آمن بكل ذلك، طَمِـعَ في الثواب بالمسارعة إلى الخيرات، وكفَّ نفسَه عن القبائح والسيئات. . . !

أما قولُ الخير أو الصمتُ:

* فسعادةُ الإِنسانِ وشقاؤه في طرف لسانِه. . . !

فإن حبسَ لسانه عن الخير، جلبَ عليه النوائبَ، وجرَّ إليه المصائبَ، وأرداه في هوَّةٍ سحيقة. . . !

وقد أمرنا عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في هذا الحديث الشريف بأحد أمرين:

* ١ ــ إما قولَ الخير!
* ٢ ــ وإما الصمتَ!

فمن لم يتيسر له الإِحسانُ في القول، والنفعُ به، فلْيُمسِكْ لسانَه، فإن ذلك أسلمُ له. . . !

ولهذا قال بعضُ الحكماء:

* ما جعل اللّـهُ للإِنسان لساناً وأذنين، إلاَّ ليكونَ ما يسمعُ أكثرَ مما يقول.

* فاللسانُ في الإِنسان، هو هذه الآلةُ الصغيرةُ في حَجْمها، الخطيرةُ في أثَرِها!!

* وهو هذا العضوُ الدقيقُ الرقيق، ولكنه يكاد أنْ يكونَ نصفَ الإنسانِ!

وإذا هيأ اللّـٰهُ تباركَ وتعالىٰ للإنسان التوفيقَ في استعمال لسانه في المعروف والإحسان، فقد ساق إليه خيراً كثيراً.

وأمّا الجار:

* فلفظٌ عامٌ يشملُ المسلمَ وغيرَ المسلم، والصالحَ وغيرَ الصالح، والصديقَ وغيرَ الصديق، والأقربَ داراً والأبعدَ. . . !

وللجار مراتبُ بعضُها أعلىٰ من بعض:

المسلم، القريب، الصالح، الصديق: أولىٰ ممن لم تكن فيه هذه الصفات:

إذ الجيران ثلاثةٌ: **جار له** حقٌّ واحد، **وجار له** حقّان، **وجار له** ثلاثة حقوق!!

* ١ ـ فالجار الذي له حق واحد هو: الكافر!
* ٢ ـ والجار الذي له حقان هو: المسلم!
* ٣ ـ والجار الذي له ثلاثة حقوق هو: المسلم القريب!

وأما إكرام الضيف:

* يكونُ بحسنِ استقبالِه بوجه باش، طليقٍ، ويُظهر له الفرحَ والسرورَ بحضوره عنده!!

* **ويُقدم له** خيرَ ما عنده من الطعام، والشراب، وسائرَ أنواع الراحة!! سواءٌ كان الضيفُ غنيًّا أم فقيراً!!

* وإذا كان ذا سعةٍ، مدَّ إليه يدَ المعونة، والمساعدة بشيء من المال!!

* فالضيفُ يدخلُ بالرحمة والرزق، ويخرج وقد غُفِر لصاحب المنزل.

* **وحُكِيَ** أنه كان لعبد الله بنِ المبارك فرسٌ فجاءه ضيف فذبحه له، فخاصمته زوجتُه فطلقها!!

فإذا برجلٍ قد جاء فقال له: إنَّ لي بنتاً جميلةً. . . !

* فزوجه إياها، وأرسل معها عشرةً منَ الخيل.

فرأىٰ عبدُ الله في منامه قائلاً يقول له:

إنك طلَّقتَ لأجلنا عجوزاً، فقد زوَّجناك بكراً، وذبحتَ لأجلنا فرساً، فقد أعطيناك عشراً. . . !

اهـ شرح الحديث التاسع عشر

كتبه محمد

* * *

مضار الغضب

العشرون :

* عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أَوْصِيني!

قال : «**لا تَغْضَبْ!**».

* فردَّد مراراً!

قال : «**لا تَغْضَبْ**».

رواه البخاري في صحيحه

الشرح والتعليق

قوله : «**لا تَغْضَبْ!**».

* لأَنَّ الغضبَ نوعٌ من أنواع الجنون، فيصدر عن الإِنسان في حالة تهيجه ما لا يرضاه في حال السكينة!!

* فلقد يخرب في تلك اللحظةِ ما عمَّره في السنين الطوال، لأَنَّ التخريب أسهلُ من التعمير!!

* ولما كان مقصودُ الشارعِ المحافظةَ على الأَعمال الصالحة كالحث عليها، كرر الوِصَايَةَ بقوله ﷺ :

«**لا تَغْضَبْ**» :

* لِتَسْتَطيعَ حفظَ ما بنيتَه من الأَعمال، وإلاَّ فإنك تبقى محفوفاً بالخطر، محاطاً به من كل جانب. . . !

* لا تدري متى يتقوضُ ذلك البناء!

اهـ باختصار من تحقيق العوفي عن النسخة القديمة

قال في الفتح المبين:

* يحتملُ أنه أراد أن يعملَ بالأَسباب التي تُوجب حسنَ الخلق:

١ ـ من الكرم، ٢ ـ والسخاء، ٣ ـ والحلم، ٤ ـ والحياء، ٥ ـ والتواضع، ٦ ـ والاحتمال، ٧ ـ وكفِّ الأذىٰ، ٨ ـ والصفح، ٩ ـ والعفو، ١٠ ـ وكظم الغيظِ، ١١ ـ والطلاقةِ، ١٢ ـ والبشرِ، ١٣ ـ وسائر الأَخلاقِ الحسنة الجميلة!

* فإنَّ النفسَ إذا تخلَّقت بهذه الأَخلاقِ، وصارت لها عادةً، اندفعَ عنها الغضبُ عندَ حصول أسبابه!!

* أو أنه أراد ألا يَعملَ بمقتضى الغضبِ إذا حصل؛ بل يُجاهدَ نفسَه علىٰ ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به!

* فإنه إذا ملك الإنسانَ كان في أسره، وتحتَ أمره، ومِنْ ثَمَّ قالَ اللّه تعالىٰ:

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

* فَمن لم يمتثل بما يأمره به غضبُه، وجاهد نفسَه علىٰ ذلك اندفع عنه شرُّ غضبه، وحفظ من آثاره وإلاَّ وقع في هُوَّةٍ سحيقةٍ...!

* وربما سكن ذلك وذهب عاجلاً؛ فكأنه لم يغضب، وإلىٰ هذه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشورى: ٣٧].

* ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.
[آل عمران: ١٣٤].

وأخرج الشيخان:

* «ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نفسَه عندَ الغضب».

وكأنه لم يقنع بقوله: «لا تَغْضَبْ»:

فطلب وصيةً أبلغَ منها وأنفعَ، فلم يزده عَلَيهِ الصَّلاة وَالسَّلام عليها، وأعادها له حيث قال له ثانياً، وثالثاً:

* «لا تَغْضَبْ»، تنبيهاً له بتكرارها علىٰ عظيم نفعِها!!

* ويحتمل أنه عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام علمَ مِنْ هذا الرجلِ كثرةَ الغضب، فخصه بهذه الوصية الصغيرةِ المبنىٰ، العظيمةِ المعنىٰ...!

وفي رواية:

* قال: يا رسول الله! أوصني ولا تُكثر عليَّ. أو **قال**: مُرني بأمر وَأَقْلِلْهُ كي أعقلَه؟ **قال**: «لا تَغْضَبْ».

وفي رواية أُخرىٰ:

* علِّمني شيئاً أعيش به في الناس ولا تُكثر عليَّ! **قال**: «لا تَغْضَبْ»!!

وفي أُخرىٰ:

* **قلت**: يا رسول الله، أوصني! **قال**: «لا تَغْضَبْ»، ففكرتُ حينَ قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضبُ يجمع الشرَّ كلَّه...

ومِنْ ثَمَّ قال جعفر بن محمد ـ رَضِيَ اللَّه تَعَالَىٰ عَنْه ـ:

* الغضبُ مفتاحُ كلِّ شرّ...!

وقيل لابن المبارك:

* إجْمع لنا حسنَ الخلقِ في كلمة...!

* **قال**: تركُ الغضبِ.

اهـ شرح الحديث العشرين

كتبه محمد

* * *

الأحكام والحدود

الحادي والعشرون:

عن أبـي ثَعْلَبَةَ ـ **رضي الله تعالى عنه** ـ عن رسول الله ﷺ **قال:**

* «إنَّ اللّٰهَ تَعالىٰ فَرَضَ فَرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحَدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدُوها، وحَرَّمَ أَشْياءَ فلا تَنْتَهِكُوها، وَسَكَتَ عَنْ أَشْياءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْها».

رواه الدارقطني بإسناد حسن

الشرح والتعليق

* كان أبو ثعلبة ـ **رضي الله تعالى عنه** ـ ممن بايعَ تحتَ الشجرةِ، وضرب له ﷺ بسهمه يومَ خيبر، وأرسله إلىٰ قومه فأسلموا. نزل الشام، ومات أوّلَ إمرةِ معاويةَ ـ **رضي الله عنهما** ـ . . . !

وقوله: «إنَّ الله تعالىٰ فرض فرائض»!

الفرض في اللغة:

* القطع والتقدير، وفي الاصطلاح:

* ما يُثابُ علىٰ فعله، ويُعاقبُ علىٰ تركه. . . !

* وفرضَ بمعنى أوجبَ وحتَّم العملَ بها، ويدخلُ الركنُ، والواجبُ، وفرائضُ الأعيان، والكفاياتِ على اختلاف أنواعها وتبيان صفاتها.

* فنهانا **عليه الصلاة والسلام** أن نضيع شيئاً من هذه، أو نتهاونَ بتركها فنأثم ونخسر خسارةَ الأبد. . . !

* **والحنفية**: فرَّقوا بين الواجب والفرض!!

فالأول ما ثبت بدليل ظني، **والثاني** ما ثبت بدليل قطعي...!

* **والشافعية**: لم يفرقوا بينَ الواجب والفرض والركن إلاَّ في الحج.

وحدَّ حدوداً، جمعُ حدٍّ!!

وهو لغة:

* الحاجزُ بينَ الشيئين!

وشرعاً:

* عقوبةٌ مقدَّرةٌ من الشارع تزجر عن المعصية...!

* أي: جعل لكم حواجز، وزواجر مقدسةً، تحجزكم وتزجركم عمَّا لا يرضاه، وتقطع الفوضىٰ من دابرها...!

* فدخلتِ الحدودُ بجميع أنواعها: كالسرقة، والخمر، والقذف، التي في إقامتها حياةُ البشرِ، واستتبابُ الأَمنِ، واستقرارُ النّاسِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وإلاَّ سادت الفوضىٰ، واختل الأمن...!

فالزيادةُ في الحدود، والنقصُ تعود إلىٰ اجتهاد الحاكم:

* جَلَد عمر ـ رضي الله عنه ـ ثمانين في الخمر، واقتصر **أبو بكر** علىٰ أربعين وهكذا الاجتهاد له حكمه في الإسلام...!

ويصح حملُ الحدودِ هنا على الوقوف عندَ الأَوامرِ والنواهي! ومنه:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].

* فلا تتجاوزوا ما حدَّ لكم بمخالفة المأمورِ، وارتكاب المحظور.

* **وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها**، أي: لا تتناولوها ولا تَقْرَبوها، فيحرمُ ارتكابُها كما يحرم القربانُ منها!!

وذلك كشهادة الزور، وأكلِ مال اليتيم، والربا!!

* **غير نسيان** لأَحكامها، لأَن الله لا يَضلُّ ولا ينسىٰ...!!

* **فلا تبحثوا عنها،** أي فلا تستكشفوا عن أحوالها، ولا تسألوا عنها، فإن أعظم المسلمين في المسلمين جُرماً من سأل عن شيء لم يُحرَّم، فَحُرِّم لأَجل مسألته، وهذه حكمة عظيمة، قلَّ من ينتبه لها...!

اهـ من الفتح المبين باختصار

كتبه محمد وهو بحث علمي نفيس

* * *

التقوى

الثاني والعشرون:

* عن أبي ذر ومعاذ ــ رضي الله تعالى عنهما ــ :

عن رسول الله ﷺ قال:

* «اتقِ الله حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ»!!

رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض نسخه المعتمدة: حديث حسن صحيح

الشرح والتعليق

* هذا الحديث من جوامع كلمِه عليه الصلاة والسلام، وهو حديثٌ عظيمٌ قد اشتمل على ثلاثة أحكام:

* ١ ــ حقِّ الله!
* ٢ ــ وحقِّ المكلَّفِ!
* ٣ ــ وحقِّ العِباد!

أما حق الله تعالى:
فحيثما كنتَ فاتَّقه، فإنه ناظرٌ إليك، ورقيبٌ عليك!!

وأما حق المكلف:
إذا وقع في ذنب، فيُبادر إلى التوبة والاستغفار، السيئةُ تمحوها الحسنةُ!!

وأما حق العباد:
فهو معاشرتُهم بخلق حسن؛ وأنْ يَلقاهم بوجهِ طليقٍ وثغر باسم...!

وَمعنى هَذا :

* امتثل أيها المكلفُ! أوامرَ اللّـهِ، واجتنب نواهيَه في كل مكان، وفي كل زمان وأوان!!

* فإنه معك أينما كنتَ، وناظر إليك أينما توجهتَ، ومطَّلع عليك أينما رحلتَ فهو معنا ــ والحمد لله ــ أينما كنا. . . !

ومعنى التّقوىٰ :

* هي امتثالُ أوامرِ الله، واجتنابُ ما نهى عنه!!

وفسر التقوى **الإمَام علِي كَرّمَ اللّه وجْهَه بقَوله:**

* ١ ــ هي الخوفُ من الجليل.

* ٢ ــ والعملُ بالتنزيل.

* ٣ ــ والقناعةُ بالقليل.

* ٤ ــ والاستعدادُ ليوم الرحيل. . . !

* وجاء في تفسير **قوله تعالىٰ :** ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

* معناه: أن يُطاعَ فلا يُعصىٰ، ويُذكرَ فلا يُنسىٰ، ويُشكرَ فلا يُكفر.

وَقَال بَعْضهُم :

* لا مُعين إلاَّ اللّـهُ، ولا دليلَ إلاَّ رسولُ الله، ولا زاد إلاَّ التقوىٰ!!

وحقيقة التّقوىٰ :

* متوقفة على العلم بأحكام الدين؛ إذ الجاهلُ لا يعرف كيفَ يتقي اللّـهَ عز وجلَّ لجهله الأَحكامَ أمراً ونهياً، فالعلم هو الأَساسُ لبناء المثَلِ الكاملِ للمؤمن الذي يريد التقوى.

والخُلق الحسنُ:

* ملكة نفسانية، تحمل صاحبَها علىٰ فعل الجميل، وتجنب القبيحِ، مَعَ

طلاقةِ الوجه، وكفِّ الأَذى، وبذلِ المعروف، والعفوِ عن الزالِّين من غير عتاب، ويقبل عذرَ المعتذرين، وحينئذ تجتمع القلوبُ، وتتّفق العلانيةُ.

وقال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ :

أربعٌ ترفعُ العبدَ أعالي الدرجات وإن قلَّ عملُه وعلمه:

* ١ ـ الحلمُ!!
* ٢ ـ والتواضعُ!!
* ٣ ـ والسخاء..
* ٤ ـ وحسنُ الخلق.

من أُعْطِيَ خُلقاً حسناً، وزوجةً صالحة، فقد أُعطيَ خيري الدنيا والآخرة...

وقيل لذي النون المصري: مَنْ أكثرُ الناس همّاً؟

قال: أسوؤهم خُلُقاً...!

اهـ شرح الحديث
كتبه محمد

* * *

حديث معاذ العظيم
العمل الذي يدخل الجنة وينجي من النار

الثالث والعشرون:

عن معاذ ــ رضي الله تعالىٰ عنه ــ قال:

* قلتُ: يا رسول الله! أَخْبِرني بعملٍ يُدخِلُني الجنَّةَ، ويُبَاعِدُني من النارِ!!

* قال:

«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسيرٌ عَلىٰ مَنْ يَسَّره الله تعالىٰ عليه:

* ١ ــ تعبُدُ اللّٰهَ ولا تُشْرِكُ به شيئاً!

* ٢ ــ وتُقِيمُ الصَّلاةَ!

* ٣ ــ وَتُؤْتِـي الزَّكاةَ!

* ٤ ــ وتصومُ رمضان!

* ٥ ــ وَتَحُجُّ البيتَ»!

ثُمَّ قال: «ألا أدلُّكَ عَلَىٰ أَبواب الْخيرِ؟

* ١ ــ الصومُ جُنَّةٌ!

* ٢ ــ والصَّدَقَةُ تُطْفىء الْخطيئةَ كما يُطفىءُ الماءُ النارَ!

* ٣ ــ وصلاةُ الرجلِ في جوف الليلِ ــ ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

* **ثُمَّ قَال**: «ألا أُخْبِـرُكَ ١ ــ بِـرأسِ الأَمـر ٢ ــ وَعَمُـودِهِ ٣ ــ وَذِروةِ سَنامِهِ؟».

* **قلت**: بلىٰ يا رسولَ اللّٰهِ!

* **قَال**: «١ ــ **رَأْسُ الأَمْـرِ** الإِسْـلَامُ، ٢ ــ **وَعَمُـودُه** الصَّـلاةُ، ٣ ــ **وَذِرْوَةُ سَنامه** الْجِهادُ».

* **ثُمَّ قَال**: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّه؟

* **قلتُ**: بلى يا رسولَ الله!

* **قَال**: «فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عليكَ هَذَا!».

فقلتُ: يا نَبِـيَّ اللّٰهِ! وإِنَّا لَمُؤَاخذونَ بما نتكلَّمُ بِهِ؟

* **فقَالَ**: «ثَكِلَتْـكَ أُمُّـكَ، وَهَـل يَكُـبُّ النـاسَ فـي النَّـار عَلَـىٰ وُجُوهِهم، أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: «**وذروة سنامه: الجهاد**»، فإنَّ تركَ الجهاد فهو دليلُ العجزِ، والاستسلامِ للعدو، فيبقى الإسلام بيتاً لا سقف له يحميه! أي إنه لا يصلح للاستعمال، ولا تحصل الفائدةُ المطلوبة منه، فالجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة... وهذا الحكم كاد أن يتعطل!!

ومهما مُنِحَتْ حريةُ العِبادةِ من غير المسلمين، فإنها مقيدةٌ باستحصال أمْرِ عدوٍّ تلك العبادةِ، فأيُّ خيرٍ يُرجَىٰ مِنها يا تُرىٰ؟ **فليتنبَّه لهذا!!**

* **فما ألذَّ هذه الجملةَ ــ وهي من جوامع كلمه ﷺ ــ !!**

ذروة السنام: أعلاه، وهي بضمّ الذّال وكسرها.

وقوله: «كفَّ عليك هذا»:

لأَنَّ اللّسان تَرجمانُ القلبِ، فيجوز أن تتكلم بما لا تعتقده فتُعاملَ بموجب ما تكلّمت!!

* ولا يفيدُك سردُ المعاذير، وإن أفادتك في عدم إقامة الحد، فلا تفيدك من الشبهة التي أصبحت لا تُفارقك، ولا تدري كيف التخلصُ منها!!

وقوله: «حصائدُ ألسنتِهم»:

لأَنَّ الله منحَ الإنسانَ نعمةً عظيمةً وهي أن التصور القلبيَّ ومجردَ الهمّ لا يؤاخذ عليه!!

* فمتىٰ تكلم فقد كُتبَ به عليه، وعرَّض نفسَه للمسؤولية التي لولا لسانُه لكان منها ناجياً وبريئاً. اهـ.

وقوله: «يا نبي الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟»:

* استفهامُ استثبات وتعجبٍ واستغرابٍ!!

* **فقال: «ثكلتك أمك»:**

أي فقدتك أمك، لفقدك إدراكَ المؤاخذةِ بذلك مع ظهورها!!

* وهذا مما غلب جريانه علىٰ ألسنتهم في المحاورات، للتحريض على الشيء والتهييج إليه من غير إرادة حقيقة معناه من الدعاء على المخاطب بموت.

* **و «هل»:**

استفهام إنكاري بمعنى النفي أي: ما يكُب ــ بضم الكاف ــ الناسَ ــ أي أكثرَهم ــ أي يُلقيهم في النار على وجوههم... !

* «**أو قال علىٰ مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم**»:

أي ما تكلّمتْ به من الإثم، **حصائدُ**: جمعُ حصيدةٍ بمعنى محصودةٍ، شبَّه ما تكسبه الأَلسنةُ من الكلام الحرام بحصائد الزرع، بجامع الكسب والجمع، وشبَّه اللسانَ في تكلمه بذلك بحدِّ المنجل الذي يحصد به الناسُ الزرعَ، ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيهُ ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان بالمنجل!!

والحصر في ذلك إضافي:

* إذ من الناس مَنْ يكبه في النار عملُه لا كلامه؛ لكن ذلك خُرِّجَ مَخْرَجَ المبالغة في تعظيم جرائم اللسان!!

كـ «**الحج عرفة**»، أي معظمه، كما أن معظمَ أسباب النارِ الكلامُ!

وكـ «**الدِّين النصيحةُ**»!!

وقد عقد الإمام الغزالي كتاباً لآفات اللسان وبيانِ خطره **فقال**:

* اِعلمْ أن خطر اللسان عظيمٌ، ولا نجاةَ منه إلاَّ بالنطق بالخير «لا يستقيم إيمانُ العبد حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمَ قلبه حتى يستقيمَ لسانُه».

وكان ابنُ مسعود ـ **رضي الله عنه** ـ **يقول**:

* يا لسانُ قل خيراً تغنمْ، واسكت عن شرٍ تَسلمْ من قبل أن تندم!!

وذكر ـ **رحمه الله تعالى** ـ آفات اللسان وما يجرُّ من ويلات **قائلاً**:

* **فمنها** الخوضُ في الباطل، وهو الكلام في المعاصي!!

* كحكاية أحوالِ النساء، ومجالسِ الخمر، ومقاماتِ الفسَّاق، وتكبُّرِ الجبابرة، ومراسِمِهم المذمومة، وأحوالِهم المكروهةِ، مما لا يحل الخوضُ فيه.

* **ومنها** التشدُّق وتكلُّفُ السجعِ والفصاحة، والتصنعُ فيه، فإنَّه من التكلف الممقوت...!

* ومقصودُ الكلام التفهيمُ للغرض وما وراء ذلك تَصَنُّعٌ مذمومٌ!

* **ومنها** الفحشُ والسب وبذاءةُ اللسانِ، **وهو** مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم!!

* وقد أطال الشيخ – رحمه الله – في ذكر الآفات، وبسطها بسطاً واضحاً، وعدَّ الأَخطارَ التي تعتري اللسانَ فتكون سبباً لهلاك الإنسان وحتفِه حتَّى أوصلها إلىٰ عشرين آفةً. راجع الإحياء تقف على الداء والدواء.

اهـ شرح الحديث

كتبه محمد

* * *

المَوْعِظَةُ المُؤَثِّرَةُ

الرَّابِعُ وَالعُشْرُونَ :

* عن العرباض بنِ ساريةَ ـ **رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ** ـ **قال** : وعَظَنَا رسولُ الله ﷺ موعظةً : وَجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العيونُ **فقلنا** : يا رسول الله! كأنها موعظة مُودِّع فأوصِنا!.

* **قال** : «أوصيكم بتقوى الله والسَّمْعِ والطَّاعةِ، وإن تأمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وإنه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرىٰ اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الراشِدِينَ، المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عليها بالنواجذ! وإيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمور! فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ».

رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

وقد ذكرنا في صفحة (١٠٧) معنى التقوىٰ ولنذكر الآن فوائدَها **فنقول** :

* ١ ـ **منها** :

الحفظُ والحراسةُ من الأعداء، **لقوله تعالى** :

﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران : ١٢٠].

* ٢ ـ **ومنها** :

إصلاحُ العمل وغفرانُ الذنوب، **لقوله تعالى** :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١].

* ٣ ـ ومنها :

المحبةُ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [التوبة : ٧].

* ٤ ـ ومنها :

الإكرامُ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣].

* ٥ ـ ومنها :

البشارةُ عندَ الموتِ، لقوله تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس : ٦٢ ـ ٦٤].

* ٦ ـ ومنها :

النجاةُ من النار، لقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم : ٧٢].

* ٧ ـ ومنها :

الخلودُ في الجنة، لقوله تعالى :

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣].

* ٨ ـ ومنها :

النجاةُ من الشدائد وحصولُ الرِّزْقِ الحلالِ، لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [الطلاق : ٢، ٣].

قال أكثر المفسرين:

* هذه الآية نزلت في عوف بنِ مالك الأَشجعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ؛ وذلك أن المشركين أسروا ابناً له، فأتىٰ رسولَ الله ﷺ وشكىٰ إليه الفاقةَ، وأخبره بأسر ولده، وجزع الأُم!!

* قال عوف: فما تأمرنا؟

فقال عليه الصّلاة والسّلام:

* «اتّقِ الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»!!

فعاد لبيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياكِ أن نستكثرَ من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله!!

فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به!!

* فجعلا يقولان ذلك، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمَهم وجاء بها إلىٰ أبيه، وهي أربعة آلاف شاة! فنزلت الآية . . .

* ورحم اللّـٰهُ ابنَ الوردي حيث قال في لاميّته:

* اِتّقِ اللّهَ فتقوىٰ اللهِ ما
جاورتْ قلبَ امرئٍ إلاّ وَصَلْ

* ليسَ مَنْ يقطعُ طُرقًا بَطلًا
إنّما مَنْ يتّقِ اللّهَ البَطَلْ

اهـ شرح الحديث

كتبه محمد

* * *

حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما [1]

الخامس والعشرون:

* روي أنَّ ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يوماً فقَال:

* «يا غُلامُ إني أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجدْهُ تُجَاهَكَ، وَإذَا سألْتَ فَاسْألِ اللَّـهَ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِـنْ باللَّه، وَاعْلَمْ بأنَّ الأُمَة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَـيْءٍ قَـدْ كَتبَـهُ اللَّـهُ لَـكَ، وَإنْ اجْتَمَعُـوا عَلَـىٰ أَنْ يَضُـرُّوكَ بِشَـيءٍ، لَـمْ يَضـرُّوكَ إلاَّ بِشَـيْءٍ قَـدْ كَتبَـهُ اللَّـهُ عَليـكَ، رُفِعَـتِ الأَقْـلامُ وَجَفَّـتِ الصُحُفُ.

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

* وفي رواية غير الترمذي:

* احْفَظِ اللَّـهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبَك، وما أصابك لم يكن ليخطئَك، وفي آخره: واعلم أنَّ النّصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسراً.

---

(1) انظر ترجمة ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ في كتابي سمير المؤمنين ط الثانية عشرة، ص ١٠٧ فهي ترجمة رائعةٌ.

قوله:

فاسأل الله، لأَنَّ عزَّة الإسلام تأبى الذلَّةَ، والخنوعَ لغير الخالق الذي له المنَّة!!

فإن سؤال شخصٍ مثلِك يسوقك إلى الخمول، واعتبارِ المسؤول:

* ١ ــ إما أعلىٰ من البشرية وهذا يُخالف التوحيدَ الصرفَ!
* ٢ ــ وإما أنه في مرتبة الإنسانية فيكون السائلُ أحطَ قدراً من الإنسانِ مع أنه تعالىٰ خلقه بشراً سويّاً.

قولُه:

فاستعن بالله أي: من حيث اعتقادُك النفعَ، والضُرَّ، لا المساعدةَ في الأَعمال، فقد حث عليها تعالىٰ بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقوله ــ في رواية الترمذي ــ:

«النصر مع الصبر» إلخ قاعدةً من قواعدِ الدين، أغفلها معظمُ الناس وهي: عدمُ إعطاءِ فرصة لحصول اليأس إلى القلوب، فالمسلمون يجب أن يكون لهم عزم شديد في حال الكرب، لا يقل عن وقت الفرج، وفي حال الهزيمة، لا يقل عن زمن النصر، وأن تكون نُصْبَ أعينهم آية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١].

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

اهـ من تحقيق النسخة القديمة للعوفي

كتبه محمد

* * *

الإيمان بالقدر

السادس والعشرون:

* حديثُ ابنِ عمرَ عن أبيه عمر بنِ الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في الإيمان بالقدر، وبيانِ الإيمان، والإسلام، والإحسان، وبيان علاماتِ يومِ القيامة. . . !!

* * *

* فهـذه الأَحاديثُ التي ذكرهـا الشيـخ أبـو عمـرو بنُ الصلاح ـ رحمهُ الله تعالى ـ.

ومما في معناها:

أحدُها وهو: السابع والعشرون الآتي[1].

الشرح والتعليق

حديث ابن عمر عن أبيه هو كما ورد في صحيح مسلم:

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال:

بينما نحن جلوسٌ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتَ يومٍ، إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شَديدُ بياضِ الثيابِ شَديدُ سَوادِ الشَّعرِ لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفرِ ولا يعرفه منّا أحدٌ، حتى جلس إلى النبـي ﷺ

* فأسنـدَ ركبتَيـه إلىٰ ركبتَيـه وَوضعَ كفيـه على فخذيـه وقال يـا محمّد،

---

(١) يأتي في ص ١٢٥ وهو عن الاستقامة.

أخبرني عن الإسلام!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

* **الإسلامُ أن تشهدَ أنْ لا إلـه إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله،**
١ ــ وتقيمَ الصَّلاة،
٢ ــ وتؤتيَ الزَّكاة،
٣ ــ وتصومَ رمضان،
٤ ــ وتحجّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً.

قال: صدقتَ.

فَعَجِبْنا له يسألُه ويصدِّقه!!

قال: فأخبِرني عن الإيمان!!

قال: أن تؤمنَ باللَّـهِ، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه.

قال: صَدَقْتَ.

قال: فأخبِرني عن الإحسَانِ!!

قال: أن تعبدَ الله كأنّكَ تراهُ فإنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ.

قال: فأخبِرني عن السَّاعَةِ!!

قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ مِنَ السَّائلِ.

قال: فأَخْبِرني عَنْ أمَارَاتِها!!

قال: أَنْ تَلِدَ الأمةُ رَبَّتَهَا، وأن تَرىٰ الحُفَاةَ العُراةَ العَالةَ رعَاءَ الشَّاءِ يَتَطاولُونَ في البنيانِ...!

ثُمَّ انطلَقَ، فلبثتُ مليّاً ثم قَالَ: يا عُمرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟

قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلم.

* **قال: فإنه جبريلُ أتاكُم يُعلِّمكم دينكم.** رواه مسلم

أقول: هذا الحديثُ العظيم الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، لا يحتاج إلى شرح وبيان، لأن ما أجمله عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام مِن أركان الإسلام وواجباته، وأركان الإيمان ومفرداته، قد تناوله العلماء الأعلام: قديماً وحديثاً، شرحاً وتفصيلاً. . . !

وعرَّف الإحسانَ تعريفاً واضحاً ليس عليه غبارٌ، ثم كشف لنا في تلك الزيادة عن علامةٍ مِن علاماتِ الساعة، التي شوهدت بالأعيان من تناطح السحاب في البنيان، وهذا نبأٌ عظيم ليس كان بالحسبان، حيث قامت الحفاة من رعاء الشاة في هذا البناء المخيف حيث نافسوا في قصورهم صروح الفراعنة. . . !

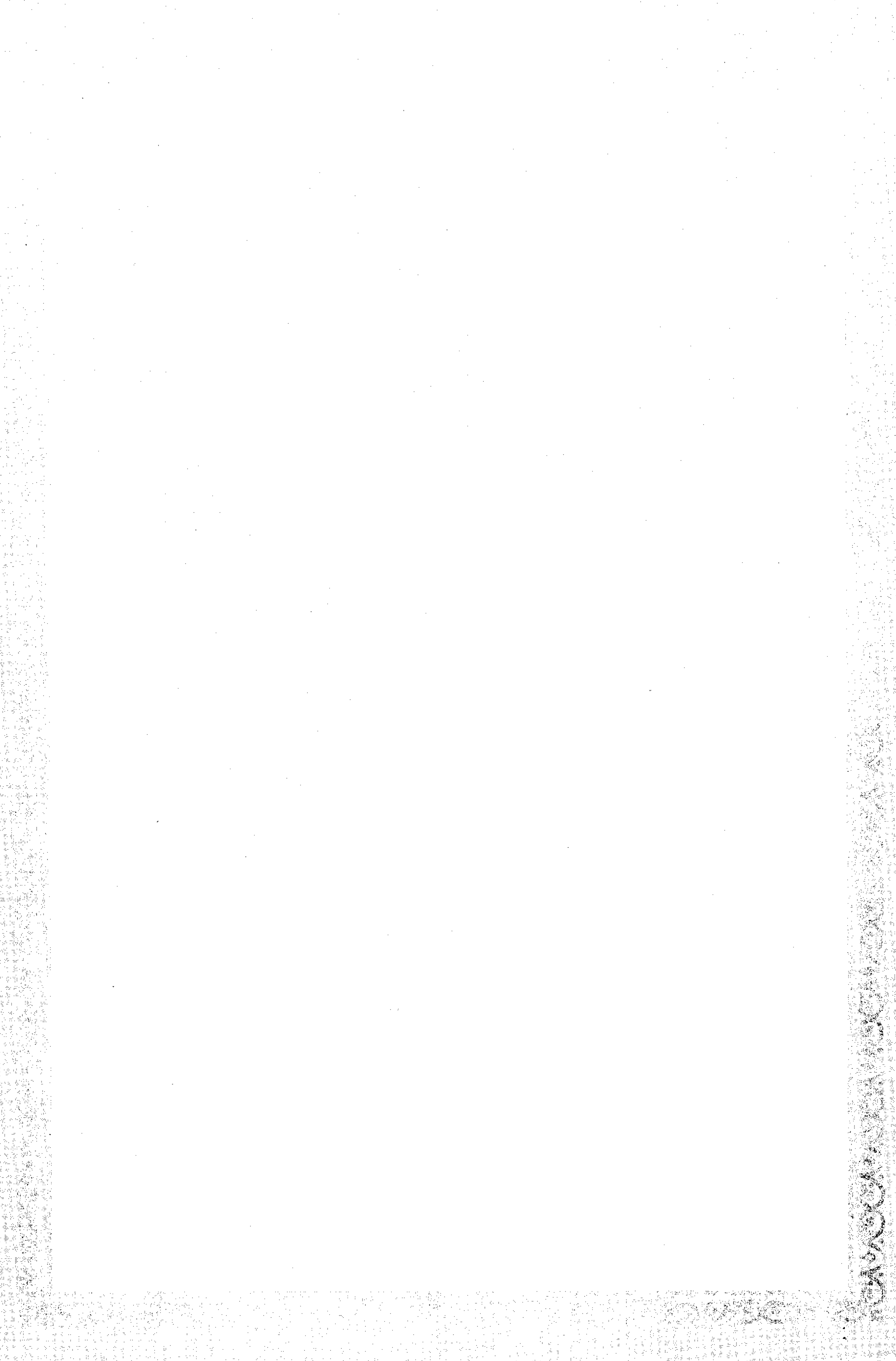
ثم أعطانا جبريلَ عليه السّلام درساً علمياً!! حيث زار تلك الحلقةَ العلميةَ التي يرأسها رسولُ الله ﷺ باسم متعلّم ومسترشد فشرع يسأل ويُصدقُ، وهذا أسلوب بلاغي عظيم لتلقّي العلم وتفقُّهه. . . !

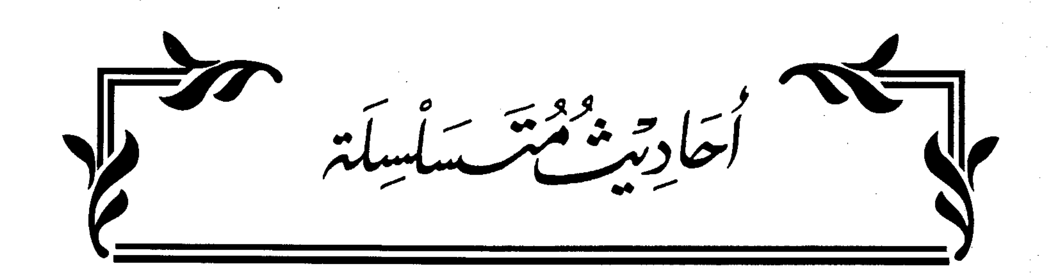
وقد ظهر لي كتاب ــ والحمدُ لله ــ عنوانه: «الإسلام وأركانه الأربعة» فيرجع إليه في ذلك. . . لمن أراد. . . !

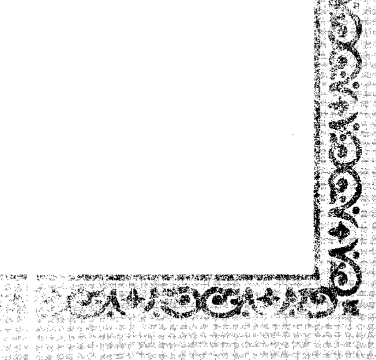
* * *

هذا ما تيسَّر من الكلام على الأحاديث السابقة، والتي ذكرها الشيخ ابن الصلاح رحمه الله، ثم يذكر الإمام النووي أحاديث أخرى في معنى السابقة، ويبدأها بحديث الاستقامة الآتي ذكره.

* * *




أَحَادِيثُ مُتَسَلْسِلَةٌ



أحاديث متسلسلة

الاستقامة

السابع والعشرون :

* عن سفيانَ بنِ عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيْرَكَ!

* قال: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ».

رواه مسلم

الشرح والتعليق

علىٰ عمل الطاعات، والانتهاء عن جميع المخالفات؛ إذ لا تتأتى الاستقامةُ مَعَ شيء من الاعوجاج فإنها ضدُّه. . . !

* وهاتان الجملتان منتزَعَتَانِ من قوله تعالىٰ :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

[فصلت: ٣٠]

* أي آمنوا بالله ووحَّدوه معَ ظهور ألوهيته وتربيته لهم، ثم استقاموا واعتدلوا علىٰ ذلك، وعلىٰ طاعته اعتقاداً، أو قولاً، وفعلاً:

* وداوموا علىٰ ذلك إلىٰ أن يتوفاهم عليه. . . !

ويؤيد ذلك قولُ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ :

استقاموا والله علىٰ طاعته، لم يروغوا روغانَ الثعالب. . . !

* وقال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ :
استقاموا علىٰ شهادة أن لَا إلـٰهَ إلَّا الله؛ وكذا قاله جماعةٌ آخرون.

* وقال أبو بكر ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ :
لم يُشركوا بالله شيئاً ولم يلتفتوا إلى إلـٰهٍ غيرِه. . . !

فقول الصِّدِّيق:

* محمولٌ علىٰ مراعاة الأُصول في التوحيد!!

وقول عمر:

* محمولٌ علىٰ ترك طلب التأويل، والقيام بشرط العهود!!

وقال ابن عطاء الله:

* استقاموا علىٰ انفراد القلبِ بالله. . . !

وقال أبو علي الجوزجاني:

كنْ صاحبَ الاستقامةِ، لا طالبَ الكرامةِ، فإنَّ نفسَك متحرِكةٌ في طلب الكرامة، وربُّك عز وجل يُطالبك بالاستقامة!!

* واعلم أن الاستقامة تُوجب الكرامة!!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦].

* لم يقل: سقيناهم؛ بل قال: أسقيناهم. يُقَال: أسقيته إذا جعلت له سقياً فهو يُشير إلى الدوام. . . !

ٱلِٱسْتِقَامَةُ:

* درجةٌ بها كمالُ الأُمور وتمامُها، وبوجودها حصولُ الخيراتِ ونظامُها، ومَنْ لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيُه، وخاب جُهدُه.

* ونقل أنه لا يُطيقها إلاَّ الأَكابرُ، لأَنها الخروجُ عن المألوفات، ومفارقةُ الرسوم والعادات، والقيامُ بينَ يدي اللَّـهِ تعالىٰ علىٰ حقيقة الصدق:

* ولعزتها أخبر عليه الصلاة والسلام أن الناس لن يُطيقوها!!

فقد أخرج أحمد:

* **استقيموا ولن تُطيقوا...**

اهـ من الرسالة القشيرية والفتح المبين

كتبه محمد

* * *

ٱلْحَيَاءُ

ٱلثَّامِنُ وَٱلْعِشْرُونَ:

* عن أبي مسعود البدري عقبة بنِ عمر ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عنْهُ ـ قَال، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

* «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

رواه البخاري في صحيحه

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله:

إذا لم تستح، أي من الله ولا رسوله، فلا تبالِ بارتكاب أيِّ عمل شئته.

* وهذا أمرٌ للتهديد الشديد، فإنَّ مصيرَك إلينا، وسوف ترىٰ ما قدمتَه من العمل. . . !

﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦].

* أي فإنك ستُجازىٰ عليه، فهو أمرُ تهديدٍ وهو وعيد لمن ترك الحياء!

ومعناه: أن عدمَ الحياءِ يُوجبُ الاستهتار والانهماك في هتك الأَستار!

* فعُلم أن الحياء مِنْ أشرف الخصال، وأكملِ الأَحوال، ومِنْ ثَمَّ قال ﷺ:

«الحياءُ خيرٌ كُلُّه، الحياءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

* وجاء أنه ﷺ كان أشدَّ حياءً من البكر في خِدْرها. . . !

* وصحَّ أنَّ الحياء شعبةٌ من شُعَبِ الإيمانِ. . . !

* وإنَّ من الحياء الطبيعي ما يُذمّ شرعاً. كالحياء المانع من الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر معَ وجودِ شروطه، فإن هذا جبن لا حياء!

* ومثله الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين إذا أشكلت عليه!

* ومِنْ ثمَّ قالت السيدةُ عائشة ـ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا ـ : نِعْمَ النِساءُ نِساءُ الأنصارِ لم يَمنعْهُنَّ الحياءُ أن يَسْأَلنَ عن أَمْرِ دينهِنَّ. . . !

وَفي الحديث :

* إن ديننا هذا لا يصلُح لمستحي ـ أي حياء مذموماً ـ ولا متكبر. . . !

«حــده»

* ثم الحياء بالمد انقباضٌ وخشية يجدها الإنسان من نفسه عندما يُطَّلَعُ منه على قبيح. . . !

سئل الجنيد ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ عن الحياء؟

فقال :

* رؤيةُ الآلاءِ، ورؤيةُ التقصيرِ، فيتولد مِنْ بينهما حالةٌ تسمىٰ : **الحياءَ**.

وعن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ أن نبـي الله ﷺ قال ذاتَ يوم لأصحابه :

* استحيوا مِن الله حقَّ الحياء!

قالوا : إنا نستحي يا نبـيّ الله!

قال : «ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقَّ الحياء!

* ١ ـ فليحفظِ الرأسَ وما وعىٰ!

* ٢ ـ وليحفظِ البطنَ وما حوىٰ!

* ٣ ـ وليذكرِ الموتَ والبلىٰ!

وَمَنْ أرادَ الآخرةَ ترك زينةَ الحياةِ الدنيا، فَمنْ فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء».

وقال بعضُ الحكماء:

* أحيوا الحياء بمجالسة مَنْ يُستحيا منه. . . !

وقال ابنُ عطاء:

* العلمُ الأكبرُ: الهيبةُ والحياء، فإذا ذهبتِ الهيبةُ والحياء لم يبق فيه خيرٌ.

اهـ من الرسالة القشيرية باختصار

كتبه محمد

* * *

حديث جابر رضي الله تعالى عنه

التاسع والعشرون:

* عن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال أنَّ رجلاً: سأل النبي ﷺ فقال:

* «أرأيتَ إذا صليتُ الصلواتِ الْخَمْس الْمَكْتُوباتِ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وَحَلَّلتُ الْحلالَ، وَحَرَّمْتُ الْحرامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئاً أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قال: نعَمْ»...

رواه مسلم

الشرح والتعليق

شهيد أحد

والدُ جابرٍ اسمُه عبدُ الله، شهدَ العقبةَ معَ السبعينَ، وشهدَ بدراً، واستُشهِدَ بأُحد ولما بلغ جابراً موتُه أقبل فإذا هو بينَ يدي النبـي ﷺ مُسجَّى:

قال جابر:

* فتناولتُ الثوبَ عن وجهه، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ ينهوني كراهيةَ أن أرىٰ ما به من المثلة، ورسولُ الله ﷺ لا ينهاني!

* فلما رُفع قال رسولُ الله ﷺ:

* «ما زالت الملائكةُ حافةً بأجنحتها حتى رفُع».

* ثم لقيني بعدَ أيام فقال لي: أي بني! ألا أبشِرُك؟

إنَّ الله عزَّ وجل أحيا أباك **فقال**: تمنَّ!

فقَال :

* أتمنىٰ يا ربِّ أنْ تُعيدَ روحي وتردُّني إلى الدنيا حتَّى أُقتلَ مرةً أخرىٰ. . . !

* **قَال :** إني قضيتُ أنَّهم لا يَرجعُونَ. . . !

قوله : «أنَّ رجلاً» :

هو النعمانُ بنُ قوقل ــ بقافين مفتوحتين ــ سأل رسولَ الله ﷺ **فقَال :**

* أرأيتَ إذا صليتُ المكتوباتِ الخمسَ [مِنْ كَتَبَ بمعنى فرضَ وأوجبَ] وصمتُ رمضانَ، وأحللتُ الحلالَ، وحرمتُ الحرامَ، ولم أزد علىٰ ذلك شيئاً [من التطوعات والنوافل والمندوبات!!

ولم يذكر الزكاةَ والحجَّ، لعدم فرضيتهما إذ ذاك، أو لكونه لم يُخاطَب بهما لعدم استطاعته]!!

* أَدْخُلُ الجنّةَ من غير عقاب سابق؟

* **قَال:** «نعم تدخلُها كذلك».

* فيه جوازُ تركِ التطوعاتِ رأساً وإن تمالأ عليه أهلُ البلد فلا يقاتَلون، ومن قال يقاتلون، يحتاج لدليل؟

وكونُه ﷺ:

كان إذا سمع الأَذانَ في بلد لم يُغِرْ عليه، وإلاَّ أغار لا يدل لذلك، لأَن الأَذان إذ ذاك كان علامةً على الإِسلام، علىٰ أنه جرىٰ لنا فيه قول شهير بأنه فرض كفاية!!

* فلو سُلِّمَ أن القِتَالَ كان علىٰ تركه لم يكن فيه دليلٌ على القتال علىٰ ترك السنةِ المتفق علىٰ كونها سنةً.

* نعم؛ في ترك التطوعاتِ التي شُرِعتْ لجبر نقص الفرائض، والزيادةِ

المتقربِ بها إلى الله تعالىٰ حتَّى يُحبَّ فاعلُها، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمعُ به . . . الحديث القدسي المشهور.

* تفـويـتُ ربحِهـا العظيـم، وثـوابِهـا الجسيـم، وإسقـاطٌ للمـروءة، وردٌ للشهادة، لأَن مداومة تركِها يدل علىٰ نوع من التهاون بالدِّين.

[تفويتُ: مبتدأ مؤخر وفي ترك خبر مقدم].

* وإن جابراً راوي هذا الحديثِ، كان مِنْ أصغَرِ الصحابة سنّاً!

وكان مِنْ سادتهم وفضلائهم، المتحفين بحبِّ رسولِ الله ﷺ.

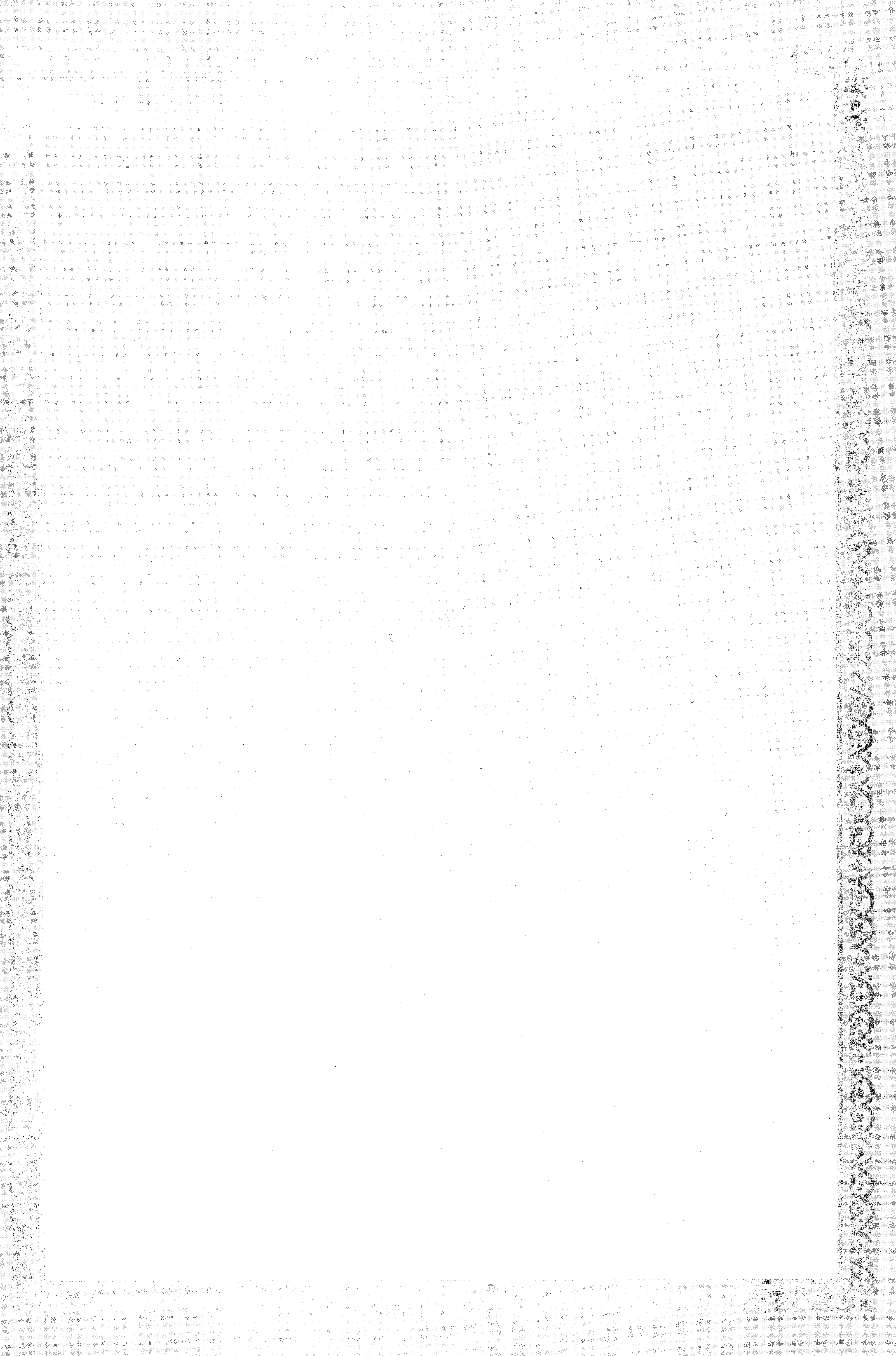
* عَمِيَ في آخر عمره!!

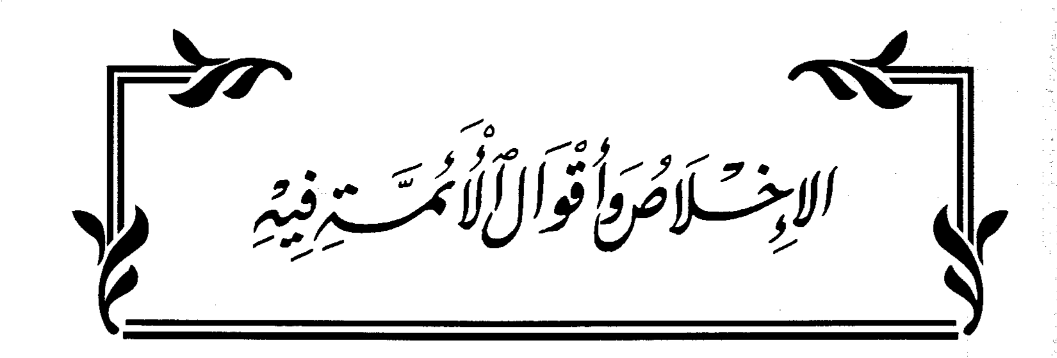
توفي بالمدينة المنورة سنةَ ثلاثٍ وسبعين عن أربعٍ وتسعين سنة.

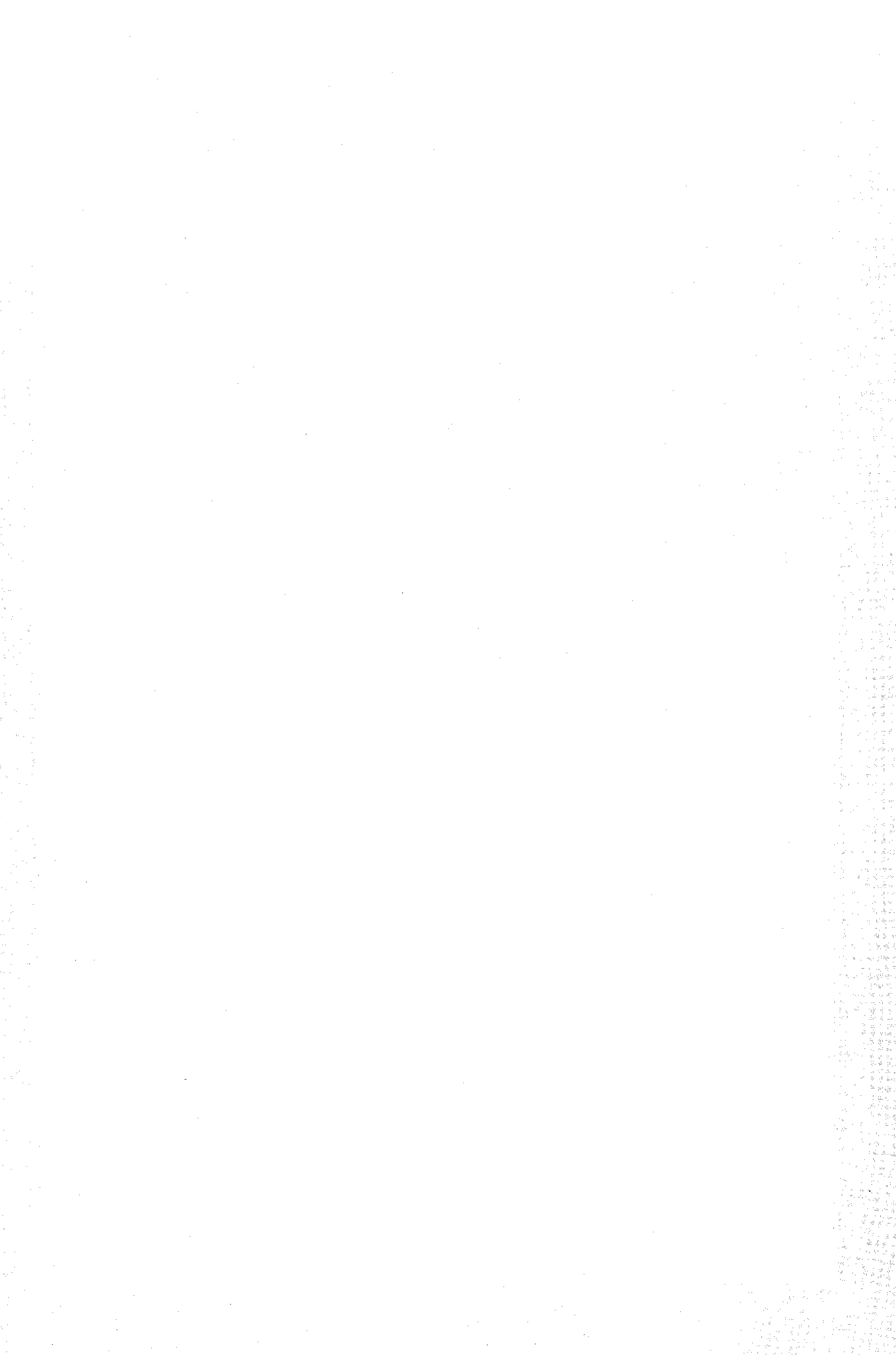
* رُوِي عنه ألفٌ وخمسمائة وأربعون حديثاً. . . !

كتبه محمد

* * *




الإخلاص وأقوال الأئمة فيه



الإخلاص وأقوال الأئمة فيه

وأما الإخلاص:

دليله

قول الله تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ الآية

[البينة: ٥]

وروّينا عن حذيفةَ بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال:

* سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ عن الإخلاصِ ما هو؟ فقال:

* «سألت جبريلَ عن الإخلاص ما هو؟ فقال:

* سألتُ ربَّ العزةِ عن الإخلاصِ ما هو؟ فقال:

سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي أودعتُه قلْبَ مَنْ أُحِبُّ مِنْ عِبَادي.

الشرح والتعليق

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ:

* واعلم أن كل شيء يُتصور أن يشوبه غيرُه، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه، سُمّي خالصاً ويُسمى الفعلُ المصفَّى المخلَص إخلاصاً...

والإخلاص:

* يُضاده الإشراكُ، فَمَنْ ليس مُخلصاً فهو مشركٌ، إلاَّ أنَّ الشركَ درجاتٌ،

وقد جرى العرف علىٰ تخصيص اسم الإخلاص، بتجريد قصدِ التقرُّبِ إلى الله تعالىٰ عن جميع الشوائب. . . !

فإذا امتزج قصدُ التقرب بباعثٍ آخرَ من رياء أو غيرِه من حظوظ النفس، فقد خرج عن الإخلاص:

ومثاله:

* ١ ــ أن يصومَ لينتفعَ بالحمية الحاصلة بالصوم معَ قصدِ التقرُّب!

* ٢ ــ أو يحجَّ ليصح مزاجُه بحركة السفر، أو يتخلصَ من عدوٍّ له!

* ٣ ــ أو يصليَ بالليل لغرض دنيوي!

* ٤ ــ أو يتعلم العلم، أو يخدمَ العلماء والصوفية لذلك!

* ٥ ــ أو يعودَ مريضاً ليُعاد!

* ٦ ــ أو يُشَيِّعَ جنازةً لتُشَيَّعَ جنازةُ أهلِه!

* ٧ ــ أو يفعل شيئاً من ذلك ليُعرفَ بالخير ويذكرَ به، ويُنظرَ إليه بعين الصلاح والوقار!!

* فمهما كان باعثه التقربَ إلى الله تعالىٰ، ولكن إن أضافَ إليه خَطوةً من هذه الخطوات، حتّى صار العملُ أخفَّ عليه بسبب هذه الأُمور، فقد خرج عملُه عن حدّ الإخلاص الكامل، وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالىٰ، وتطرق إليه الشركُ الخفي أي: من حيث لا يشعر. . . !

وبالجملة:

* كلُّ حظٍّ من حُظوظ الدنيا تستريحُ إليه النفسُ، ويميلُ إليه القلبُ ــ قلَّ أم كَثُر ــ إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوُه، وزال به إخلاصه!!

* فإن الخالصَ من العمل هو الذي لا باعثَ عليه إلاَّ طلبُ القرب من الله تعالىٰ!!

* وهذا لا يُتصور إلاَّ من محبٍّ لله، لم يبقَ لحبِّ الدنيا في قلبه قرارٌ، ولذا كان علاجُ الإخلاصِ كسرَ حظوظِ النفس، وقطعَ الطمع عن الدنيا، والتجردَ للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذ ذاك يتيسر الإخلاص!!

* وكم من أعمالٍ يتعب الإنسانُ فيها، ويظنُّ أنها خالصةٌ لوجه الله، ويكون فيها مغروراً، لأنه لا يرى وجه الآفة فيها!!

* فليكن العبدُ شديدَ التفقدِ والمراقبةِ لهذه الدقائق، وإلاَّ التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر. اهـ.

أُقول:

* وهو كلام نفيسٌ في تحرير النية في كل عمل يعمله، أو حديثٍ يتحدَّث به، أو كتابة يكتبها، بأن يُريدَ بذلك وجهَ اللّٰهِ تعالىٰ لا غير...

كتبه محمد

* * *

أقوال في الإخلاص

للإمام القشيري رحمه الله تعالى

ورويناعن الأستاذ الإمام أبي القاسم القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

* الإخلاص: إفرادُ الحقِّ في الطاعة بالقصد، وهو يُريد بطاعته التقربَ إلى الله تعالىٰ دونَ شيءٍ آخرَ من التصنع لمخلوقٍ، واكتسابِ مَحْمَدةٍ عند الناس، أو منحةِ مدحٍ من الخلق، أو معنًى من المعاني سوى التقربِ إلى الله تعالىٰ. . .

قال: ويصح أن يُقال:

الإخلاص: التوقي عن ملاحظة الأَشخاص. . . !

الشرح والتعليق

القُشَيْرِيُّ:

* هو الإمامُ الزاهدُ القدوةُ، الأُستاذُ أبو القاسم عبدُ الكريم بنُ هَوَازِنَ بنِ عبدِ الملك القُشَيْرِيّ الخراساني النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسّر، «صاحبُ الرسالة» المشهورةِ المشهودةِ. . .

* ولد سنةَ خمسٍ وسبعين وثلاثمائة. وتعلم الفروسيةَ والعملَ بالسلاح حتى برع في ذلك!!

* ثم تعلم الكتابةَ والعربية وجوّد، ثم سمع الحديثَ من أبـي الحسين الخفّاف!

* وتفقّه على أبـي بكر الطوسي وأبـي إسحاق الإسفرائيني، وتقدّم في الأُصول والفروع، وصحب العارفَ أبا علي الدقاق وتزوّج بابنته. . .

* صنف «التفسيرَ الكبير»، و «الرسالة» في رجال الطريقة، وحجّ مع الجويني والبيهقي.

* ولزم المجاهدات حتَّى صار عديمَ النَّظير في السلوك جامعاً بين الشريعة والحقيقة.

* توفي سنةَ خمسٍ وستين وأربعمائة بعدَ أن عاش تسعين سنة.

مصادر الترجمة:

* تاريخ بغداد: ١١/ ٨٣، طبقات السبكي: ٥/ ١٥٣، طبقات الأَولياء: ٢٥٧، سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٢٧.

* * *

لأبي علي الدقاق

ورويّنا عن الأستاذ أبـي علي الدقاق ـ رحمهُ الله تعالى ـ قال:

* الإخلاص: التوقي عن ملاحظة الخلق!

* والصدق: التنقي عن مطالعة النفس!

فالمخلص: لا رياء له، والصادق: لا إعجابَ له. . . !

الشرح والتعليق

أبو علي الدقاق:

* هو الإمامُ الزاهدُ العارفُ شيخُ الصوفية الحسنُ بنُ علي النيسابوري الشافعي، لسانُ وقته وإمامُ عصره!

* كان **فارهاً** في العلم، **متوسطاً** في الحلم، محمودَ السيرة، مجهودَ السريرة، جُنَيْدي الطريقة. الفارهُ: الحاذق!

* أخذ مذهبَ الشافعي عن القفال والحصري وغيرِهما، وبرع في الأُصول وفي الفقه والعربية حتَّى شُدّت إليه الرحالُ في ذلك. . . !

* ثم أخذ في العمل، **وسلك** طريقَ التصوّف، **وأخذ** عن النصراباذي، وعنه القشيري **صاحب** الرسالة!

له كرامات ظاهرة، وتوفي سنة ست وأربعمائة.

مصادر الترجمة:

* تبيين كذب المفتري: ٢٢٦، البداية والنهاية ١٢/١٣، شذرات الذهب ٣/ ١٨٠، طبقات السبكي: ٤/ ٣٢٩.

* * *

لِلسُّوسِيِّ

ورويّنا عن أبي يعقوبَ السوسي ـ رضيَ اللّه تعالىٰ عَنْه ـ قال:

* متىٰ شهدوا في إخلاصهم الإخلاصَ، احتاجَ إخلاصُهم إلىٰ إخلاص. . . !

* * *

لِذي النُّون

ورويّنا عن السيد الجليل ذي النون ـ رضيَ اللّه تعالىٰ عَنْه ـ قال:

* **ثلاثٌ من علامات الإخلاصِ:**

* ١ ـ استواءُ المدح والذم من العامة!

* ٢ ـ ونسيانُ رؤيةِ الأَعمالِ في الأَعمال!

* ٣ ـ واقتضاءُ ثوابِ العملِ في الآخرة. . . !

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

ذو النُّون المِصْريّ:

* هو شيخُ الديارِ المصرية، الإمامُ الزاهدُ ثوبانُ بنُ إبراهيمَ أبو الفيض:

* ولد في أواخر أيام المنصور، وروى العلمَ عن مالكٍ والليث وابنِ لهيعة والخوّاص وغيرهم. . . !

قال ابن يونس:

* كان عالماً فصيحاً حكيماً. . . !

قال السلمي:

* ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأَحوال، ومقامات الأَولياء!

* رُمِـيَ بالزندقة فطلبه المتوكل وسأله عن اعتقاده فرضيَ أمرَه، وولع به، وأحبه، وكان يُفضله على الزهاد. . . !

* ولما مات أظلّت الطيرُ جنازتَه فاحترمه الناسُ بعد قبره.

* توفي سنةَ خمسٍ وأربعين ومائتين بالجيزة.

مصادر الترجمة:

* حلية الأَولياء: ٩/ ٣٣١، تاريخ بغداد: ٨/ ٣٩٣، طبقات الصوفية: ١٥، الرسالة القشيرية: ٢١١، السير: ١١/ ٥٣٢.

* * *

المُغْرِبيّ

وعن أبي عثمان المغربي ــ رحمهُ اللّه تعالى ــ قال:

* الإِخْلَاصُ: نِسْيَانُ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ بِدَوامِ النَّظَرِ إِلى الْخَالِقِ.

* * *

المَرْعَشِيّ

وعن حذيفة المرعشي ــ رحمهُ اللّه تعالى ــ قال:

* الإِخْلَاصُ: أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

حُذَيْفَة المرعشي:

* هو حذيفة بنُ قتادةَ، أحدُ الأَولياء، صحب سفيانَ الثوري وروى عنه.

من أقواله:

* ــ أعظمُ المصائبِ قساوةُ القلب!

* ــ جِماعُ الخيرِ في حرفين: ١ ــ حِلُّ الكِسْرَةِ، ٢ ــ وإخلاصُ العمل لله!

مصادر الترجمة:

* حلية الأَولياء: ٨/ ٢٦٧، صفة الصفوة: ٤/ ٢٦٨، السير: ٩/ ٢٨٣.

* * *

لِلفُضَيْلِ

وعن السيد الجليل فضيل بنِ عياض ـ رحمهُ الله تعالى ـ قال:

* تركُ العملِ لأَجل الناس رياء!

* والعملُ لأَجل الناس شرك!

* وَالإخلاصُ: أَنْ يعافيك اللّٰهُ منهما...

* * *

لِلتُّسْتَرِيّ[1]

وعن السيِّد الجليل أبي محمد سهل بن عبد الله التُّسْتَري ـ رحمهُ الله تعالى ـ أنه:

سئل عن أي شيء أشدُّ على النفس؟ قَال:

* الإخلاصُ، لأنه شيء ليس لها فيه نصيب...!

* * *

لِابْنِ الحُسَيْنِ

وعن يوسفَ بنِ الحسين ـ رحمهُ الله تعالى ـ قال:

* أعزُّ شيءٍ في الدنيا: الإخلاص...!

* * *

---

(١) انظر ترجمته في ص ٣٧٠ من هذا الكتاب. وهي ترجمة رائعة.

لِلْمَغْرِبِيِّ أَيْضاً

وعن أبي عثمانَ المغربي ـ **رحمهُ الله تعالى** ـ **قال:**

* ١ ـ **إخلاصُ العوام**: ما لا يكون للنفس فيه حظٌّ!

* ٢ ـ **وإخلاصُ الخواص**: ما يجري عليهم لا بهم، فتبدو منهم الطاعاتُ وهم عنها بمعزِلٍ، ولا تقع لهم عليها رؤيةٌ، ولا لهم عليها اعتداد!!

* * *

لِمَكْحُولٍ

وروينا عن السيد الجليل الإمام التابعي مكحول ـ **رضيَ الله تعالى عَنْه** ـ **قال:**

* ما أخلص عبدٌ قَطُّ أربعينَ يوماً، إلاَّ ظهرتْ ينابيع الحكمةِ من قلبه ولسانه. . . !

* * *

لِلتُّسْتَرِيِّ أَيْضاً

وروِّينا عن سهل التُّسْتَري ـ **رحمهُ الله تعالى** ـ **قال:**

* مَنْ زهد في الدنيا أربعين يوماً، **صادقاً** من قلبه، **مخلصاً** في ذلك، ظهرتْ له الكرامات، ومَنْ لم يظهر له، فإنه عُدِمَ الصدقَ في زهده. . . !

فقيل لسهل:

* كيف تظهرُ له الكرامات؟ قَال:

* يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء!!

قال سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ :

* نَظَرَ الأَكياسُ في تفسير الإخلاص، فلم يجدوا غيرَ هذا:

* أن تكون حركتُه وسكونُه في سره وعلانيته لله تعالىٰ وحدَه، لا يُمازجه شيءٌ لا نفسٌ ولا هوى ولا دنيا!!

* * *

السري السقطي

وقال السري ـ رحمه الله تعالى ـ :

الإخلاص:

* لا تعملُ للناس شيئاً، ولا تترك لهم شيئاً، ولا تعطي لهم شيئاً، ولا تكشف لهم شيئاً.

الشرح والتعليق

أُقول:

* هذه مجموعة عظيمة، واسعة الأَرجاء، كثيرةُ المعاني، قد جمعها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه هذا.

* ورتبتُها لك هذا الترتيبَ الحسن، ليسهلَ تناوُلُها على القارىء: فينتقل من حكمة إلى حكمة، ومن روضة إلى روضة، ومن حديقة غناء، إلى حديقة فيحاء!!

* فيزن قولَه بأقوال هؤلاء السادة البهاليل، وأعمالَه بأعمالهم، وأحواله بأحوالهم!!

فهذه صورة صحيحة بعيدة عن الغش، بعيدة عن الزيف، بعيدة عن التشدق، بعيدة عن التكلّف!!

* فاجعلها مرآةً لك، وأدم النظرَ فيها، ليظهرَ انعكاسُ الصور فيك فتعودَ إلى الله صادقاً، وتتوب إليه مخلصاً!!

* فهذه مدرسةٌ من أروع المدارس الإيمانية، وجامعةٌ من أجمع الجوامع الإسلامية، فاجتهد فيها في أيام قصار لأَيام طوال، وادع لي بحسن الختام.

اهـ محمد

* * *

الصِّدْق

وأمّا الصِّـدْق:

قالَ اللّه تعَالىٰ

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[التوبة: ١١٩]

وروِّينا عن الأستاذ القشيري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: الصدقُ عمادُ الأمرِ، وبه تمامُه، وفيه نظامه. قال: وأقلُ الصدقِ استواء السر والعلانية.

وروِّينا عن سهل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال:

* لا يَشمُّ رائحةَ الصدقِ عبدٌ داهنَ نفسه وغيرَه!!

وروِّينا عن ذي النون قال:

* الصدقُ سيفُ الله، ما وُضعَ علىٰ شيءٍ إلاَّ قطعَه!!

وروِّينا عن السيد الجليل الإمام العارف الحارث المحاسبي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال:

* الصادقُ هو الذي لا يُبالي لو خرج كلُ قَدْرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاعَ الناسِ علىٰ مثاقيلَ من حُسن عمله...

* ولا يكره أن يطلع الناسُ على السَّيِّـىءِ مِنْ عمله، فإنَّ كراهتَه دليلٌ علىٰ أنه يُحب الزيادةَ عندهم، وليس هذا من إخلاص الصدِّيقين!!

وقيل:

إِذَا طَلَبْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصِّدْقَ أَعْطَاكَ مِرْآةً تُبْصِرُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وروِّينا عن السيد الجليل أبـي القاسم الجنيد ـ **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** ـ **قال:**

* الصادقُ يتقلبُ في اليوم أربعينَ مرّةً!!

* والمرائي يثبتُ علىٰ حالةٍ واحدةٍ أربعينَ سنةً!!

قلت:

* معناه أنَّ الصادقَ يدورُ معَ الحقِّ كيف كان، فإذا رأى الفضلَ الشرعيَّ في أمرٍ عمل به، وإنْ خالفَ ما كانت عليه عادُته...!

* وإذا عرض أهمُّ منه في الشرع، ولا يمكن الجمعُ بينهما، انتقل إلى الأَفضل!!

* ولا يزال هكذا، وربما كان في اليوم الواحد علىٰ مائة حال، أو ألف وأكثر علىٰ حسب تمكنه في المعارف، وظهور الدقائق له واللطائف.

وأما المرائي:

* فيلزم حالةً واحدةً بحيث لو عُرِضَ له أمْرٌ مهمٌ يُرجحه الشرعُ عليها في بعض الأَحوالِ، لم يأتِ بهذا المهم!!

* بل يُحافظ علىٰ حالته، لأَنه يُرَائي بعبادته وحالِه المخلوقينَ فيخاف ــ من التغير ــ ذهابَ محبتِهم إياه فيحافظ علىٰ بقائها. . . !

والصّادقُ:

* يُريد بعبادته وجهَ اللّـهِ تعالىٰ، فحيث رجَّح الشرعُ حالاً صار إليه، ولا يُعرِّج على المخلوقين.

الشَّرحُ وَالتَّعلِيقُ

قال الإمام الغزالي ــ رَضِيَ اللّه تَعَالىٰ عنه ــ: والصدقُ درجاتٌ:

١ ــ الأُوْلى:

* صدق اللسانِ، وحَقٌّ علىٰ كل عبد أن يحفظَ ألفاظَه فلا يتكلم إلاَّ بالصدق. . .

وكمالُ صدقِ القول، الاحترازُ عن المعاريض، فقد قيل: في المعاريض مندوحةٌ عن الكذب وذلك، لأَنها تقوم مقامَ الكذب، إلاَّ أن ذلك مما تمس إليه الحاجة، والضرورة تقدر بقَدْرها. . . !

٢ ــ الثانية:

* الصدقُ في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو: أن لا يكون له باعثٌ في الحركات، والسكنات، إلاَّ لله تعالىٰ، فإن مازجه شوبٌ من حظوظ النفس بطل صدقُ النيةِ. . . !

٣ ــ الثالثة:

* صدقُ العزم وهو: الحزمُ فيه بقوة، والصادق فيه: هو الذي تُصادق عزيمتُه في الخيرات كلِّها، قوةً تامة، ليس فيها ميلٌ، ولا ضعف، ولا تردد؛ بل تسخو نفسُه أبداً بالعزم المصمم الجازم على الخيرات، كمن يقول:

* إن رزقني الله مالاً تصدقتُ بشطره، وإن أعطاني اللّـهُ ولايةً عَدلْتُ فيها،

ولم أعصِ اللَّـهَ تعالىٰ بظلم، وميل إلىٰ خلق. فصدقُ هذه العزيمةِ: هو سخاء نفسه بما نوى . . .

٤ ـ الرابعة:

* الصدقُ في الوفاء بالعزم، فإنَّ النفسَ قد تسخو بالعزم في الحال؛ إذ لا مشقةَ في الوعد والعزم، والمئونةُ فيه خفيفة، فإذا حقت الحقائقُ، وحصل التمكن، وهاجت الشهوات، لم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يُضاد الصدقَ فيه، فافهم.

ولذلك قال اللَّه تعالىٰ:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

٥ ـ الخامسة:

* الصدقُ في الأعمال وهو:

أنْ يجتهدَ حتَّى لا تدلَّ أعمالُه الظاهرة، علىٰ أمر في باطنه، لا يتصف هو به!!

* فمن وقف علىٰ هيئة الخشوع في صلاته، لأنه يُرائي غيرَه؛ ولكنه في الباطن قائم في السوق بينَ يدي شهوة من شهواته فهو كاذب بلسان الحال في عمله غيرُ صادق فيه . . .

فالصدق فيه:

* هو استواءُ السريرة والعلانية، بأن يكون باطنه مثلَ ظاهره، أو خيراً من ظاهره. انظر ص ١٨٤ من هذا الكتاب، فاللَّـهَ أسأل أن ينظمنا في سلك الصادقين من الأحباب، ممن صدقوا اللَّـهَ فصدقهم. اهـ.

وَقد قَالَ اللَّه تعَالىٰ:

﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾؛ لأن الجليس له تأثيرٌ في الخير والشر!!

والطبعُ سَرَّاقٌ. وشأنُ المرء: تقليدُ مَنْ يخالط كثيراً ولو من حيث لا يشعر.

قال طرفةُ:

* عن المرءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرينِهِ

فكُلُّ قَرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدي

* فالصدقُ شيء يسلكه مَنْ يريد تهذيبَ النفس بمخالطة الكامل، لتسريَ طباعُه وعوايدُه الحسنة فيه. اهـ.

* * *

فَصْلٌ: فِي إِحْضَارِ النِّيَّةِ

اعلم !!

* أنه ينبغي لمن أراد شيئاً من الطاعات وإن قلَّ، أن يُحضرَ النيَّة!!!

وهو:

أن يقصدَ بعمله رضا الله عزَّ وجلّ، وتكونَ نيتُه حالَ العملِ. . . !

ويدخل في هذا جميعُ العباداتِ:

* ١ ـ من الصلاة، ٢ ـ والصوم، ٣ ـ والوضوء، ٤ ـ والتيمم، ٥ ـ والاعتكاف، ٦ ـ والحج، ٧ ـ والزكاة، ٨ ـ والصدقة، ٩ ـ وقضاء الحوائج، ١٠ ـ وعيادة المريض، ١١ ـ واتباعِ الجنائز، ١٢ ـ وابتداءِ السلام، ١٣ ـ وردِّه، ١٤ ـ وتشميتِ العاطس، ١٥ ـ وإنكار المنكَر، ١٦ ـ والأَمر بالمعروف، ١٧ ـ وإجابة الدعوة، ١٨ ـ وحضور مجالس العلم والأَذكار، ١٩ ـ وزيارة الأَخيار، ٢٠ ـ والنفقة على الأَهل والضيف، ٢١ ـ وإكرام أهل الود، ٢٢ ـ وذوي الأَرحام، ٢٣ ـ ومذاكرةِ العلم، ٢٤ ـ والمناظرةِ فيه، ٢٥ ـ وتكراره، ٢٦ ـ وتدريسه، ٢٧ ـ وتعليمه، ٢٨ ـ ومطالعتِه، ٢٩ ـ وكتابتِه، ٣٠ ـ وتصنيفه، ٣١ ـ والفتاوىٰ، وكذلك ما أشبه هذه الأَعمال حتَّى ينبغي له:

* إذا أكـل، أو شـرب، أو نـام، يقصـد بـذلـك التقـوِّيَ علـىٰ طاعة الله، أو راحةِ البدن لينشطَ للطاعة!!

* وكذلك إذا أراد جماعَ زوجتِه، يقصد إيصالَها حقَّها، وتحصُّلَ ولدٍ صالح، يعبدُ الله تعالىٰ، وإعفافَ نفسِه، وصيانتَها من التطلع إلىٰ حرام، والفكر فيه. . . !

* فَمَنْ حُرِمَ النيَّةَ في هذه الأَعمالِ، فقد حُرِمَ خيراً **عظيماً كثيراً**، ومَنْ وُفِّقَ لها، فقد أُعطِي **فضلاً** جسيماً. . . !

فنسأل اللّـٰهَ الكريم التوفيقَ لذلك وسائرِ وجوه الخير.

* ودلائلُ هذه القواعد ما قدمناه من قوله ﷺ:

«إِنَّمَا ٱلأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَىٰ».

* * *

أَقْوَالُ ٱلْعُلَمَاءِ فِي ٱلنِّيَّةِ!!

قال العلماء من أهل اللغة والأُصول والفقه:

* «إنما» للحصر تُفيد تحصيلَ المذكور ونفيَ ما سواه، وقد قدمنا هذا في أول الباب[1].

وقد قالوا:

* إنه قيل لأَبـي يحيـىٰ حبيب بنِ أبـي ثابت التابعي، مفتي أهلِ الكوفة، والمعوَّل عليه عندَهم ــ رحمه الله ــ: حدثنا عن أشقِّ شيءٍ؟

---

(١) ص ٣٨.

* قَال: مجيء النية.

وعن سفيانَ الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ قَال:

* ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي!!

وعن يزيدَ بنِ هارونَ ـ رحمه الله تعالى ـ: ما عزَّتِ النيَّة في الحديث إلاَّ لشرفها.

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قَال:

* إنما يُحفَظُ الرجلُ علىٰ قَدْرِ نيَّته...!

وعن غيره: إنما يُعطى الناسُ علىٰ قدْرِ نياتِهم...!

الشرح والتعليق

قوله: «مجيء النيّة»:

أي استحضارُها قبل العمل، وإحكامُ الإخلاص فيها.

وقوله: ما عالجت شيئاً... إلخ:

يريد الإخلاصَ، وتصفيةَ الأعمالِ من الشوائب التي تُلوث العملَ أو تؤخره:

* فهو يسعى ليكون عملُه خالصاً لوجه الله الكريم!

وإلاَّ لو كان المراد من النية مجردَ القصد، لكان من أيسر ما يكون!

* وإنك لو دقَّقت ما بحثه السلفُ الصالحُ من أنهم يعانون مشقَّاتٍ لتصحيح النية لا تجد سببَه إلاَّ أنهم يُريدون أن تكون أعمالُهم غيرَ مقرونة بشيء من النقائص...!

* فيطبقونَ الباطنَ على الظاهر ليستويَ السرُّ والعلانية، فيحوزوا القبولَ عندَ الله تعالى. اهـ من تحقيق النسخة القديمة. كتبه محمد

* * *

مَوْقِفُ ٱلشَّافِعِيِّ فِي ذَٰلِكَ

وعن الإمام عبدِ الله محمد بن إدريسَ الشافعي بالإسناد الصحيح أنه قال :

* ودِدتُ أنَّ الخلقَ تعلَّمُوا هذا علىٰ أَنَّ لا يُنسبَ إليَّ حرفٌ منه . . . !

قال الشَّافعِيُّ أيضًا :

* ما ناظرتُ أحداً قطُّ على الغلبة؛ ووددتُ إذا ناظرتُ أحداً أنْ يَظهرَ الحقُّ علىٰ يديه . . . !

وقال أيضًا :

مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُعَانَ ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَحِفْظٌ .

* * *

قَوْلُ أَبِي يُوسُفَ فِي ذَلِكَ

وقال الإمام أبو يوسف صاحبُ أبي حنيفة ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ :

* أَريدُوا بعلمكم اللَّهَ تعالىٰ؛ فإني لم أجلس في مجلس قطُّ :

أنوي فيه أن أتواضع ، إلاَّ لم أقم حتى أعلوَهُم . . . !

ولم أجلس مجلساً قطُّ أنوي فيه أن أعلوهم ، إلا لم أقم حتى أفتضحَ .

أبو يوسف القاضي:

* **هو الإمام المجتهد العلاّمة، المحدّث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب** بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي ـ رحمه الله تعالى ـ .

* **ولد سنة ثلاثَ عشْرةَ ومائة . . . !**

* صحب الإمام أبـي حنيفة ولزمه سبعَ عشرة سنة وتفقه به، وهو أنبلُ تلامذتِه وأعلمُهم، وحدَّث عن عطاءَ بنِ السائب والأعمش . . . !

* حدّث عنه يحيى بنُ معين، والإمامُ أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

قال الإمام أحمد:

* كان أمْيَلَ إلى المحدّثين مِنْ أبـي حنيفة ومحمد.

وقال ابنُ معين:

* ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظَ ولا أصح روايةً من أبـي يوسف. توفي سنة ١٨٢هـ.

مصادر الترجمة:

* التاريخ الكبير للبخاري: ٨/ ٣٩٧، تاريخ بغداد: ١٤/ ٢٤٢، السير: ٨/ ٥٣٥.

وقوله: أريدوا بعلمكم الله تعالى:

* أي اقصدوا بعلمكم وجهَ الله تعالىٰ . . . !

فقد قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ :

* طلبنا العلمَ لغير الله، فأبـىٰ إلاَّ أنْ يكونَ إلاَّ لله.

* * *

فَصْلٌ: كَتْبُ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ !!

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ **قال:**

* «إِنَّ اللَّـهَ تعالىٰ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسيِّئاتِ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَها اللَّـهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً!!

* وإن هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّـهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلىٰ سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ إلى أضعاف كثيرة».

* وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في الجيش الذين يقصدون الكعبة:

«يُخسف بأولهم وآخرهم».

فقالت عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ: يا رسول الله!! كيف يُخْسَف بأولهم وآخِرهم! وفيهم أشرافٌ، ومَنْ ليس منهم؟

فقال ﷺ: «يُخسف بأولهم وآخِرهم، ثم يُبعثون علىٰ نيَّاتهم».

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

تمام الحديث مع بعض شرحه:

* إن الله كتب الحسنات والسيئات أي: أمر الحفظةَ بكتابتها، أو كَتْبِهما في علمه على وَفقِ الواقع منهما!!

* ثم بين ذلك للكتبة من الملائكة حتَّى عرفوه، واستغنوا به عن أن يستفسروا في كل وقتٍ كيف يكتبونه؛ لأنه تعالىٰ شرع لهم ما يعملون بحسبه...!

* وبالغ في رحمة هذه الأُمة، حيث أخلف عليها قِصَرَ أعمارها بتضعيف أعمالها. . . !

* فمن همَّ بحسنة أي أرادها، وترجح عنده فعلَها وعقد عزمَه عليها، فلم يعملها لأمر عاقه عنها كتبها اللّـهُ عندَه حسنةً أي: كاملة. . . !

* هذه عندية شرفٍ ومكانة، لتنزهه تعالى عن عندية المكان:

لان الهم بالحسنة سببٌ إلىٰ عملها، وسببُ الخير خيرٌ، فالهمّ بها خير. . .

وفي رواية لمسلم:

* إذا تحدثَ عبدي بأن يعملَ حسنةً، فأنا أكتبها له حسنة كاملة لا نقصَ فيها.

* وإن نَشأتْ عن مجرد الهم، سواء كان الترك لمانع أم لا. . . !

قيل: ما لم يقصد الإعراضَ عنها جملة، وإلاَّ لم تكتب. . . !

* وإطْلاعُ المَلَك علىٰ فعل القلب بإطلاع اللّـهِ تعالىٰ، أو بأن يخلق له علماً يُدرك به ذلك، أو بأن يجد لهم ريحاً طيبة أي: تظهر على كواهلهم. . . !

* واستفيد من ذكر الحسنة هنا، والمضاعفة فيما يأتي، اختصاصُ المضاعفة بمن عمل دونَ مَنْ نوىٰ، فهما في الأَصل سوآء، وإن اختص العامل بالتضعيف. . . !

* وإن همَّ بها فعملَها كتبها الله تعالىٰ عنده عشرَ حسنات، لأَنه أخرجها من الهم إلىٰ ديوان العمل:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] إلى سبعمائة ضعف.

علىٰ حسب ما اقترن بها من إخلاص النية، وإيقاعِها في محالِّها التي هي بها أولىٰ وأحرى إلى أضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء أو بدون عدٍّ ولا حصر. . .

* وإن همَّ بسيئة فلم يعملها بأن ترك فعلَها أو التلفظَ بها لوجهه تعالىٰ لا لنحو حياء، أو خوفِ ذي شوكة، أو عجز، أو رياء؛ بل قيل:

* إنه يأثم حينئذٍ؛ لأَن تقديمَ خوفِ المخلوق علىٰ خوف الله تعالىٰ محرَّم، وكذلك الرياء، لأَن رجوعه عن العزم عليها خير أيَّ خير!! فجوزي في مقابلته بحسنة، وأُكِّدتْ بقوله: كاملة...!

* وإن همَّ بها فعملها كتبت له سيئة واحدة، ولم تضاعف عليه، لقوله سُبۡحَانَهُ:

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾.

اهـ من فيض القدير، والفتح المبين باختصار

وهو تقسيم حسنٌ مفيد، فاشكر الله تعالى وقل: هل من مزيد.

كتبه محمد
غفر له

* * *

الهجـــرة

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ **قال:**

* «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ».

قلت:

اختلف أصحابُنا وغيرُهم من العلماء، في معنى لا هجرةَ بعدَ الفتحِ.

* **فقيل:** معناه لا هجرةَ من مكة إذ صارتْ دارَ إسلام. . . !

* **وقيل:** لا هجرةَ بعد الفتح كاملةُ الفضل. . . !

* وأما الهجرةُ من دار الكفار اليوم:

* فواجبةٌ وجوباً متأكَّداً علىٰ مَنْ قدر عليها!

إذا لم يقدر مِنْ إظهار دينِ الإسلام هنا.

* فإن قدر استُحب ولا يجب.

وَاللَّه تعَالىٰ أُعلم

الشَرْحُ وَالتَعْليقُ

وفي رواية: «ولا هجرةَ بعدَ فَتْحِ مكةَ».

* **أي** لأنها صارت دارَ إسلام، وإنما تكون الهجرة من دار الحرب. . . !

* فهذه معجزةٌ له عليه الصلاة والسلام !!

* فإنه إخبار بإنها تبقىٰ دارَ إسلام، ولا يتصور منها هجرة. . . إلى ما شاء الله. . . وهذا أملنا!!

* أو لا هجرة واجبةٌ من مكةَ إلى المدينة بعدَ الفتح كما كانت قبلَه لمصيرها دارَ إسلام، واستغناءِ المسلمين عن ذلك؛ إذ كان معظم الخوف من أهله. . . وقد زال. . . !

* فالمراد لا هجرةَ بعدَ الفتح لمن لم يكن هاجر قبله. . . !

أما الهجرة من بلاد الكفر:

* فباقية إلىٰ يوم القيامة! أو الهجرة من عملائهم فالحكم واحدٌ، والطابع واحد!!

وأما الهجرة المندوبة:

* وهي الهجرةُ من أرضٍ يُهجَر فيها المعروفُ، ويَشيع فيها المنكرُ، أو من أرض أصاب فيها ذنباً فهي باقية. . . !

وفي رواية البخاري أيضاً كرواية بستان العارفين: «لا هجرة بعد الفتح».

قال ابن حجر:

* أي فتح مكةَ، أو أعم إشارة إلىٰ أن حكمَ غيرِ مكة في ذلك حكمُها، فلا تجب في بلدة فتحها المسلمون. . . !

أما قبل فتح البلد، فَمَنْ به من المسلمين:

* ١ ــ إما قادرٌ على الهجرة لا يمكنه إظهارُ دينه، وأداءُ واجبه!

فالهجرةُ منه واجبة!!

* ٢ ــ وإما قادر، لكنه يمكنه إظهارُ ذلك وأداؤه!

فيندب لتكثير المسلمين ومعرفتهم والراحة من رؤية المنكر. . . !

* ٣ ــ وإما **عاجز**، لنحو مرض!

فله الإقامة، وتكلفُ الخروج!!

وفي الحديث:

* إشارة تربويةٌ، وذلك أنه قد مرَّ في حديثٍ أنَّ **الجهاد قسمان**:

١ ــ أكبر.

٢ ــ وأصغر.

فالأصغر: جهاد العدو. . . !

والأكبر: جهاد النفس وهواها. . . !

* **حينئذ فيلزم في الهجرة أن تكون قسمان**:

١ ــ كبرىٰ.

٢ ــ وصغرىٰ.

* **فالصغرىٰ**: ما ذكر. . . !

* **والكبرىٰ**: هِجْرةُ النفس من مألوفها، وشهواتِها، وردّها إلى الله تعالىٰ في كل حال. . . حتى تكتملَ وتنفطم عنها. . . !

* ولا يقدر علىٰ هذه الهجرة إلاَّ أهلُ الهِمم السنيَّةِ، والمقاصد العليَّة!!

* ومن كان ضعيفاً لا يقدر علىٰ هذه الهجرة، فلا يُهملْ نفسَه بالكلية!

* فإنه علامةُ الخسران، وليأخذ نفسَه بالرفق والسياسة في الجهاد والهجرة.

اهـ. فيض القدير: ٦/٤٣٨ وهو كلام نفيس.

فإذا لم يقدر على الهجرة من دار الكفر:

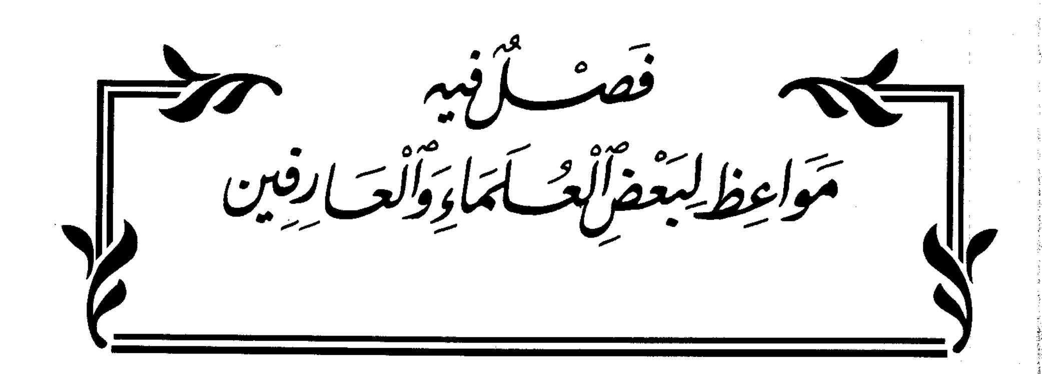
* يكفي عند ذلك الإنكارُ بالقلب، والبعدُ عن المنحرفين ما أمكن مع تذكير الغافلين سرًّا، والدعاء للجميع، لأن الخطر قد أحاط بالمسلمين المستهدفين من كل جانب!!

فليسعك بيتُك، وابكِ على خطيئتك...!

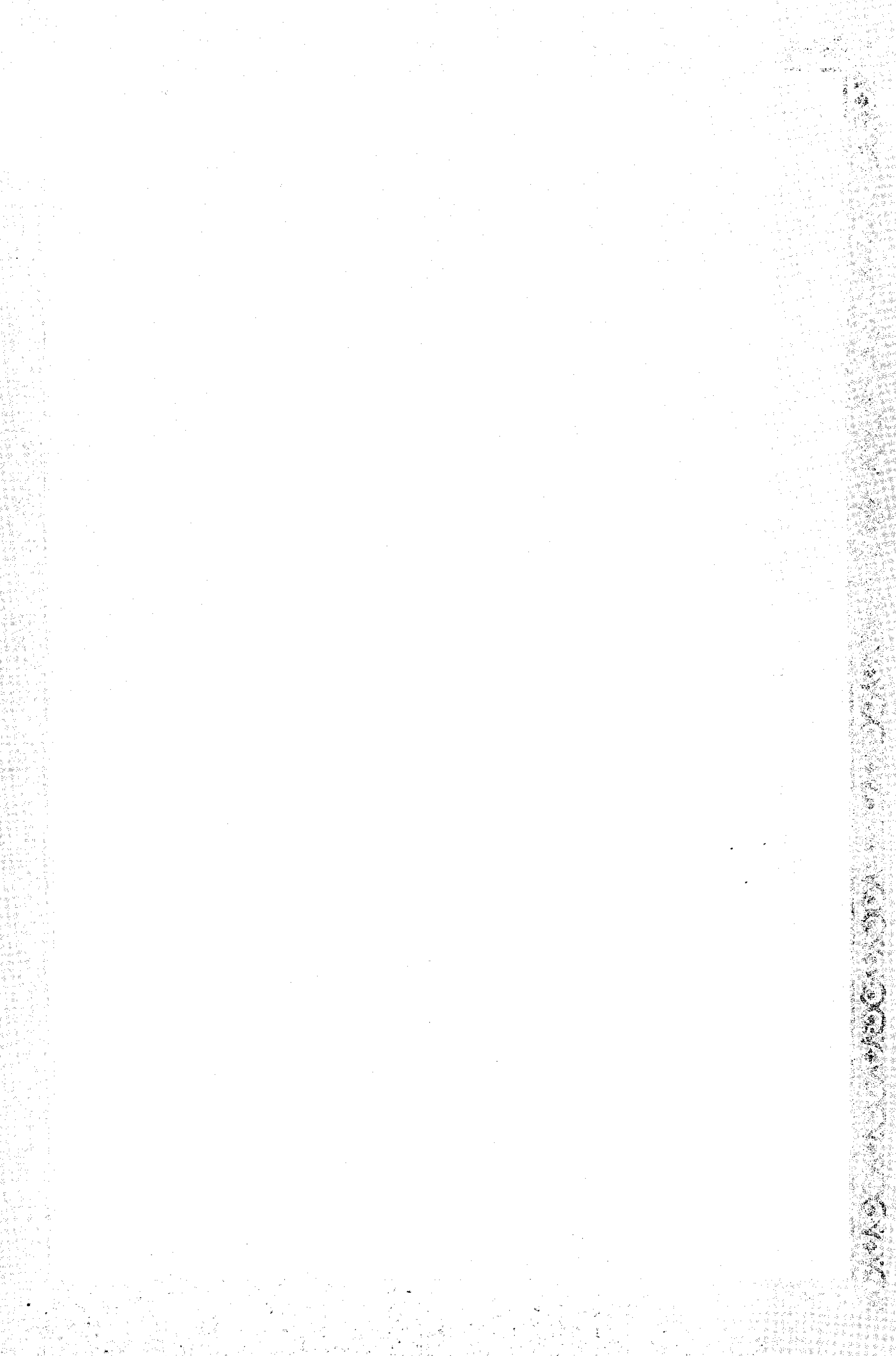
فالهجرة لها أحكامها، نفياً وإثباتاً، ولها باب خاص في الفقه الإسلامي...!

كتبه محمد عفي عنه

* * *



فَصْلٌ فيه
مَوَاعِظ لِبَعْضِ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْعَارِفِين



فَصْلٌ فِيهِ
مَوَاعِظُ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَالْعَارِفِين

أَبُو مَيْسَرَةَ الْمُؤْمِن

ورُوِّينا عن السيد الجليل أبـي مَيْسرة عمرَ بن شُرَحبيل التابعي الكوفي الهمْداني ـ بإسكان الميم وبالدال المهملة ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ أنه:

* كان إذا أخذ عطاءَه تصدق منه.

* فإذا جاء إلىٰ أهله فعدَّه وجدوه سواء.

فقال لابن أخيه:

* ألا تفعلون مثلَ هذا؟

فَقَالُوا:

* لو علمنا أنه لا ينقص لفعلنا!!

قال أبو ميسرة:

إِنِي لَسْتُ أَشْرِطُ هَذَا عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَل.

* * *

الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

وقال إمامنا أبو عبد الله محمدُ بنُ إدريسَ الشافعي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ :

خيرُ الدنيا والآخرة في خمس خصال :

* ١ ـ غنى النفس!
* ٢ ـ وكفُّ الأَذىٰ!
* ٣ ـ وكسبُ الحلال!
* ٤ ـ ولباسُ التقوى!
* ٥ ـ والثقةُ بالله عزَّ وجلّ علىٰ كُلِّ حال . . . !

* * *

حَمَّادُ بنُ سَلَمَة

مَا أَرَادَ حَمَّادٌ:

ورَوِّينا عن السيد الجليلِ حماد بنِ سلمةَ ـ رَحِمَهُ اللَّه تَعالى ـ وكان يُعَدُّ من الأَبدال قَال:

* مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالى مُكِرَ بِهِ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: مُكِر به:

* لأَن العلم شبيه بالأَسد الغضنفر، والحديث الذي هو لب العلم يقال له:

* الضرغامُ الفاتك من السباع!!

ولا يُمكن الاستيلاءُ علىٰ هذا الأَسد؛ إلَّا بمعونة الله تعالىٰ...!

* وتمهيدُ وصولها إلى العبد أن يتقي اللّـهَ، ويُخلصَ النيّة، حتَّى يستطيعَ أن يركبَ الأَسدَ، أو يجعلَه تحت قهرِه وسلطانه...

* ومع هذا فإنه لو غلبه يحتاج أيضاً إلى المراقبة الشديدة، لأَن إغفال الأَسد وإهمالَه يساعده على نقض الاستسلام، فيفتك بصاحبه فيقتله!!

* وهذا ما أراده حمادُ بنُ سلمة ـ رحمهُ اللَّه ـ من أن الحديث يمكر بطالبه إذا كان لغير الله تعالى. اهـ من تحقيق النسخة القديمة. كتبه محمد. وسيأتي معك قريباً ص ١٩١ ترجمة هذا البطل العظيم فترقبه!!

* * *

أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ

وقال أحمد بن أبـي الحواري السيد الجليل في كتاب الزهد الذي صنَّفه:

* وسترىٰ ما أنقل من النفائس ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ ولم يصل إليَّ الآن إسنادُه ولكن عندي منه نسخةٌ جيدةٌ محققة متقَنةٌ، ذكر لي بعضُ أهلِ العلم والخبرة أنها بخط الدارقطني ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ.

قال أحمد:

* حدثنا إسحاق بنُ خَلَفٍ قال: حدثنا حفص بنُ غياثٍ قال: كان عبد الرحمٰن بن الأَسود ـ رضيَ اللّهَ تعالىٰ عنه ـ لا يأكلُ الخبزَ إلاَّ بنية...

* قلت لإسحاق: وأيُّ شيء النية في أكل الخبز؟

* قال: كان يأكل؛ فإذا ثقل عن الصلاة خفف ليخف بها، فإذا خف ضعف فأكل ليقوى، فكان أكله لها وتركه لها...!

* قلت: معنى يخف: أي ينشط وتسهل عليه ويلتذ بها.

وأحمد بن الحواري يقال بفتح الراء وبكسرها أشهر، والفتح سمعته مرات من شيخنا الحافظ أبـي البقاء يحكيه عن أهل الإتقان وعن بعضهم.

والله تعالىٰ أعلم

وقال أحمد بن أبـي الحوارى:

* سمعتُ أبا سليمانَ يعني الداراني ـ رحمه الله تعالى ـ يقول:

* عاملوا الله بقلوبكم، وصفُّوها، وهذِّبوها، ولا تُخفوا شيئاً من الأَعمال الظاهرة...

والدّاراني[٧]:

* يُقال: بالنون بعد الأَلف الثانية،

* ويُقال: بهمزة بدل النون، وهو بالنون أشهرُ وأكثرُ استعمالاً والهمزة أقرب إلى الأَصل وهو:

* منسوبٌ إلى داريا القرية الكبيرة، النفيسة بجانب دمشق.

* وكان أبو سليمانَ من كبار العارفين، وأصحابِ الكرامات الظاهرة، والأَحوال الباهرة، والحِكَم المتظاهرة.

واسمه: عبدُ الرحمٰن بنُ أحمدَ بنِ عَطيةَ!!

* وسيمر بك ـ إن شاء الله تعالى ـ جُمَلُ ما أنقله عنه من النفائس!!

* وهو أحدُ متأخري بلادِنا دمشقَ وما حولَها ـ رضي الله تعالى عنه ـ.

قال:

* ما أَدْرَكَ مَنْ أدرك بكثرة صلاةٍ، ولا صومٍ؛ ولكن بسخاء النفس، وسلامةِ الصدر، والنصحِ للأُمة...!

وقال إمامنا الشافعي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ :

* مَنْ أرادَ أنْ يقضيَ اللّٰهُ تعالىٰ له بالخير فليُحسنِ الظنَّ بالناس .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

أحمد بن أبي الحواري :

* هو من أهل دمشقَ ، صحب أبا سليمان الداراني وغيرَه ، مات سنة ثلاثين ومائتين .

وكان الجنيد يقول :

* أحمد بن أبي الحواري ريحانةُ الشام .

سمعت الشيخَ أبا عبد الرحمٰن السلمي **يقول :**

سمعت أبا أحمدَ الحافظَ **يقول :**

سمعت سعيدَ بنَ عبدِ العزيز الحلبي **يقول :**

سمعت أحمدَ بنَ أبي الحواري **يقول :**

* مَن عملَ عَمَلاً بلا اتِّباعِ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، فباطلٌ عملُه . . .

وبهذا الإسناد يقول :

* من نظر إلى الدنيا نَظْرَ إرادةٍ وحُبٍّ لها ، أخرج الله نورَ اليقين والزهدِ من قلبه .

وبهذا الإسناد قال أحمد بن أبي الحواري :

* أفضلُ البكاء ، بكاءُ العبدِ علىٰ ما فاته مِنْ أوقاته علىٰ غير الموافقةِ ! !

وقال أحمد :

* ما ابتلى اللّٰهُ عبداً بشيء ، أشدَّ من الغفلة والقسوة .

اهـ من الرسالة القشيرية

أُقول:

* رضي الله عنك يا سيدي يا أحمد! فأنتَ ـ حقّاً كما وصفك إمامُ الطائفتين ـ ريحانةُ أهلِ الشام؛ بل ريحانة الدنيا!!

* فهذه كلماتُ الصدقِ قد لاح النورُ بينَ ثناياها قد نبعتْ من معين خالص، وقلبٍ طاهر!!

* وهذه كلماتُ الإيمان، التي تُعبِّر عمَّا تحملُ بينَ جوانحك من علم وحكمة!!

فإنَّ مَنْ أخلص لله تعالىٰ أربعين يوماً، تفجرت ينابيعُ الحكمةِ منْ قلبه علىٰ لسانه، فأحيا القلوبَ الميتة، وردَّ العقولَ الشاردة، والنفوس المتمردة. فنفعنا الله بك، وبأمثالك من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه!!!

كتبه محمد عفي عنه

أما داريا:

* فهي قريةٌ كبيرةٌ مشهورة من قرى دمشق المعروفة!

والنسبة إليها داراني علىٰ غير قياس، وبها قبر أبـي سليمان الداراني...

وهو عبد الرحمٰن بنُ أحمد بن عطيّة الزّاهد. **ويقال:** أصله من واسط...

وروى عن الربيع بن صُبيح وأهل العراق، وروى عنه صاحبه أحمد بن أبـي الحواري، والقاسم الجوعي وغيرهما.

وتوفي بداريَّا سنة ٢٣٥هـ وقبره بها معروف يزار.

اهـ من معجم البلدان: ٢/ ٤٣١

أُقول: وقد أكرمني الله تعالىٰ وزوجتي بزيارته.

أما قوله: فليحسن الظن بالناس:

فقد ورد:

* إياكم والظنَّ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ!!

ولأَنَّ سوء الظن لا يكون إلَّا من قلب خبيث، وصاحبُه يُخشىٰ عليه سوءُ الخاتمة.

* اللهُمَّ طهِّر قلوبنا مِن كُلِّ وصْفٍ يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك!!

* * *

سُفيانُ الثَّوريُّ

أخبرنا شيخُنا الإمامُ أبو البقاء بقراءتي عليه قال: أخبرنا الحافظُ عبد الغني إجازةً، أخبرنا أبو طاهر السِلَفي، أخبرنا أبو محمد عبدُ الرحمٰن بنُ أحمد الدوني قال:

سمعتُ أبا الحسن عليَّ بنَ محمد الأَسد آبادي، أخبرنا عليّ بنُ الحسين بن عليّ، أخبرنا أبو منصور يحيى بن أحمد المروزي قال: سمعتُ أبا طاهر محمدَ بنَ الحسين بن ميمون يقول: سمعتُ أبا موسى هارون بن موسى يقول: قال أبو حاتم محمد بن إدريس:

سمعتُ أبا قبيصة يقول:

رأيت سفيانَ الثوري في المنام فقلتُ: ما فعل الله بك؟

فقَال:

نَظَرْتُ إلى رَبِّي كفاحًا فقَالَ لي
هنيئًا رضائي عنك يا ابْنَ سعيدِ

لقَدْ كُنْتَ قوّامًا إذا أظْلَمَ الدُّجى
بِعَبْرَةِ مُشْتاقٍ وقَلْبِ عَميدِ

فدُونَكَ فاخْتَرْ أيّ قَصْرٍ أرَدْتَهُ
وزُرْني فإنّي مِنكَ غيْرُ بَعيدِ

ضبط بعض الأسماء:

قلت: السِّلَفي بكسر السين المهملة وفتح اللام، منسوب إلى جدِّه **يقال له**: سلفة.

* كان هذا الجد مشقوقَ الشفة فلقِّب بالفارسية سِه لَفة بكسر السين وفتح اللام أو ذو ثلاث شفاه ثم عرِّبت فقيل سلفة.

* وكان أبو طاهر السِّلَفي أحدَ حفاظ عصره.

وأما الدوني:

* بضم الدال وإسكان الواو، فمنسوب إلى الدون: قرية بخراسان من أعمال الدينور...!

وأما الأَسد آبادي:

* فمنسوب لأَسد آباد بُلَيدَةٍ على مرحلة من همذان إذا توجهت إلى العراق...!

وأما الثوري:

* فمنسوب إلى بني ثور بنِ عبد مناف، بن أدينَ، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان...!

شرح الكلمات:

وأُما قولُه: نظرتُ إلى ربي كفاحاً؛ فهو بكسر الكاف!!

* **ومعناه**: معاينةً مِنْ غير حِجاب ولا رسول.

* **وقوله**: إذا أظلم الدُجَىٰ هو الظلام **وقوله**: عميد أي محبٌ صادقُ الحب لله . . . !

قال أهل اللغة: العميدُ القلبُ الذي هزَّه العشق.

الشَرحُ والتَعليق

* ولد سفيانُ سنة ٩٧ في الكوفة، ونشأ فيها في أسرة صالحة تقية عالمة . . . !

عاش أوَّلَ حياته فيها ثم خرج منها سنة ١٤٤هـ هرباً **من أبي جعفر المنصور** الذي راوده علىٰ تسلم القضاء!!

* وكان قد قضىٰ في الكوفة ٤٨ عاماً، وسكن في المدينة المنورة ومكةَ المكرمة، ثم انتقل إلى البصرة ومات فيها . . . !

* وكانت أمه امرأةً صالحة **تقول له**:

يا بني اطلب العلمَ وأنا أكفيك بمِغْزلي فكانت ـ رحمها الله ـ تعمل **وتقدم له ليتفرغ للعلم . . . !**

* وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له مرةً كما روى الإمام أحمد:

يا بني إذا كتبت عشرةَ أحرفٍ، فانظر هل ترىٰ في نفسك زيادةً في خشيتك، وحلمك، ووقارك؟ فإن لم تر ذلك **فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك!!**

* وكانت وفاته في شعبان سنة ١٦١هـ عن ٦٥ سنة تقريباً.

وحدث عثمانُ بنُ زائدة قال:

* رأيت في النوم كأني دخلتُ الجنةَ، فإذا سفيانُ يطير من شجرة إلىٰ شجرة **وهو يقول**:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾. [القصص: ٨٣]

ومن وصاياه :

* يا أخي !؟

عليك بالكسب الطيب! وما تكسب بيديك، وإياك وأوساخَ الناسِ أن تأكلَه أو تلبسه، فإن تناولت من الناس شيئاً قطعتَ لسانك!!

* يا أخي !؟

جوعٌ وقليلُ العبادةِ، خيرٌ مِنْ أَنْ تشبعَ من أوساخ الناس وكثير من العبادة!!

* يا أخي !؟

إيّاك أن تكسبَ خبيثاً فتنفقَه في طاعة الله، فإنَّ تركَه فريضةٌ من الله واجبةٌ، وأنه سبحانه طيبٌ لا يقبل إلاَّ طيباً!!

* أرأيتَ رجلاً أصابَ ثوبَه بولٌ، ثم أراد أن يُطهرَه فغسله ببول!!

* أترىٰ كان ذلك يُطهره؟ وهل عمل أحد ذنباً فمحاه بذنب؟

ومن وصاياه :

* أكرموا الناسَ علىٰ قدر تقواهم، وتذللوا عندَ أهلِ الطاعةِ، وتعززوا عندَ أهلِ المعصية!!

* واعلموا أن القراءة لا تحلو إلاَّ بالزهد في الدنيا. . . !

اهـ من مصادر مختلفة

وكتبُ القومِ والتاريخ فائضةٌ وغنية من ذكريات هذا البطلِ المغوار، والعالم المفضال!!

* وممن كتب في حياته الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني جزاه الله خيراً.

والدوني:

هو أبو محمد عبد الرحمٰـن بن محمد بن الحسين بن عبد الرحمٰـن بن علي ابن أحمد بن إسحاق الدوني الصوفي الزاهد.

قال أبو زكريا:

* وكان من بيت الزهد والستر والعبادة، مولده في سنة ٤٢٧هـ، ومات سنة ٥٠١هـ، وروى الكثير وسمع كتباً كثيرة.

اهـ معجم البلدان

قوله نظرت إلى ربي:

أُقول:

* هذه الرؤية قلبيةٌ كما تكون لكثير من الأَولياء بكشف الحجب عن النفس المرضية، حتى تكونَ كالعَيان!!

* ولا يجوز أن تُفسر بالبصرية، لأَنها من المستحيلات في الدنيا، ولم تقع لغير نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علىٰ خلاف في ذلك. اللَّـٰهُمَّ امنحنا فهماً صحيحاً، وقلباً فسيحاً حتَّى نفهمَ كلام أحبابك!!.

انظر في ص ٣٥٥ من هذا الكتاب،

فقد تعرّض المصنف لهذا الموضوع. اهـ.

كتبه محمد عفي عنه

* * *

يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ

* **أخبرنا** شيخنا: الإمامُ الحافظُ أبو البقاء ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ **أخبرنا** أبو محمد عبدُ العزيز بنُ معالي، **أخبرنا** القاضي أبو بكر الخطيب، **أخبرنا** أبو الفتح محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبـي الفوارس، **أخبرنا** محمد بن أحمد الوراق **قال**: سمعت عبدَ الله بنَ سهل الرازي **يقول**: سمعت يحيى بنَ معاذ الرازيَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ **يقول**:

* كَم مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مَمْقُوت، وَسَاكِتٍ مَرْحُوم !!

يقول هذا: أستغفر اللّـٰهَ، وقلبُهُ فاجرٌ، وهذا ساكتٌ، وقلبُهُ ذاكر!!

* * *

أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْوَاعِظِ

وبالإسناد إلى الخطيب **قال**: حدثنا أبو الحسن الواعظ **قال**:

* مَنْ خَرجَ إلى العلم يُريدُ العملَ به نَفَعَه قَليلُ العِلْمِ. . . !

وهـذا الإسناد قـال أبـو عبـد الله بنُ عطاءَ: العلمُ موقـوفٌ على العملِ به.

قلتُ: يعني العلمَ النافعَ المطلوبَ، كما قال إمامنا الشافعي ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ:

* لَيسَ ٱلْعِلْمُ مَا حُفِظَ ... إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ مَا نَفَعَ.

يحيىٰ بنُ معاذ الرازي:

* الإمام الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيّد، ومواعظُ مشهورةٌ، حدّث عن علي بن محمد الطنافسي، وعنه أحمد بن محمد البذشي. . . !

مِنْ أقواله:

الدرجات سبع:

* ١ ــ التوبة!

* ٢ ــ ثم الزهد!

* ٣ ــ ثم الرِّضىٰ!

* ٤ ــ ثم الخوف!

* ٥ ــ ثم الشوق!

* ٦ ــ ثم المحبة!

* ٧ ــ ثم المعرفة!

توفي في أواخر المائتين. . . !

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الصوفية للسلمي: ١٠٧، حلية الأَولياء: ١٠/٥١، والسير: ١٣/١٥.

* * *

الجُوعِيّ

* وأخبرنا شيخُنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمد، أخبرنا أبو بكر، أخبرنا الخطيب، أخبرنا ابنُ محمود الصوفي، أخبرنا عبدُ الوهاب بنُ الحسن الكلابي، حدثنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيز الحلبي قال: سمعت قاسماً الجوعِي ــ رضي الله تعالى عنه ــ يقول:

«الدِّينُ الورعُ».

* فأفضل العبادة: مكابدةُ الليل، وأفضلُ طريقِ الجنة: سلامةُ الصدرِ...

* قلتُ: الجوعي بضم الجيم وإسكان الواو.

وقال الإمام الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الأنساب:

* قاسم الجوعي هذا: له كرامات! منسوب إلى الجوع...

* قال: ولعله كان يبقىٰ جائعاً كثيراً...

الشَرحُ وَالتَعليقُ

قاسم الجوعي:

* هو الإمامُ القدوةُ الوليُّ المحدّثُ، أبو عبدِ الملك القاسمُ بنُ عثمانَ العبديّ الدمشقي شيخ الصوفية!!

* المعروفُ بالجوعي، نُسِبَ إلى الجوع...

وكان عابدَ أهل الشام!!

* صحِب أحمدَ بنَ أبـي الحَوَارى، وأبا سليمان الداراني، وسمع سفيانَ ابنَ عيينة!!

* حدّث عنه أبو حاتم **وقَال:** صدوقٌ كان فاضلاً، مِنْ محدّثي دمشق، زاهدَ الوقت بدمشق. . . !

* وكان الزهاد في وقته: السريّ السقطي ببغداد، وذو النون بمصر. . . !

توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين.

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الصوفية: ٩٨، حلية الأَولياء ٩/ ٣٢٢، طبقات الأَولياء: ٢٨٠، والسير: ١٢/ ٧٧.

أُقول:

* **والورع**: هو ترك الشبهات، والزهد: هو ترك الحلال الموجود. . . !

هذا هو الفرق بين الزهد والورع.

* * *

الزَّقَّـاقُ

* وأخبرنا شيخُنا أبو البقاء: أخبرنا أبو محمد: أخبرنا أبو بكر: أخبرنا الخطيب: أخبرنا أحمدُ بنُ الحسين ابن السماك قال:

* سمعتُ أبا بكر الزَّقَّاق ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول:

بُنِـيَ أمْرُنا هذا علىٰ أربعٍ:

* ١ ـ لا نأكلُ إلاَّ عن فاقة!

* ٢ ـ ولا ننامُ إلاَّ عن غلَبة!

* ٣ ـ ولا نسكتُ إلاَّ عن خِيفة!

* ٤ ـ ولا نتكلمُ إلاَّ عن وجد...!

قلتُ:

* الدقي بضم الدال وكسر القاف المشددة، وهو من كبار الصوفية وأهل المعارف والكرامات. توفي سنة ستين وثلاثمائة...

وأما الزَّقَّاق:

* فبفتح الزاي، وتشديد القاف، قال السمعاني:

هو نسبة إلى الزِّق وعملِه وبيعِه...!

* كان أبو بكر الزَّقاق هذا من كبار الصوفيةِ أصحابِ الكراماتِ الظاهراتِ، والمعارفِ المتظاهرات، وبهذا الإسناد إلى الزَّقَّاق قال:

* كلُّ أحدٍ يُنسَبُ إلىٰ نَسَبٍ، إلاَّ الفقراء، فإنَّهم يُنسبُونَ إلى الله عز وجل!!

* وكلُّ حسَبٍ ونسبٍ ينقطعُ، إلاَّ حسبَهم، فإن نسبَهم الصدقُ، وحسبَهم الفقرُ. . . !

* وبلغنا عن الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ فيما رواه البيهقي ـ رحمه الله ـ بإسناده عن يونسَ بنِ عبدِ الله!!

* وقيل ابنُ عبدِ الأعلىٰ قال: قال الشافعي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ:

* يا أبا موسى! لو اجتهدتَ كلَّ الجُهْدِ علىٰ أَنْ تُرضِيَ الناسَ كلَّهم، فلا سبيلَ إليه، فإنْ كان كذلكَ فأخْلِصْ عَمَلك ونيتَك لله عز وجل!!

الشرحُ والتعليقُ

قوله: «إلاَّ عن خيفة»:

* أي إذا شرع في الكلام، ولا يُبالي مِنْ غضَب المخاطَب أو رضائه!!

فيصدعُ بالحق ولا يسكت، إلاَّ إذا خاف علىٰ مخاطبه مِنْ أن يضلَّ أو يزيغَ. . . !

* أو خاف علىٰ نفسه أن يتسلط عليها الرياءُ والعجبُ فيصيبَه في المرض أكثرُ مما أراد به معالجة غيره. . . !

* وهذا هو معنى الخيفة، كي لا تغرَّ المرءَ نفسُهُ فيندفعَ بسرد الأَقوال، ويكونُ هو كبشَ الفداء، كالشمع يُضيءُ علىٰ غيره ويحترقُ هو، إذ يجوز ألا يصدق المثل فلا ينفع وعظُه، وتكون كصيحة في واد، أو نفخة في رماد.

وقوله :

«لا يتكلم إلاَّ عن وجد» :

* بحيث يضطر للكلام، فيجعلُه من قبيل العلاج، لا يزيد على القدر اللازم!!

فالمراد من الوجد :

* أن يتحقق بما يقول، فلا يكون مقلِّداً لغيره في الخطاب؛ بل يفهم القولَ ويعلمُه ليستطيعَ التعبيرَ عنه، ويكون أبلغَ في التأثير على النفوس. . . !

اهـ من تحقيق النسخة القديمة

والزقّ :

* السِّقاء، وجمع القلَّة أزقاق، والكثرة: زِقَاق كذئاب **وهو:** وعاء من جلد يوضع فيه الماء ونحوُه من السوائل. انظر: مختار الصحاح.

وانظر ص **٣٣** فقد تكلم المؤلف ــ **رحمه الله تعالىٰ** ــ عن الإخلاص بشكل مفصلٍ جليٍّ، وتناوله من جميع أطرافه، تناولاً جيداً، مع ذكر الحكايات الواضحة، والأدلة المقنعة، مع ذكر تعريفه، وحده وشروطه وعلاماته. . . !

* * *

المغربي

وأخبرنا شيخُنا أبو البقاء: **أخبرنا** أبو محمد، **أخبرنا** أبو بكر: **أخبرنا** الخطيب: **أخبرنا** أحمدُ بنُ الحسين الواعظُ **قَال:** سمعتُ أبا بكر الطَرسُوسِي **يقول:**

* سمعتُ أبا بكر بنَ شيبانَ **يقول:** سمعتُ أبا عبدِ الله المغربي.

يقول:

صوفيٌّ بلا صِدْقٍ:

* الرُوزجار أحسنُ منه.

قلتُ: هو براء مضمومة، ثم واو ساكنة، ثم زاي، ثم جيم، ثم ألف ثم راء، وهو الذي يعمل في الطين بالمجرفة ونحوِها.

الشرح والتعليق

طرسوس:

كلمة عجمية رومية، وهي: مدينة بثغور الشام بينَ أنطاكية وحلب وبلاد الروم...!

* وعلىٰ طرسوس سوران، وخندق واسع، ولها ستة أبواب، ويشقها نهر البردان.

* وبها قبرُ المرحومِ عبدِ الله بنِ الرشيد، جاءها غازياً فأدركته منيته فمات...!

فقال الشاعر:

* هل رأيتَ النجومَ أغنتْ عن المأ
مـونِ فـي عـزِّ ملكـه المـأسـوسـي؟

* غـادروه بِعَـرصَتـي طـرسـوسـي
مثـلَ مـا غـادروا أبـاه بطـوسـي

ومـا زالـتْ مَـوْطنـاً للصـالحيـن، والـزهـاد يقصـدونهـا، لأنهـا مـن ثغـور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال. وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤.

اهـ من معجم البلدان ٤/٢٨

كتبه محمد

وقوله: الروزجار أحسن منه:

* أفضلُ التفضيل علىٰ غير بابه، لأَن الذي يعمل بالمجرفة ينفع الناس في الدنيا، وإن أخلص في عمله نفع في الآخرة أيضاً...!

أما الصوفي بلا صدق:

* فإنه لا حُسْنَ فيه أصْلاً، لأَنه بعيدٌ عن الآخرة، ولا فائدةَ فيه للناس، لأَنه نقمةٌ وبلاءٌ عليهم!!

* وإنما هو صيَّاد، مُهيـيءٌ شبكتَه، وناصبٌ شِراكه، ليوقعَ بها الناسَ، فهو لم يكسب ديناً ولا دنيا، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

* وفي حديث عبدِ الله بنِ جراد **قال**: يا نبـي الله! هل يكذبُ المؤمن؟

قال: لا... ثم أتبعها ﷺ **بقول الله تعالىٰ:**

* ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥]. رواه ابن عبد البر في التمهيد.

اهـ من تحقيق النسخة القديمة

* * *

حَمَّادُ بنُ سَلَمَة

رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى

ورُوِّينا بأسانيدَ متعددةٍ، عن مقاتل بنِ صالح الخُراساني **قال:**

* دخلتُ علىٰ حماد بنِ سلمة ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ فإذا ليس في البيت إلاَّ حصيرٌ، وهو جالس عليه، ومُصحفٌ يقرأ فيه، وجِرَاب فيه عِلْمُهُ، ومِطْهَرة يتوضأ فيها!!

فبينا أنا عنده، إذ دق داقٌّ البابَ!!

* **فقال:** يا صبيةُ اخرجي فانظري! مَنْ هذا؟

* **قالت:** هذا رسولُ محمدِ بنِ سليمان!!

قال: قولي له يدخل وحدَه، فدخل وسلم، وناولَه كتاباً.

* **فقال:** اقرأه، فإذا فيه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

من محمَّد بنِ سليمانَ إلىٰ حمَّاد بنِ سلمةَ...!

أما بعد:

* فصبَّحك الله بما صبَّح به أولياءَه، وأهلَ طاعتِهِ، وقعتْ مسألةٌ فإنا نسألُكَ فيها؟ فائتِنا!

* **فقال:** يا صبيةُ هلمي بالدَّواة!! **ثم قال:** اكتب في ظهر الكتاب!.

أما بعد:

* فأنتَ صبَّحَك الله بما صبَّح به أولياءَه، وأهلَ طاعته، أدركْنا

العلماء وهم لا يأتون أحداً، فإن وَقعتْ مسألةٌ فائتنا! فتسألَنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلاَّ وحدَك ولا تأتني بخيلِك ورَجِلِكَ، فلا أنصُحك، ولا أنصحُ نفسي، والسلام. . . !

* فبينا أنا عنده جالس! إذ دقَّ داقٌّ الباب. . . !

فقال: يا صبيةُ! أُخرجي فانظري! مَنْ هذا؟

* **فقالت:** محمد بنُ سليمان. . . !

قال: قولي له يدخل وحدَه!!

قال: فدخل فسلم ثم جلس بين يديه!!

* **فقال:** ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأَتُ رعباً؟

* **فقال حمادٌ**: سمعتُ ثابتاً يعني البُناني **يقول**: سمعت أنسَ بنَ مالك ــ **رضي الله عنه** ــ **يقول**: **سمعتُ رسول الله ﷺ يقول**:

«العالمُ إذا أراد بعلمه وجهَ الله هابه كلُّ شيءٍ، وإذا أراد أنْ يُكثرَ به الكنوز، هاب من كل شيء». . . !

فقال: ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان، وهو عن أحدهما أرضىٰ، فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي مالِهِ؟

* **فقال:** لا! ويرحمُكَ اللّـٰهُ فإني سمعت ثابتاً البناني **يقول**: سمعت أنسَ بنَ مالك **يقول**: **سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول**:

«إنَّ الله عزَّ وجلّ إذا أراد أن يُعذِّب عبداً بماله وفَّقه عند موته لوصية جائرة». . .

* **قال:** فحاجةً؟

* **قَال:** هاتِ!! ما لم تكن رزيةً في دِين!!

* **قَال:** أربعين ألفَ درهمٍ تستعينُ بها علىٰ ما أنتَ عليه!!

* **قال:** ارددها علىٰ مَنْ ظلمتَه بها!!

* **قَال:** والله ما أعطيتك إلاَّ ما ورثته!!

* **قَال:** لا حاجة لي فيها، ازوها عني! زوى الله عنك أوزارَك!

* **قَال:** فغيرَ هذا؟

* **قَال:** هاتِ ما لم يكن رزية في دين الله!!

* **قَال:** تأخذها فتقسمها!!

* **قَال:** فلعلي إن عدلتُ في قِسْمَتِها أن يقول بعضُ من لم يُرزقْ منها، إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم، ازوها عني زوى الله عنك أوزارك!.

قلت [القائل هو الإمام النووي]:

* ما أحسنَ هذه الحكايةَ! وما أحسنَ فوائدَها! وما جمعتْ من النفائس والتنبيه علىٰ قواعدَ مهمةٍ!! وهي بارزةٌ لا تحتاج إلى التنصيص عليها...!

* ولكن فيها أحرفٌ من اللغة نضبطها، وإن كانت معروفةً صيانةً لها...!

* **فقوله ومصحف يَقرأ:**

يُقَال: مصحف بضم الميم، وكسرها، وفتحها ثلاث لغات الضمُّ أفصح.

* وقد أَوْضَحتها وبينتُ أُصولَها واشتقاقُها في كتاب تهذيب الأَسماء واللغات.

* **وقوله جراب:**

بكسر الجيم وفتحها لغتان.

والمِطْهرة: هي كالإبريق والركوة وغيرهما مما يتطهر به.

* **وقوله هلمي:**

* بمعنى أعطيني، وهذه إحدى اللغتين...!

* والأُخرىٰ هلمَّ للرجل، والمرأة والمثنى، والمجموع، وهي أفصح، وبها جاء القرآن، **قَالَ اللَّه عزَّ وجلَّ**:

﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] و ﴿هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾ [الأحزاب: ١٨].

وقوله هاتِ:

هو بكسر التاء بلا خلاف.

رُؤْيَتُهُ فِي ٱلنَّوْمِ

* **أخبرنا** شيخُنا الحافظُ أبو البقاءِ بقراءتي عليه، **أخبرنا** الحافظُ عبدُ الغني إجازةً، **أخبرنا** محمدُ بنُ عبدِ الباقي، **أخبرنا** أبو الحسن علي بن محمد الخطيب، **أخبرنا** أبو الحسين علي بن محمد، **حدثني** أبو عبد الله التميمي، عن أبيه **قَال**:

* رأيت حمادَ بنَ سلمة في النوم **فقلْت**: ما فعل بك ربُّك؟.

* **قَال**: خيراً!!

* **قلت**: ماذا قال؟

* **قال: قال لِيَ:** طالما كِدتَ نفسَكَ! فاليومَ أُطيلُ راحتكَ وراحةَ المتعوبين من أجلي، بخٍ بخٍ ماذا أعددتُ لهم؟

الشرح والتعليق

حماد بن سلمة بنُ دينار، أبو سلمة البصري، **مفتي البصرة، المقرئُ المحدثُ النحْوي الفقيه!!**

* ولد في حياة أنس بنِ مالك سنةَ إحدىٰ وتسعين للهجرة. . . !

* وأخذ القراءةَ عن عاصم وابن كثير!!

وسمع الحديثَ من ثابت البُناني، وأيوبَ السختياني، وعمرو بنِ دينار.

* وثَّقه أحمدُ وابن معين وابنُ المديني. روى له البخاري ومسلم.

قال ابن المديني:

* مَنْ تكلم في حَماد فاتهموه في الدين!!

وقال شهاب بنُ معمر البلخي:

* كان حمادُ بن سلمة يُعَدُّ من الأَبدال، روي أنه كان مجابَ الدعوة. . . !

وقال أحمد بن حنبل:

* حمادُ بنُ سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فيه كلَّ يومٍ إلاَّ بصيرة. . . !

وقال الذهبي:

* كان بحراً من بحور العلم، وكان مَعَ إمامتِه في الحديث إماماً كبيراً في العربية، فقيهاً، فصيحاً، رأساً في السنّة. . . !

وقال حماد بن زيد:

* ما كنا نرىٰ مَنْ يتعلمُ بنية غيرَ حمادِ بنِ سلمة، وما نرى اليوم مَن يُعَلِّم بنية غيرَه.

وقال ابن ناصر الدِّين:

* هو أولُ مَنْ صنف التصانيفَ المرضية، عاش ٧٦ سنة، وتوفي سنة ١٦٧ يوم الثلاثاء من ذي الحجة.

مصادر الترجمة:

* ١ ـ التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٢٢.
* ٢ ـ حلية الأَولياء للأَصفهاني ٦/ ٢٤٩.
* ٣ ـ طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٢٠٨.

قولُه: بَخْ: بوزن بل، كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة، **فيُقَال:** بخ بخ، فإن وصلت خفضت ونونت **فقلت:** بخٍ بخٍ، وربما شددت كالاسم **فقيل:** بخٌّ. اهـ مختار

ويرحم الله القاضي أبا الحسن عليَّ بنَ عبد العزيز الجرجاني حيث يقول:

* يقـولـونَ لـي فيـكَ انْقِبـاضٌ وإنمَّـا
رَأَوْا رَجُلاً عن مَوْقِفِ الذُلِّ أحْجَما(١)

* أَرىَ النَّاسَ مَنْ دَاناهُمُ(٢) هانَ عِنْدَهم
ومَـنْ أكـرَمتْـه عِـزَّةُ النفـسِ أُكْـرِمَـا

* وإنِّـي إذا مَـا فَـاتَنِـي الأَمْرُ لَـمْ أكُـنْ
أُقَلِّـــبُ كَفَّـــيَّ إثْـــرَه مُتَنَـــدِّمَـــا

* ولم أَقْضِ حَقَّ الْعِلْم إنْ كَانَ كُلَّما
بَـدَا(٣) مَطْمَـعٌ صَيَّـرتُـهُ لـي سُلَّمَـا

---

(١) حجمه عن الشيء، من باب نصر، فأحجمه: أي كفَّه فكف، وهو من النوادر، مثل كبه فأكب.

(٢) دانى بين الأَمرين: قارب، وبينهما دناوة: أي قرابة.

(٣) بدا الأَمر، من باب سما، أي: ظهر وقرىء: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٦]، أي ظاهر الرأي.

* ومَـا كُـلُّ بَـرْقٍ[1] لاحَ لـي يَسْتفِـزُّنـي
ولا كُـلُّ مَـنْ فـي الأَرضِ أَرضَـاه مُنْعِمَـا

* أَنْهَهـا عَـنْ بعـضِ مَـا لاَ يَشِينُهـا[2]
مخَـافَـةَ أَقْـوالِ العِـدا فيـمَ أو لِمَـا

* وَلَمْ أَبْتَذِل في خِدمَة العلم مُهْجَتي[3]
لأَخْـدُمَ مَـنْ لاقيـتُ لٰـكِـنْ لأُخْـدَمَـا

* أَأَشْقَىٰ بهِ غَرْساً وأجْنيه[4] حَنْظَلاً[5]
إِذَنْ فاتِّباعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزمَا[6]

* ولو أنَّ أهلَ العلمِ صَانُوه[7] صَانَهم
وَلَـوْ عظَّمـوه فـي النفـوس لعُظِّمـا

* ولكـنْ أهـانـوه فهـان ودنَّسـوا[8]
مُحَيَّاهُ[9] بـالأَطمـاع حتَّى تجهَّمـا[10]

وكيد النفس:

* هو قَصْرها علىٰ طريق الاستقامة، وإلزامُها بما يجب عليها من حق، ومنعُها من الرتوع بما تحب وترغب. قَالَ اللَّه تعَالىٰ:

---

(١) برق السيف وغيرُه: تلألأ، وبابه دخل، والاسم: البريق، والبَرْق: واحد بروق السحاب.

(٢) الشين: ضد الزين، وقد شانه من باب باعه.

(٣) المهجة: الدم، وقيل دم القلب خاصة، وخرجت مهجته: أي روحه.

(٤) جنى الثمرة من باب رمى، واجتناها: بمعنى التقط.

(٥) الحنظل: نبت خبيث الطعم لا رائحة له.

(٦) الحزم: ضبط الرجل أمرَه وأخذه بالثقة فهو حازمٌ.

(٧) صان الشيء من باب قال، وصياناً وصيانة أيضاً فهو مصونٌ ولا تقل مُصان.

(٨) الدنس: الوسخ، وقد دنِسَ الثوبُ أي توسخ، ودنسه غيرُهُ تدنيساً.

(٩) المُحَيَّا: الوجه.

(١٠) رجل جَهْم الوجه، أي: كالح الوجه.

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

وأعدى عدوِّك نفسُك التي بينَ جنبيك، وهذا يختلف باختلاف الناس:

* ١ ـ فالعامة يكفي منهم القيام بالواجب، والعزوف عن الحرام!

* ٢ ـ والطبقة التالية: يزيدون عليهم بالإكثار من النوافل، والتحلِّي بالفضائل، مع دأبهم على الأَعمال الصالحة ليلَ نهار لا يفتُرون!

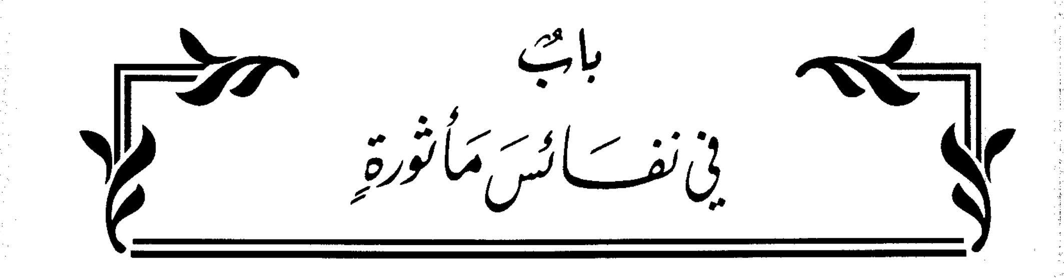
* ٣ ـ وهناك طائفة من أرباب الهمم العالية، قد بلغوا القِمّةَ في كيد نفوسهم، وإجهادِها، مع السطوة عليها وقهرها!!

* فهؤلاء أفذاذ نُزُر، ساروا بنفوسهم سيراً دقيقاً، فلم يفتحوا لها مجالَ الموافقة خوفاً من الوقوع في المخالفة، وكُتُب القوم غنية بقَصِصهم وأحوالهم. . .

* فهذا سفيان الثوري، من جلَّة التابعين نفسُهُ تنازعه بأن يُطعمَها جزرةً مغموسة بالدِّبس ثلاثينَ عاماً فلم يُجبها علىٰ ذلك. فهؤلاء يُسلَّم لهم حالُهم، ويُتبارك بذكرياتهم.

وقد ذكرنا نبذة موجزة عن سفيان في ص ١٧٨ من هذا الكتاب فعد إليه!!

* * *



بابٌ
في نفائسَ مأثورةٍ

بابٌ
في نفائسَ مأثورةٍ
قولُ عمّار

* وروِّينا في صحيح البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

قال عمار ـ رضي الله تعالى عنه ـ في هذه الكلمات:

ثلاثٌ من جمَعهن فقد جمعَ الإيمانَ:

* ١ ـ الإنصافُ من نفسك!
* ٢ ـ وبذلُ السلام للعالَم!
* ٣ ـ والإنفاق في الإقتار!

قلت:

قد جمع ـ رضيَ اللَّه تعالىٰ عنه ـ في هذه الكلمات خيراتِ الآخرة والدنيا...

وعلى هذه مدارُ الإسلام!!

* لأَن من أنصف من نفسه فيما لله تعالىٰ، وللخلق عليه، ولنفسه: من نصيحتها، أو صيانتها، فقد بلغ الغايةَ في الطاعة...

وقوله: بذلُ السلامِ للعَالَم:

* هو بفتح اللام يعني الناسَ، معَ عدمِ التكبرِ عليهم، أي

الارتفاعِ فوقَهم يعني للناس كلِّهم؛ لقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
«وتقرأ السلامَ على مَنْ عرفتَ ومَنْ لَم تَعْرِفْ»[1].

* وهذه من أعظم مكارم الأَخلاقِ.

وهو متضمنٌ للسلامة من العداوات، والأَحقاد، واحتقار الناس والتكبر عليهم، والارتفاع فوقهم[2].

وأما الإِنفاق في الإِقتار:

* فهو الغايةُ في الكرم!

* وقد مدح الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ ذلك فقال:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

* وهذا عامٌّ في نفقة الرجلِ علىٰ عياله، وضيفه، والسائلِ منه، وكلِّ نفقة في طاعة الله عز وجل.

وهو:

* ١ ـ متضمنٌ للتوكل على الله تعالىٰ، والاعتمادِ علىٰ سعة فضلِه، والثقةِ بضمانِ الرزقِ...

---

(١) من المسلمين، أما غيرُ المسلمين فلا يجوز أن نبدأهم به!!

* فإن سلموا فنقول: وعليكم، وإن دخلنا مكاناً فيه مسلمٌ وغيرُه فنسلم وننوي السلامَ على المسلم.

اهـ محمد

ولقد تعرضتُ لموضوع السلام في كتابـي الصحوة القريبة وبسطت الحديث عنه في ٢/ ١٦٣ بسطاً واسعاً.

(٢) وقد تناولت هذا الموضوع تفصيلاً وإيضاحاً في كتابـي «الصحوة القريبة» لأَهميته الاجتماعية ١/ ١٤٥؛ لأَنَّ الكبر هو الداء العضال الخطير.

* ٢ ـــ ويتضمن ـ **أيضًا** ـ الزهدَ في الدنيا، وعدمَ ادخار متاعِها، وتركَ الاهتمامِ بشأنها، والتفاخرِ والتكاثر بها!

* ٣ ـــ ويتضمنُ غيرَ ما ذكرتُه من الخيراتِ، لكني أوثر في هذا الكتاب، الاختصارَ البليغَ خوفاً من الملل!

وقد رُوِّينا هذه الكلمات في شرح السنَّة للبغوي عن عمار، عن النبي ﷺ. . . !

والله أعلم

* * *

أقوال الأئمة من السلف في نفائس مأثورة

قولُ أبي كثيرٍ

* ورَوِّينا في صحيح مسلم ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ قال:

حدثنا يحيى بنُ يحيى قال: أخبرنا عبدُ الله بنُ أبي كثير قال: سمعت أبي يقول:

* لا يُستَطاعُ العلمُ براحةِ الْجِسْمِ. . .!

* * *

قولُ ربيعةَ

* ورَوِّينا في صحيح البخاري ـ رضيَ اللّهَ تعالىٰ عنه ـ قال:

قال ربيعة، يعني شيخَ مالك بنِ أنسٍ الإمام ـ رضيَ اللّهَ تعالىٰ عنهما ـ:

* لا ينبغي لمن عنده شيءٌ من العلم، أن يضعَ نفسَه. . .!

قلت:

* في معنى كلامِ ربيعةَ قولان، أوضحتُهما في شرح صحيح البخاري واختصرتهما هنا. . .!

١ـ أحدهما:

* معناه مَنْ كانت فيه نجابةٌ في العلم، وحصَّل طَرَفاً منه، وظهرت فيه أماراتُ التبريز فيه!!

* فينبغي له أَنْ يجتهدَ في تتمته، ولا يُضيعَ طلَبه فيضيعَ طلبُه فيضعَ نفسَه...!

٢ـ والثاني:

* معناه مَنْ حَصَّلَ له العلمَ، ينبغي له أن يسعىٰ في نشره، مبتغياً به رضا اللّٰهِ تعالىٰ!!

ويُشيعَه في الناس، لينتقلَ عنه، وينتفعَ به الناسُ وينتفع هو!!

* وينبغي أَن يرفقَ في نشره بمن يأخذُه منه، ويُسهلَ طرق أخذِه، ليكونَ أبلغَ في نصيحة العلم، فإنَّ الدِّين النصيحةُ...!

* وقد اختلف أصحابُ الشافعي ــ رحمهُ الله تعالىٰ ــ وإياهم فيمن كان بالصفة المذكورة في الأَول!!

* هل يتعينُ عليه تتميمُ الطلبِ، ويحرمُ التركُ، أم يبقىٰ في حقه فرضَ كفايةٍ كما كانَ، فلا يحرم عليه التركُ إذا قام به غيرُه؟

وهذا الثاني هو قولُ أكثرِهم وهو الصحيحُ المختار...!

والله أعلم

* * *

قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ

* ورُوِّينا عن عمرَ بنِ الخطاب، وابنِهِ عبدِ الله ــ رَضِيَ اللَّهُ تعَالىٰ عَنهمَا ــ قال: مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُه. . . !

ومعناه:

* من استحيا في طلب العلم كان علمه رقيقاً، أي: قليلاً. . . !

* * *

قَوْلُ مُجَاهِدٍ

* ورُوِّينا في صحيح البخاري ــ رَضِيَ اللَّهُ تعَالىٰ عنهُ ــ قال مجاهد ــ رحمه الله ــ :

* لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحٍ وَلَا مُتَكَبِّر. . . !

* * *

قَوْلُ عَائِشَةَ

* وروِّينا في صحيح مسلمٍ وغيرِه عن عائشةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ تعَالىٰ عنها ــ قالت:

* نِعْمَ النساءُ نِسَاءُ الأَنْصارِ، لم يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحياءُ أن يَتَفَقَّهْنَ في الدين. . . !

* * *

قَوْلُ عُمَرَ

* ورويّنا في صحيح البخاري قال:

قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا !!

ومعناه:

* احرصوا على إتقان العلم، والتمكنِ من تحصيله، وأنتم شُبَّانٌ لا أشغالَ لكم ولا رئاسةَ، ولا سِنَّ!!

* فإنكم إذا كَبِرْتم، وصرتم سادةً متبوعينَ، امتنعتم من التفقه والتحصيل!!

* * *

قَوْلُ ٱلشَّافِعِيِّ

وهذا نحو ما قال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* تَفَقَّه قبلَ أنْ ترأَسَ، فإذا رَأسْتَ فلا سَبيلَ إلى التفقه. . . !

* * *

قَوْلُ الْجُنَيْدِ

* أخبرنا شيخُنا أبو البقاء، أخبرنا أبو محمدٍ، أخبرنا أبو بكر، أخبرنا الخطيبُ، أخبرنا أبو محمد الأَصفهاني، حدثنا جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ يقول:

* مَا أُحِبُّ أَنْ أَمُوتَ حَيْثُ أُعْرَفُ، أَخَافُ أَنْ لَا تَقْبَلَنِي الأَرْضُ فَأَفْتَضِحَ . . . !

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الجنيد: هو الجنيدُ بنُ محمد بنِ الجنيد أبو القاسم. النهاوندي الأَصل البغدادي، عَلَمُ الأَولياءِ في زمانه، تفقه علىٰ أبـي ثور، وكان يفتي بحلقته وله من العمر عشرون سنة. . . وهو: إمام الطائفتين!!

وسمع الحديثَ من الحسن بنِ عرفةَ وغيرِه، واختص بصحبة السري السقطي، والحارث المحاسبـي. . .

قال جعفر الخلدي:

* لم نر مِنْ شيوخنا مَنِ اجتمع له علمٌ وحالٌ غيرَ الجنيد: إذا رأيتَ علمه رجحتَه علىٰ حاله، وإذا رأيتَ حالَه رجحته علىٰ علمه. . . !

وقال أبو القاسم الكعبـي المتكلم المعتزلي:

ما رأيتُ مثلَ الجنيد. . .

* ١ ـ كان الكتبةُ يحضرونه لأَلفاظه. . . !

* ٢ ـ والفلاسفةُ لدقة معانيه. . . !

* ٣ ـ والمتكلمون لعلمه. . . !

ومن كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ :

* الطريقُ إلى الله تعالىٰ مسدودٌ علىٰ خلقه إلاَّ على المقتفين آثارَ رسولِ الله ﷺ!

قال عز وجل :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾.

توفي الجنيدُ يومَ السبت من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين . . .

قال جعفر الخلدي :

رأيته في النوم **فقلتُ** :ما فعل الله بك؟ .

فقال:

* ١ ـ طاحتْ تلك الإشاراتُ!
* ٢ ـ وغابتْ تلك العباراتُ!
* ٣ ـ وفنيت تلك العلوم!
* ٤ ـ ونَفِدَت تلك الرسوم!

وما نفعنا إلاَّ رُكيعات كنا نركعها في السحر أي : والناسُ نيام . . . !

انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، للإمام السبكي .

* * *

قَوْلُ سَرِيٍّ

وبهذا الإسناد قال الجنيد: سمعت سرياً **يقول**:

* إني لأَنظرُ إلىٰ أنفي كلَّ يوم مرتين، مخافةَ أن يكونَ قد اسودَّ وجهي. . . !

* * *

قَوْلُ ابْنِ أَرْجَكَ

* وبهذا الإسناد إلى الخطيب **قال**: حدثنا علي بن القاسم **قال**: سمعت الحسينَ بن أرجك **يقول**:

* مِنْ خَيْرِ المَوَاهِبِ الْعَقْلُ، وَمِنْ شَرِّ المَصَائِبِ الْجَهْلُ. . . !

* * *

قَوْلُ ابْنِ الْحَارِثِ

* وبالإسناد إلى الخطيب قَال: أخبرنا عبدُ العزيز، **حدثنا** محمد **قال**: سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بنَ عبد الله تلميذ بشر بن الحارث **قال**: سمعت ابنَ الحارث ـ **رضيَ اللّه تعالىٰ عنه** ـ يقول:

* كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ تَلَذُّذاً، وَلَا يَلْبَسُونَ تَنَعُّماً.

قال:

وهذه طريقُ الآخرةِ، والأنبياءِ، والصالحين، ومَنْ بَعدَهم!!

* فَمَنْ زعم أنَّ الأمرَ في غير هذا فهو مفتون!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: ولا يلبسون:

لَبِس الثوب يلبَسُهُ لُبساً.

ولبَسَ عليه الأمر خلط، وبابه ضرب.

ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

* وأمثالُ هؤلاء الفحول من الرجال، الذين هضموا حقَّ نفوسِهم هضماً لم يكن بالحُسبان، وخافوا من دخائلها الماكرة خوفَ المشفق الحيران!

* فقاموا بمحاسبتها حساباً دقيقاً، وأخذوا بزمامها أخذاً وثيقاً، فجرَّعوها كؤوسَ الحنظل، وألجموها بلجام الصبر، حتَّى ذلَّتْ وانقادتْ، ولبَّتْ وأجابتْ!!

* فأقرَّت لخالقها بالربوبية، وأذعنت له بالأُلوهية، واعترفتْ بعجزها وجهلها حتَّى غدت راضيةً مرضية!!

* فسعدت وأسعدت، واستراحت وأراحت، وناداها منادي السعادة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٨ ـ ٣٠]، وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِل:

أَتَحْسَبُ المَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

* * *

قَوْلُ سَهْلٍ[1]

* وبالإسناد إلى الخطيب قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بنُ محمد النيسابوري، حدثنا محمد بنُ عبد الله بن بهلول الفقيه، حدثنا أحمد بن علي بن أبي حمير قال: سمعتُ سهلَ بنَ عبد الله ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ يقول:

* حَرامٌ علىٰ قلْبٍ أَنْ يَشُمَّ رائحةَ الْيَقِين وفيه سُكُونٌ إلىٰ غَيْرِ الله تعالىٰ!!

* وَحَرَامٌ علىٰ قَلْبٍ أَنْ يَدْخُلَه النُّورُ، وفيه شَيءٌ مما يَكْرهُهُ اللَّـهُ تعالىٰ.

* * *

قَوْلُ بِشْرٍ

* وبالإسناد إلى الخطيب قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بنُ محمدِ الأَهوازي!!

حدثنا أبو عبدِ الله محمدُ بنُ مخلد العطار، حدثنا موسى بن هارونَ، حدثنا محمد يعني ابنَ هيصم قال:

سمعت بشرَ هو ابن الحارث ـ رحمهُ اللّه ـ يقول:

---

(١) انظر ترجمته في ص ٣٧٠ من هذا الكتاب!! فإنها عظيمة جدًّا.

«أوحى الله تعالىٰ إلىٰ داودَ ﷺ:

* «يا داودُ لا تَجْعَلْ بيني وَبَيْنَكَ عَالِمَاً مَفْتُوناً، فَيَصُدَّكَ بِسُكْرِه عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِـي، أولئكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادي». نسألُ اللهَ العافيةَ.

الشرحُ والتعليقُ

بشر: هو بشرُ بنُ الحارثِ بنِ عبد الرحمٰـن بن عطاء:

* وهو الإمام العالم المحدِّث الزَّاهد الربَّاني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المَروزي ثم البغدادي، المشهور بالحافي!!

* ولد سنة اثنتين وخمسين ومائة، وارتحل في طلب العلم، فأخذ عن مالك وفضيل بن عياض، وابن المبارك وغيرِهم...!

وكان يُلزِم نفسَه، رأساً في الورع والإخلاص!

قال إبراهيم الحربـي:

* ما أخرَجتْ بغدادُ أتمَّ عقلاً من بشر، ولا أحفظَ للسانه...!

وقال السلمي:

كان بشرُ من أولاد الرؤساء فصحب الفُضَيل، سألتُ الدارقطني عنه فقال:

* زاهدٌ جبلٌ ثقةٌ!

توفي سنة سبع وعشرين ومائتين. وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

مصادر الترجمة:

* طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٤٢، حلية الأولياء: ٨/ ٣٣٦، تاريخ بغداد: ٧/ ٦٧، السير: ١٠/ ٤٦٩، عاش ٧٥ سنة.

* * *

قَوْلُ سَلْمَانَ

أخبرنا شيوخُنا الثلاثةُ الأَئمةُ:

* ١ ــ القاضي الإِمامُ بقيةُ المشايخِ **أبو الفضلِ** عبدُ الكريم بنُ القاضي أبـي القاسم عبد الصمد بن محمد الأَنصاري!!

* ٢ ــ والإِمامُ الحافظُ **أبو البقاء** خالدُ بنُ يوسفَ!!

* ٣ ــ والشيخُ الإِمامُ **عبدُ الله** محمدُ بنُ عبدِ المحسن بنِ محمد بنِ منصور الأَنصاري الدمشقيون، **قَال:**

* **أخبرنا** الشيخُ الإِمام أبو اليمن زيدُ بن الحسن الكندي. . . !

* **أخبرنا** أبو بكر بنُ عبد الباقي الأَنصاري، **أخبرنا** أبو إسحاقَ ابنُ عمر بن أحمدَ البرمكي:

* **أخبرنا** أبو محمد عبدُ الله بنُ إبراهيمَ ناشىء، **أخبرنا** أبو مسلم ابن عبد الله الكحي:

* **حدثنا** محمدُ بن عبد الله الأَنصاري، **حدثنا** سليمان التيمي، عن أبـي عثمان النهدي، عن سلمان ــ **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ** ــ **قَال:**

* **لا يعلمُ الناسُ عونَ اللَّـهِ بالضعيف ما عالوا بالظهر**[1].

* * *

---

(١) عبارة الكتاب ليست بواضحة، قد يكون فيها تحريف مطبعي أو خطأ تحريفي كما هو ظاهر: =

أقوال الشافعي

* وقال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* عليك بالزهد!! فالزُّهدُ على الزَّاهد أحسنُ من الحلي على النَّاهد[1].

* وقال الربيع ـ رحمه الله تعالى ـ : قال الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* يا ربيع!! لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنَّك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها:

* وقال المزني ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ : سمعتُ الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول:

* ليس لأَحد إلاَّ له محبٌّ ومبغضٌ، فإذاً لا بدَّ من ذلك فَلْيكُنِ المرءُ مع أهلِ طاعةِ الله عزَّ وجلّ!!

* * *

= فلو أبدلنا لا بـ «لو» و «عالوا» بـ «غالوا» لاستقام اللفظ، وظهر المعنى وتم فيصير المعنى والله أعلم:

* لو يعلم الناس عونَ الله بالضعيف، وما له من الكرامة والأَجر، وما لمُكْرِمه منَ الثواب والفضل، ما تغالوْا بثمنه، جوداً واستحساناً، مراعاةً لمشاعر الفقير، وحفظاً مِنْ هضم حقه، الذي يلتحف السماء، ويفترش الأَرض. . !

اهـ. محمد

(١) النّاهد: الفتاة التي ارتفع ثديها عن صدرها، وصار له حجم.

اهـ نهاية

قَوْلُ سُفْيَان

* ورُوِّينا عن الحسن بنِ عمران بنِ عيينة، أن سفيانَ بنَ عيينة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال له بالمزدلفة في آخر حجة حجها:

* قد وافيتُ هذا الموضعَ سبعينَ مرةً أقولُ في كل مرة:

* اللَّهم لا تجعله آخرَ العهدِ من هذا المكانِ!! وقد استحييت من الله عزَّ وجل مِنْ كثرةِ ما أسألُه، فرجع فتوفي في السنة الداخلة.

* * *

قَوْلُ الدَّارَانِيِّ

صُورَةٌ رَائِعَةٌ:

* أخبرنا الشيخُ الأَمينُ السيدُ أبو الفضل محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمد بن التيمي، البكري بقراءتي عليه بكلاسة جامع دمشق!!

قَال:

أخبرنا الشيخُ أبو حفص عمرُ بنُ محمد بن مُعَمَّر بنِ طبرزد، قَال:

* أخبرنا الحافظُ أبو القاسم إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ عمر السمرقندي.

قَال: سمعتُ عبدَ الدائمَ بنَ الحسن الهلالي يقول:

* سمعت عبدَ الوهاب بنَ الحسن الكِلابي يقول:

* سمعت محمدَ بنَ خريم العقيلي يقول:

سمعت أحمدَ بنَ أبـي الحواري **يقول:**

* تمنيـتُ أن أرىٰ أبـا سليمـان الـدارانـي[1] ــ **رحمه الله** ــ فـي المنام، فرأيته بعدَ سنةٍ **فقلْت:** يا معلِّمُ!! ما فعل اللَّـهُ بك؟ **فقَال:**

* يا محمد!! جئتُ من باب الصغير فلقيتُ وَسْقَ شعيرٍ فأخذتُ منه عوداً، ما أدري تخللتُ به أو رميتُ به، فأنا في حسابه منذ سنةٍ إلىٰ هذه الليلة. . . !

قلت:

* ما أبلَغَ هذه الحكايةَ في الحثِّ على الورع والتحذير من التساهل في محقرات المظالم. . . !

والوسق:

* بفتح الواو وبكسرها لغتان؛ وهو الحِملُ. . . !

* **ومعَمَّر** المذكور: بضم الميم الأُولىٰ وفتح الثانية وتشديدها.

وخُريم: بضم الخاء وبالراء، **والعقيلي:** بضم العين.

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

الوَسق:

ستون صاعاً. قال الخليل: الوسق حِمْل البعير. **والوِقر:** حمل البغل والحمار.

اهـ. مختار

---

(1) انظر ترجمة أبـي سليمان الداراني، وبلدته داريّا: ص ١٧٣ ــ ١٧٥.

* أقول:

وهكذا يجب على المؤمن أن يبتعدَ كلَّ الابتعادِ عن الذنوب: سوآء كانت من حقوق الله، أو حقوق العبيد!!

فقد رُويَ عن سهل بنِ سعد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال:

* «إيَّاكم ومحقراتِ الذنوب، فإنَّما مَثَلُ مُحقَراتِ الذنوبِ كمثل قومٍ نزلوا بطنَ وادٍ فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتَّى حملوا ما أنضجوا به خبزَهم، وإنَّ مُحقراتِ الذنوبِ متى يُؤخذْ بها صاحبُها تُهلِكْه».

* فالمؤمن لا يستخفُّ بذنب، ولا يستصغرُ معصيةً، خائفٌ وجِلٌ مِنْ مولاه؛

* والمنافق لا يستعظم ذنباً ولا يخاف ربّاً...!

فقد روى البخاري في صحيحه:

* «إنَّ المؤمنَ يَرىٰ ذنوبَه كأنه في أصل جبل يَخافُ أنْ يقعَ عليه!!

* وإنَّ الفاجر يرىٰ ذنوبَه كذباب طار علىٰ أنفه فقال به: هكذا وهكذا».

وروي عن أنس ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ قال: أتدرونَ ما أخبارُها؟ قالوا: اللّٰهُ ورسولُه أعلم فقال:

* أخبارُها أَنْ تَشهدَ علىٰ كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عَمِلَ علىٰ ظهرها يقول: عَمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا، فهذه أخبارها...!

وقال بعضهم:

* خلِّ الذنوبَ صغيرَها
وكبيرَها ذاكَ التُّقىٰ

* واصنعْ كماشٍ فوقَ أر
ضِ الشَّوكِ يحذرُ ما يرىٰ

* لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً

إِنَّ الجبالَ مِنَ الحصَى

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

* كُلُّ المصائبِ مبدَاهَا مِنَ النَّظرِ
ومُعْظَمُ النارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

* والمرْءُ مادَامَ ذا عَيْنٍ يُقلِّبُها
في أَعْيُنِ الغِيدِ موقوفٌ على الخطرِ

* كَمْ نَظْرَةٍ فَعَلَتْ فِي قلبِ صَاحِبِهَا
فِعْلَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ

* يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ
لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ جَاءَ بالضَّرَرِ

* * *

قَوْلُ مَعْرُوفٍ الكَرْخِيِّ

* أخبرنا شيخنا الإمامُ الصالحُ الحافظ المتقن أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عيسىٰ بن يوسفَ المرادي بقراءتي عليه!

* أخبرنا الشيخ الإمامُ أبو الحسن بنُ هِبَةِ الله الحميري!

* أخبرنا الحافظُ أبو طاهر السِّلَفي(١)!

* أخبرنا الإمامُ أبو بكر أحمد بن محمد بن زنجويه الزنجوي!

* أخبرنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري **قَال:**

* سمعتُ أبا أحمد الغطريفي **يقول:**

* سمعتُ أبا العباس محمدَ بنَ إسحاق السراج **يقول:**

* سمعتُ عبد الله بن محمد الوراق **يقول:**

* مَرُّوا بمعروفٍ أيامَ الفتنةِ يتقاتلون وهو يقول لهم:

* مُرُّوا أصحبكم الله! مُرُّوا بارك الله فيكم!

* **فقيل له:** إنهم يخرجون للقتال،

* **فقَال:** إن أصحبهم اللّٰهُ لم يقاتلوا. . . !

---

(١) راجع ص ١٧٨ لضبط هذا الاسم.

شَذَرَاتٌ حَسَنَةٌ:

* أخبرنا شيخُنا أبو إسحاقَ بهذا الإسناد إلى السراج **قَال:** سمعتُ ابنَ أبي الدنيا **يقول:**

* جُلِسَ إلىٰ «معروف» فاغتاب رجلٌ منهم رجلاً **فقَال:**

* **يَا هَذَا! اذْكُرْ يَوْمَ يُوضَعُ الْقُطْنُ عَلى عَيْنَيْكَ.**

وَبِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ السَّرَّاج:

* سمعتُ يحيى بنَ أبي طالب **يقول:** سمعتُ يعقوبَ بنَ أخ معروف **يقول:** سمعتُ عمي **يقول:**

* **كَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خُذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ.**

وَبِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ السَّرَّاج:

* **سمعتُ عليَّ بنَ الموفق يقول: كان من دعاء معروف:**

* يا مالِكُ يا قديرُ يا مَنْ ليسَ له نَظير!!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

إذا أطلق معروف: يراد به الكرخي كما هو معروف وكتب القوم غنية بذكرياته، وستأتي معك ترجمته في ص ٢٦٢ باختصار فترقبها.

قوله: أصحبكم:

يُقَال: صحبه وأصحبه، وجاء في شعر الهزلي:

يَـرْعَـىٰ بِـرَوْضِ الحَـزْن مـن أبَّـهِ
قـربـانَـه فـي عـابـه يُصْحِـب

* **الحَزْن**: بالسكون، الأَرض الوعرة الغليظة، **والأَبّ**: العشب. **ويصحب**: من باب الأَفعال بمعنى يمنع ويحفظ.

اهـ لسان العرب

قوله: فاغتاب رجلٌ... إلخ:

وذكرتِ الغيبةُ عندَ عبدِ الله بنِ المبارك **فقال:**

* لو كنتُ مغتاباً أحداً، لاغتبتُ والدَيّ، لأَنهما أحقُّ بحسناتي...!

وقيل للحسن البصري:

* إنَّ فلاناً اغتابكَ، فبعثَ إليه طبقَ حَلْواء **وقال:** بلغني أنك أهديتَ إليَّ حسناتِك فكافأتك!

حدُّ الغَيْبة

الغيبة: عرَّفها **عليه الصّلاة والسّلام بقوله:** «أتدرونَ ما الغيبةُ»؟

* **قالوا:** اللّهُ ورسولُه أعلم!!

فقال عليه الصّلاة والسّلام: «ذكرُك أخاك بما يكره».

قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟

* **قال ﷺ:** «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه».

وقال بعضهم:

* غِيبةُ الخلقِ، إنما تكونُ عن الغَيْبَةِ عن الحَقِ...!

وقال بعضهم:

هي إدامُ كلابِ الناس...!

* ولهذا كان سلفنا الصالحُ مثالاً حسناً في الورع عن الخوض في أعراض الناس؛ بل عن الفضول فيما لا يعني في الكلام:

* مجالسُهم محفوظة، وألسنتُهم مكفوفة، وأبصارُهم **مغضوضة!!**

* تراهم سكرىٰ وما هم بسكرىٰ، ومرضىٰ وما هم بمرضىٰ؛ بل غرقوا في النظر إلىٰ عيوبهم، وذهلوا عن غيرهم... بذنوبهم!

* مشغولون بالبحث عن خفيات دخائل نفوسهم، انكمشوا عن غير الله، وأعرضوا عما سواه، وأخلصوا دينهم لربهم... !

* فنطقت ألسنتُهم بالحكمة، ومنهم هذا الإمامُ الهمام سيدُنا معروف، حيث ذكَّر جليسه بأمر يهز القلوبَ، بأمر واقعٍ والناسُ عنه في غفلة:

* اذكر يوم يُوضعُ القُطنُ على عَيْنيك !!

* ما أجملَ هذه الحكمةَ، وأوقعَ هذه الجملةَ، ليس فيها تشدقٌ في اللفظ، ولا تكلف في القول، لكنها صدرت من قلب خائف، ولسان ذاكر، ونفس طاهرة... !

* كان لها أثرها الكبير، ولذا قدمها لنا المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه هذا. نسأله سبحانه حفظاً شاملاً، ونفعاً دائماً، وعملاً صالحاً، واعتقاداً متيناً، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنّا يا أرحم الراحمين.

اهـ محمد، عُفِـي عنه

* * *

إبراهيم بن أدهم

* وبهذا الإسناد[1] إلى الغطريفي **قال:** أخبرنا أبو الحسن التاجر **قال:** ثنا سلمةُ بنُ شبيب، **حدثنا** خلف بنُ تميم **قال:** رأيتُ ابنَ أدهم بالشام **فقلت:** ما أقدمك ها هنا؟

* **فقال:** أما إني لم أقدِّمها لجهاد، ولا لرباط، ولكن قدمتها لأَشبعَ من خبز حلال.

الشرح والتعليق

* **إبراهيم بن أدهم:** هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهدٌ مشهورٌ!!

كان أبوه من أهل الغنىٰ في بَلْخ من أبناء الملوك، فتفقَّه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز. . . !

* وأخذ عن كثير من علماء الأَقطار الثلاثة، نهل من مواردها، وارتوى من معينها، ودرج على قدم أئمتها، أخبارُه كثيرة!!

* وقد ذكرتُ له بعضَ نبذٍ جيدة في كتابـي الحب الخالد في ص ٩٢ الطبعة السابعة.

* وذكرت جانباً وطُرَفاً من بعض حكمه المفيدة، ومواعظه الحكيمة في كتابـي سمير المؤمنين الطبعة الثانية عشرة ص ٢١ و ٤٨ ــ ٤٩، و ٣١١.

---

(١) إلى الإسناد السابق في ص٢٢٠.

مصادر ترجمته:

* الأعـلام: ١/ ٣١، وحليـة الأولـيـاء: ٧/ ٣٦٧، والبـدايـة والنهـايـة: ١٠/ ١٣٥.

فرضي الله عنك يا سيدي يا إبراهيم.

* يا من أتعبت مَنْ بعدك مِنَ الزهَّاد فضلاً عن غيرهم!!

* يا مَنْ عرفتَ الحقَ واهتديتَ إلى الصواب، وعلمتَ كيف يكون الدخولُ على الملك الوهاب!!

* فكيف يتعبد العابدُ، ويذكر الذاكرُ، ويخشعُ الخاشع، ويدعو الداعي؟!

وقد ضاع وضلَّ السبيل...!

فمن لم يتورعْ في اللقمة، ولم يتجنب الشبهةَ؛ بل يأخذُ ما هبَّ ودبَّ، فالحرامُ عنده ما كان خارجاً مِنْ حيِّزه، بعيداً عن يده!!

* ولهذا لا يُسمع لنا دعاء، ولا يُرفع لنا عملٌ، ولا تُقبل منَّا حسنة...!

لبعدنا عن التورع فيما نعطي، وفيما نأخذ!!

* فمثـال مـن أطـال القيـامَ، وأدام الصيـامَ، وأتعـبَ نفسَـه فـي العبـادة، ولم يتورع عن الحرام، مثالُ الدجاجةِ التي أطالت المكثَ على بيضة مذرة أي فاسدة وهي تنتظر نتاجها، وإذا بها قد خاب **ظنها**، وضاع **جهدها**، وضل **سعيها**...!

* فاللبنة الأَولىٰ للبناء التي يرتقي عليها العابد هو الحلال، فالحرام كله خبيث، وبعضه أخبث من بعض:

* كما أن الحلال كلَّه طيبٌ، ولكنَّ بعضَه أطيبُ من بعض، فينبغي للعابد أن يتفقه في دينه أولاً وقبلَ كلِّ شيء، ويزنَ ما يدخل في يده بميزان الشرع، ولا سيما ونحن في زمان، قلَّ فيه الحلال، وكثر الحرام:

* مصارفُ تدعو الناسَ لتعاملها بالربا، الذي أعلن الله حربه علىٰ صاحبه بقوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾!!

* يا نصيب يُنادَى عليه بالشوارع كالسلعةِ المعروضةِ!!

* بيوع بعيدةٌ عن الصحة والصواب، عقودٌ فاسدة عندَ كثير من التجار، حرامٌ مكشوفٌ أمرُه. . . !

* والمسلمون يجتمعون في معابدهم ويدعُون الخالقَ جل جلالُه في مساجدهم، ومَطعمُهم حرام، ومَشْربهم حرام، وملبسهم حرام، وغُذُّوا بالحرام. . . !

فكيف يُستجاب لهم؟!

* ولهذا نرى إعراضاً عن الله، وإدباراً عن طريق الهداية، حتى أصبح غريباً. . . !

فمن أكل الحلال أطاع الله شاء أو أبى، ومن أكل الحرام عصى الله شاء أو أبىٰ!!

* اللّهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمّن سواك.

كتبه محمد

* * *

رِبْعِيُّ بْنُ حِرَاشٍ

مِنْ ثَمَرَاتِ الصِّدْقِ :

* ورُوِّينا عن الحافظ أحمدَ بنِ عبد الله العُجلي **قال:** ربعيُّ بنُ حراش تابعيٌّ ثقة لم يكذب قط!

* كان له ابنان عاصيان زمنَ الحجاج **فقيل** للحجاج:

* إن أباهما لم يكذب قَطُّ لو أرسلتَ إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه **فقال**: أين ابناك؟

* **فقال:** هما في البيت.

* **فقال:** قد عفونا عنهما بصدقك.

وقال الحارث الغزي:

* آلىٰ رِبْعيُّ بنُ حِراش ألاَّ يصيرَ ضاحكاً حتَّى يعلمَ أفي الجنة هو أو في النار؟

قال الحارث:

* ولقد أخبرني مَنْ غسله، أنه لم يزل متبسماً على سريره، ونحن نُغسله حتَّى فرغنا من غَسْله. . .!

للصدق درجات كما تقدم معنا:

*** ١ ـ الأُولى:**

صدقُ اللسانِ، وحقٌّ علىٰ كل عبدٍ أَنْ يحفظَ ألفاظَه، فلا يتكلم إلاَّ بالصدق...!

*** ٢ ـ الثانية:**

الصدقُ في النية والإرادة، ويرجع إلى الإخلاص، وهو ألا يكون له باعثٌ في الحركات والسكنات إلاَّ اللّـهَ تعالىٰ...!

*** ٣ ـ الثالثة:**

صدقُ العزم، وهو الحزمُ فيه بقوة كمن يقول: إن رزقني الله مالاً تصدقتُ بشطره فصدقُ هذه العزيمةِ: هو سخاء نفسِه بما نوىٰ...!

*** ٤ ـ الرابعة:**

في الوفاء بالعزم، فإنَّ النفسَ قد تسخو بالعزم في الحال، فإذا حقت الحقائق انحلت العزيمة...!

من مظاهر الوفاء بالعزم:

عن أنس بن مالك، أن عمَّه أنسَ بنَ النضر لم يشهد بدراً معَ رسولِ الله ﷺ فشقَّ ذلك علىٰ قلبه و**قال:**

* أولُ مشهدٍ شهده رسولُ الله ﷺ غبتُ عنه، أما والله لئن أراني اللّـهُ مشهداً مع رسولِ الله ﷺ ليُرَين ما أصنع!

* **قال:** فشهدَ أحداً في العام القابل، فاستقبله سعدُ بنُ معاذٍ **فقال:** إلى أين؟

* **فقال:** واهاً لِريحِ الجنةِ! إني أجد ريحَها دونَ أُحد...!

* فقاتل حتَّى قُتل، فوُجد في جسده بضعٌ وثمانون ما بين رمية، وضربة، وطعنة. . . !

* فقالت أخته:

* ما عرفت أخي إلاَّ بثيابه! فنزلت هذه الآية:

* ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* **٥ ـ الخامسة:**

الصدقُ في الأَعمال؛ وهو استواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنُه مثلَ ظاهره أو خيراً من ظاهره!!

* اهـ من موعظة المؤمنين: ٣/ ٣٦٩. باختصار. عضَّ علىٰ هذه العبارات وما قبلها بالنواجذ، فقلما تجدها في كتاب، فإمامنا الغزالي طبيبٌ وقَّافٌ ثبتٌ. . . !

وَقَالَ بَعْضُهُم:

* من لم يؤد الفرضَ الدائم، لا يُقبل منه الفرضُ المؤقت!

* قِيلَ: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق. . . !

* عمداً أعدتُ معظمَه لأَهميته الاجتماعية.

انظر في ص ١٥٠ من هذا الكتاب.

* * *

الحَكَمُ بنُ عُتَيْبَة

ورُوِّينا عن أحمدَ بنِ عبدِ الله قال :

* اجتمعَ قرآء أهلِ الكوفة في منزل الحكم بنِ عتيبة، فأجمعوا علىٰ أنَّ أقرأ أهلِ الكوفة طلحةُ بنُ مُصَرِّف، فبلغه ذلك فقعد إلى الأَعمش يقرأ عليه ليذهبَ ذلك الاسم عنه. . . !

قلتُ :

* عتيبة بتاء مثناة من فوق، ثم ياء مثناة من تحت، ثم باء موحدة. . .

ومُصَرِّف بضم الميم، وفتح الصاد المهملة، وكسر الراء المشددة على المشهور وقيل : بفتح الراء!

* * *

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ

* وعن الإمام الشافعي ـ رحمَهُ الله تعالىٰ ـ قال :

قيل لأُبَـيّ بن كعب ـ رضيَ اللَّه تعالىٰ عنه ـ :

* يا أبا المنذر، عِظني!

قال :

* ـ وآخِ الإخوان علىٰ قدر تقواهم،

* ـــ ولا تجعل لسانَك بَدَأةً لمن لا يرغبُ فيه،

* ـــ ولا تغبط الحيَّ إلَّا بما تغبط به الميتَ!!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: وآخ الإخوان... إلخ:

أشار إلى آية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي بالدين. [الحجرات: ١٠].

«ودعامة الدين»:

* هي التقوىٰ؛ فكلما زادت، اشتدتْ أواصرُ القرابة، واستحكمت أوشاجُ النسب الديني، فعلىٰ قدر تقواه يعامل ويوثق به!!

* وفاقدُها لا يستحقُّ المعاملةَ الأخوية لانتفائها...!

* وأكد ذلك بقوله: ولا تجعل لسانَك بدأةً لمن لا يرغبُ فيه، فتكلمه وتميل إليه؛ فتكون سبباً في أذيته إذ تكون حببت إليه عملَه، وحسنت في عينه ما استحق من النفرة!!

* فصرتَ شريكاً له في العمل بدون أن يعودَ عليك شيءٌ غير الوزر والخطيئة!!

* وكما أن الميت لا يحسده الإنسانُ، ولا تُسَوِّل له نفسُه هضمَ حقّه، فليكن الحي كذلك؛ ليكون أدلّ علىٰ إخلاصك وتقواك...!

اهـ من تحقيق النسخة القديمة

* * *

فضيل بن عياض

* وعن الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

قال فضيلُ بنُ عياض ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* كم مِمَّنْ يطوفُ هذا البيتَ، وآخرُ بعيدٌ عنه وأعظمُ أجراً منه!!

* وعن الشافعي عن فضيل قال:

قال داودُ النبيُّ ﷺ:

* «إلـٰهي كُنْ لابني كما كنتَ لي!!».

* فأوحى اللّـٰهُ تعالىٰ إليه: «يا داودُ!! قل لابنك يَكُنْ لي كما كنتَ لي، أكونُ له كما كنتُ لك».

* وعن الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

قال هشام بنُ عبد الملك للفضيل:

ارفع حاجتَك إليَّ.

* فقال الفضيل: قد رفعتُها إلى الجواد الكريم...!

* * *

جَعْفَرُ الخُلْدِيّ

فَائِدَةٌ لِرَدِّ الضَّالَّة

وروينا في رسالة القشيري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ في كرامات الأَولياء قَال:

* كان لجعفر الخلدي فصٌّ فوقع يوماً في دجلة وكان عنده دعاءٌ مجرَّب للضالَّة تُرَدُّ، فدعا به، فوجد الفصَّ في وسط أوراقٍ كان يتصفحها.

قال القشيري:

* سمعتُ أبا حاتم السِجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول:

إنَّ ذلك الدُّعاء:

* «يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، اِجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ ضَالَّتِي»!!.

قلتُ:

* وقد جربت هذا الدعاء، فوجدتُه نافعاً سبباً لوجود الضالة علىٰ قرب غالباً وأنه لم ينخرم. . . !

وسمعتُ شيخَنا أبا البقاء يقول نحوَ ذلك، وهو علَّمنيه أولاً.

* **قوله فص**: هو بفتح الفاء وكسرها، لغتان: الفتح أجود.

* **وأما جعفرُ الخُلْدي**: هو بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام!!

* قال الحافظُ الإمامُ أبو سعيدٍ السَمعاني في الأَنساب:

الخلد: محلةٌ ببغدادَ يُنسب إليها صبيح الراوي.

* وأما جعفرُ بنُ محمد بنِ نصير الخلدي، الخوَّاص أو محمد أحدُ مشايخ الصوفية له كراماتٌ ظاهرة...!

وإنما قيل له الخلدي لأَنه كان يوماً عند الجنيد، فسأل يوماً عن مسألة؟

* فقال الجنيد: أجبهم فأجابهم!!

فقال له الجنيد: من أين لك هذا؟

* فقال: مِنْ خُلدي فبقي عليه هذا الاسمُ...!

* وتوفِّي سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة...!

* رُوِي عنه الدارقطني، وأبو حفص بنُ شاهين وغيرُهما وكان ثقةً.

الشَّرحُ وَالتَّعلِيقُ

جعفر الخُلْدِي:

* الشيخ الإمامُ القدوةُ المحدّث، شيخُ الصوفية، أبو محمدٍ جعفرُ بنُ محمدِ بنِ نُصير البَغدادي، كان يسكن محلّة الخُلْدِ...!

* **ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين.**

* صحب الجُنيدَ، وأبا الحسين النوري، وحدّث عن الحارث بنِ أبي أسامةُ، وأبي مسلم الكجّي. . . !

* **قال الخطيب**: ثقةٌ. حجّ ستاً وخمسينَ حَجَّة!!

قيل: عجائبُ بغدادَ ثلاثةٌ:

١ ـ نكت المُرْتَعِش!

٢ ـ وإشاراتُ الشِبْلي!

٣ ـ وحكاياتُ الخُلْدِي!

* توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وله خمس وتسعون سنة. . . !

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الصوفية، للسلمي: ٤٣٤، حلية الأَولياء: ١٠/ ٣٨١، السير: ١٥/ ٥٥٨.

* * *

سُلَيْمَانُ الدَّارَانِيُّ

كَيْدُ الشَّيْطَانِ

رُوِيَ عن الحارث بنِ أبـي أسامة وغيرِه. . .

وقال أحمدُ بنُ أبـي الحواري في كتاب الزُّهد:

سمعتُ بعضَ أصحابِنا أظنُّه أبا سليمانَ يعني الداراني ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ قَال:

* لإبليسَ شيطانٌ يقال له مُتَقاضٍ يتقاضى ابنَ آدمَ عشرين سنة ليُخبـرَ بعمله الـذي يعملُـه سرّاً، فيُظهـرُ لـه ليـزيـحَ عنـه مـا بيْـنَ السـر والعلانية.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: ليخبر بعمله. . . إلخ:

* وذلك؛ لأَنه لما لم يستطع أن يحولَ دونَ عملِه، ولم يتمكن من إفساده!!

* أراد أن لا يتقاضى أجراً عظيماً!

إذ من المعلوم أن الأَجرَ علىٰ عمل السر، يزيدُ أضعافاً مضاعفة علىٰ عمل العلانية!!

* لأَنه يدل على تمام الإخلاص. . . !

وهذا فيما لا يجعله الشارعُ علانيةً:

* كالصلاة، والزكاة.

لانّ إسرارَه حينئذ يسبب إضراره مادةً وعلى الأَقل معنى.

اهـ من النسخة القديمة باختصار

* وقد ذكرتُ في كتابي الصحوةِ القريبة تحت عنوان: «**العدو الأَكبرُ**» خطرَ الشيطان، وضررَه، وسمومَه التي ينفثها في قلوب طلابه وإغواءَه لبني آدم. . . !

* ثم بيَّنتُ السلاحَ الذي يتسلط به علينا، والسلاحَ الذي نتسلَّط به عليه في: ١/ ١٤٥.

* * *

ابن شهاب الزهري

ورويِّنا عن إبراهيمَ بنِ سعيدٍ **قال**: قلتُ لأَبـي سعد بنِ إبراهيمَ: **بم فاقكم الزهري؟**

قال: كان يأتي المجالسَ مِنْ صدورِها، ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقىٰ في المجلس شابٌّ إلاَّ ساءَله، ولا كهلٌ إلاَّ ساءَله، ولا عجوزٌ ولا فتى إلاَّ ساءَله!!

* ثم يأتي الدارَ مِنْ دور الأَنصار فلا يبقىٰ فيه شابٌ إلاَّ ساءَله، ولا كهلٌ إلاَّ ساءَله، ولا عجوزٌ إلاَّ ساءَلها، ولا كهلةٌ إلاَّ ساءَلها، حتى يحاولَ أربابَ الحجول...!

الشرح والتعليق

قوله: «من صدورها»:

لأَنه يبكر قبلَ غيره فيتسنىٰ له أن يجلس بالصدر، لشدة شغفه بالعلم، وحثه للتحصيل!!

فلا يمنعه العوائق ليأتي في الزمن الأَخير؛ فإن من يأتي متأخراً لا يجد طريقاً إلاَّ من الخلف، ويضطر للبقاء في محله، وتضيع منه فوائدُ كثيرةٌ، فلو عجل كالزهري لنال ما نال من العلم والفضل. اهـ من تحقيق النسخة القديمة

والحجول: جمع الحجلة:

* محركة، موضع يُزَيَّن بالثياب والستور للعروس... وحَجَّلها تحجيلاً اتخذ لها حجلة، أو أدخلها فيها...! اهـ قاموس

* * *

كِتَابُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ

* ومن أحسن ما يُتأدب به في ترك الاعتناء بحسن اللباس والمأكل والمشرب ونحوهما!!

* ما رُوِّينا عن أمير المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ بإسنادنا إلىٰ أبي عَوانة الإسفراييني:

* قَالَ: حدثنا أبو حبيبٍ المِصّيصي، حدثنا حجاج قَالَ: سمعتُ شعبةَ يُحدث عن قتادةَ قَالَ:

* سمعتُ أبا عثمانَ النهديَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ـ قَالَ:

* أتانا كتابُ عمرَ بنِ الخطاب ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ ونحن بأذربيجان معَ عتبةَ بنِ فرقدٍ...!

أُمَّا بعدُ:

* فاتزِروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارمُوا بالخِفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيلَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!!

وإياكم والتنعمَ، وزِيَّ العجَم، وعليكم بالشمس؛ فإنَّها حَمَّامُ العربِ وتَمَعْدَدوا، واخشَوْشِنوا، واخلَوْلِقوا، واقطعوا الرُكُبَ، وارموا الأَغراض، وانزوا نزواً.

قوله اخلولقوا:

* لم أقف علىٰ ضبطه ولعلها بالخاء المعجمة من قول العرب

اخلولق السحابُ إذا استوى، واخلولق الرسم إذا استوى بالأَرض. . . !

أمّا ضبط ألفاظه:

* **فالمِصِّيصي** بكسر الميم، والصاد المشددة ويقال بفتح الميم، وتخفيف الصاد. . . !

الأَول: أشهر وأرجح نسبة إلى المصيصة البلدة المعروفة بناحية طرسوس بلاد الأَرمن.

* **أذْرَبيجان:** هو إقليم معروف، وفي ضبطه وجهان مشهوران:

* ١ ـ **أحدهما:** بإسكان الذال المعجمة من غير مد، وفتح الراء وبعدها باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم جيم. . . !

* ٢ ـ **الثاني:** بمده في أوله وفتح الذال وإسكان الراء!!

* **وقوله: وزِي العجم:** هو بكسر الزاي. . . !

* **وقوله: وتمعددوا!!** أي تخلَّقوا بعادة أبيكم معد بنِ عدنان في خشونة العيش. . . !

واختلف النحويون في ميم معد: هل هي أصلية، أم زائدة؟

فقال سيبويه: أصلية. وغيره يقول: زائدة!

* **وقوله: ارموا الأَغراض**، أي ارموا بالقِسِي!

* **وقوله: وانزوا نزواً، معناه:**

إذا ركبتم الخيل فثبوا وثباً على الخيل من الأَرض ولا ترتفعوا علىٰ حذر ونحوه!!

ولا تركبوا بالركب المعتاد للعجم في سروجهم...!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: وعليكم بالشمس:

* أصبح اليوم يُعالَج بالشمس كثيرٌ من الأَمراض، وأنَّ الأَطباءُ تُوصِي بالإِقامة فيها حفظاً للصحة... ولا سيما صباحاً ومساءً فهي أنفع!!

* ورضي الله عن عمرَ فقد جمع في وصيته العلمَ، والحكمة، والطبَّ، والمصلحةَ، والسياسةَ، وتعليمَ أبواب الحرب...!

* أوصىٰ بأن يحافظوا علىٰ لباس إسماعيلَ عليه السلام لسعته وانفراجه، حيث يحفظ الصحةَ، وتجري الرياحُ مِنْ داخله، ويتعرضُ قسمٌ من البدن للشمس، ليستفيد مِنْ حرارتها، وليحفظَ للأُمة العربيةِ تقاليدَها!!

* ولم يكتف بهذا حتَّى نهانا عن التزيِّي بزيِّ العجَم مِنْ أنه يُستفاد من قوله السابق حرصاً منه علىٰ محافظة العوائد المِلِّيَّة التي لا تتعارض مع الشريعة!!

* وكأنه ينظر إلينا مِنْ ظهر غيبٍ حيث صار التزيِّي بالأَعاجم فخراً لنا!!

* وبلغ من بعض الحكوماتِ الشرقية صورة أن قد سفكت دماء غزيرةً في سبيل ترويج الزي الإِفرنجي... بل واستهجنوا لباس الآباء والأجداد...!

أُقول:

وكم للأَزياء الحديثةِ من مضارٍ طبِّية، ومضارٍّ أخلاقية، ومضارٌّ شرعية!!

* ولو جال العاقل بعقله، وتفكر المفكرُ بفكره، حولَ هذه الأَزياء الدخيلة على العرب والمسلمين للفظها من نفسه، وداسها تحت قدمه...!

* ثم نهىٰ عن التنعم؛ لأنه يُورثُ الخمولَ، والبطَالةَ والكسلَ، يُحْدِثُ الجُبنَ والخوفَ، لأَن ترفَ الأُمةِ هرمٌ لها، وعلامةٌ كبرىٰ لاضمحلالها . . . !

* وأمر برمي الأَغراضِ، لتكونَ الأُمةُ حربيةً، تدرسُ ما يتعلقُ بالحرب في بيوتها حتَّى إذا ما دُعوا للجهاد، وكانوا علىٰ أُهْبةٍ يقدرون على الدفاع، والكفاح . . . !

فالمدرَّب بالحرب لا يقفُ أمامَه عشراتٌ ممن لا يعلمُ عن الحرب وإن كان أقوىٰ بدناً وأصلبَ عضلات . . . !

* وأمرَ بأن ينزوا، وهو: أن يثبوا على الخيول ليتعوَّدوا النشاطَ، ويحاربوا على الأَرض!!

* فإنَّ الفن والمعدات، مهما ترقت وتقدمت فلا غنى للحرب عن استعمال الخيول، ما دامت الأَرضُ مشتملةً على الجبال، والوديان، والحَزْن والوعر.

اهـ من النسخة القديمة ببعض تصرف وزيادة

كتبه محمد

المصيصة:

من المعلوم أن المصيصة عربية محضة لأَنها شرقي الدرب المشهور بزنتي آخر حدود البلاد العربية، وإنما قال بلاد الأَرمن لأَنهم احتلوها في الحروب الصليبية. اهـ.

والحدر:

* بالفتح، الهبوط، وهو المكان الذي تنحدر منه والحدر فعلك!

وحدَرَ السفينةَ أرسلها إلىٰ أسفل، وبابه نصر، ولا يقال: أحدرها.

* وحدرَ في قراءته وفي أذانه: أسرع . . . !

والانحدار: الانهباط. اهـ مختار

* * *

أَبُو عُثْمَانَ ٱلنَّهْدِيّ

* بفتح النون، وإسكان الهاء، منسوب إلىٰ جدٍّ له من أجداده... **والأول**: اسمه نهد بنُ زيد بنِ ليث.

واسم أبي عثمان:

* عبدُ الرحمٰن بنُ مَلّ بفتح الميم وضمها وكسرها واللام مشددة فيها...!

وَيُقَال:

* مِلْء بكسر الميم، وإسكان اللام، وبعدها همزة.

وهو من كبار التابعين المخضرمين.

* واحدُهم: مخضرم بفتح الراء، **وهو**:

مَنْ أدرك الجاهليةَ والإسلامَ وحياةَ رسولِ الله ﷺ ولم يره ﷺ...!

* وقد بينتُ هذا القدر من حاله في الإرشاد في علوم الحديث الذي اختصرته من كتاب الشيخ أبي عمرو بنِ الصلاح ـ **رحمه الله تعالىٰ** ـ...!

* وكان أبو عثمانَ ـ **رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ** ـ عظيمَ القدر، كبيرَ الشأن.

وقال :

* بلغتُ نحواً من ثلاثينَ ومائةِ سنة وما من شيء إلاَّ وقد أنكرتُه إلاَّ أملي فإني أجده كما هو .

ولما قتل الحسينُ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ تحول من الكوفة إلى البصرة وقال :

* لا أسكن في بلد قُتِل فيه ابنُ بنتِ رسولِ الله ﷺ. . . !

* مـاتَ سنـةَ خمـسٍ وتسعيـن مـن الهجـرة وقيل : سنـةَ مـائـةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ . اهـ.

ٱلشَّرْحُ وَٱلتَّعْلِيقُ

أبو عثمان النَّهْدي :

* هو الإمامُ الحجَّةُ شيخُ الوقتِ، عبدُ الرحمٰن بنُ مُلَّ بنِ عمرو بن عدي البصري. مَخَضرَمٌ معمَّر!

* أدرك الجاهليةَ والإسلامَ، وغزا في خلافة عمر وبعدها غزواتٍ، وحدّث عن الصحابة. . . !

* شهد وقعةَ اليرموك، والقادسيةِ، وتُسْتَرِ، ونَهاوَنْد، وغيرها. . . !

* كان لا يُصيب دنيا، قائمَ الليلِ، صائمَ النهارِ، يصلي ما بين المغرب والعشاء مائة ركعة حتَّى يُغشىٰ عليه. . . !

قال أبو حاتم :

* كان ثقةً، وكان عريفَ قومه. توفي سنة مائة، وعاش مائة وثلاثين سنة .

مصادر الترجمة :

* طبقاتُ ابن سعد : ٧/ ٩٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، الإصابة الترجمة : ٦٣٧٩، السير : ٤/ ١٧٥ .

أُقول :

يشيب المرءُ ويشبُّ معه خَصْلتانِ :

* ١ ــ الحرصُ .

* ٢ ــ وطولُ الأَمل .

وقوله: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة . . . إلخ :

هذا تواضعٌ منه ، وهضمٌ لنفسه ، وتعليمٌ لغيره .

* * *

قِصَّةُ جَابِرٍ وَشِهَابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

أخبرنا الشيخُ الفقيهُ، المُسْنِدُ[1] أبو محمدٍ عبدُ الرحمٰـن بنُ سالم بنِ يحيـى الأنباري. . . !

* **قال:** أخبرنا الحافظُ عبدُ القادرِ الرهاوي. . . !

* **قال:** حدثنا القاضي أبو سليمانَ داودُ بنُ محمدِ بنِ الحسين الخالديُ. . . !

* **قال:** أخبرنا الحسنُ بنُ عبدِ الملك!!

* **أخبرنا** الحسين بنُ محمدِ بنِ نُعيمٍ!!

* **أخبرنا** عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ يعقوبَ!!

* **أخبرنا** الحسنُ بنُ سفيانَ، **حدثنا** محمدٌ بنُ مرزوقٍ!!

حدثنا مسلم بنُ إبراهيمَ!!

حدثنا عيسى بنُ حُميد الراسي أبو همام!!

* **حدثنا** أبو حفص النضرُ عن جابرِ بنِ عبدِ الله الأَنصاري ـ رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عنهما ـ أنه أتىٰ رجلاً يسأله عن سَتْرِ المؤمن **فقلتُ**[2]:

(١) **المسنِد:** اسم فاعل، أي الذي لا يؤدي الحديث إلاّ بسنده الكامل.

(٢) **لعله فقال:** أي الرجل الذي سأله جابر فأحاله علىٰ شهاب.

لستُ أنا ذاك، ولكنَّ ذاك رجلٌ **يقالُ له**: شهابٌ... !

فسار جابرٌ فأتى عاملَها يعني عاملَ البلدةِ الوالي رجلاً[1] **يقال له** مَسْلَمة، فأتى البابَ **فقال للبواب**: قل للأمير ينزلُ إليَّ!!

* فدخل البوابُ وهو مبتسم **فقال له الأمير**: ما شأنُك؟

* **قَال**: رجل علىٰ بعير قَال: قل للأَمير ينزلُ إليَّ!!

* **فقَال**: ألا سألتَه مَنْ هو؟

فرجع فسأله **فقَال**:

* أنا جابر بنُ عبدِ الله الأَنصاري...

* فرجع إلى الأَمير وأخبره، فوثبَ من مجلسه فأشرفَ عليه **وقَال**: اصعد!!

* **فقال جابر**: ما أريد أن أصعد؛ ولكن حدثني أين منزلُ شهابٍ؟

* **قَال**: اصعدْ!! فأُرْسِلُ إليه فيقضيَ حاجَتك...

فقَال:

* لا أريدُ أن يأتيَه رسولُك فإنَّ رسولَ الأَمير إذا جاء رجلاً راعه ذاكَ، وأنا أكره أن يُروَّعَ رجلٌ من المسلمين[2] بسببي...

---

(١) هو عطف بيان من الوالي اسمه مَسْلَمة...

(٢) * بهذا الحب والحنان والأَدب، والعطف علىٰ بعضهم بعضاً انتشر الإِسلام في جميع أرجاء الأَقطار، واستولى المسلمون علىٰ معظم بلدان العالَم، ولا يصلح أَمْرُ هذه الأَمة إلَّا بما صلح به أولُها، وما كان عليه الصحابة الكرام، والسلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين... ! اهـ محمد

* فنزل الأَمير يمشي معه حتَّى أتىٰ شِهاباً، فأشرفَ عليهم شهابٌ فقَال:

إما أن تصعدوا، وإما أن أَنْزلَ إليكم؟

قال جابر:

* ما أريد أن تنزلَ إلينا، وما نريد أن نصعدَ إليك، ولكن حدثنا بحديثٍ سمعتَه من رسول الله ﷺ: عن ستر المؤمن؟

قال: سمعته ﷺ يقول:

* «مَنْ سَتَرَ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهُ».

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

يؤخذ من هذه القصة الطريفة ما كان عليه سلفنا من الحرص الكبير علىٰ تلقي العلم من منبعه ومعينه ولو كلفهم قطعُ الفيافي والقفار وتحمُّل أعباء النقل والأَسفار...!

* * *

فِي إِكْرَامِ مَنْ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى ٱلْمَحْبُوبِ

* ومما أنشدوا في إكرام مَنْ له نسبةٌ إلى المحبوب قولُ بَعْضِهِم:

ألا حيِّ الديارَ بسُعْدَ إني
أُحِبُّ لحب فاطمةَ الديارا[١]

سُعْد: بضم السين المهملة، وإسكان العين، اسم موضع بنخل.

قال أبو بكر الهَمْداني في كتاب الاشتقاق:

* أصله سُعد بضم مخفف بإسكانها، وهو جمع سعيد كرغيف ورغف، وإنما لم يصرفه الشاعر وإن كان مذكراً، لأنه جعله اسماً لأرض بعينها، ويُشبه **هذا قولَ الآخر**:

* أُحِبُّ الأَيامىَ إذ بثينةُ أيِّمُ
وأحببتُ لمَّا أنْ عنيتِ العوانيا

الأيامى: النسوةُ التي لا أزواج لهن...!

والعواني: المزوجَاتُ...!

---

(١) **وقال غيره**: وينسب لمجنون ليلىٰ...

* مَرَرْتُ على الدِّيارِ دِيارِ لَيْلَى
أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وَذا الجِدارَا

* فما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي
ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَا

وقوله: عنيتِ هو بكسر التاء أي تزوجت. . .

* وهـذا الضـرب مـن بـديـع الكـلام أن يـرجـع مـن الغَيبـة إلـى المخاطبة فقَال: بثينة. **ثم قَال:** عنيتِ. . .

* وله نظائر كثيرة في القرآن العزيز منها **قوله تعالى:**

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ﴾.

وقوله:

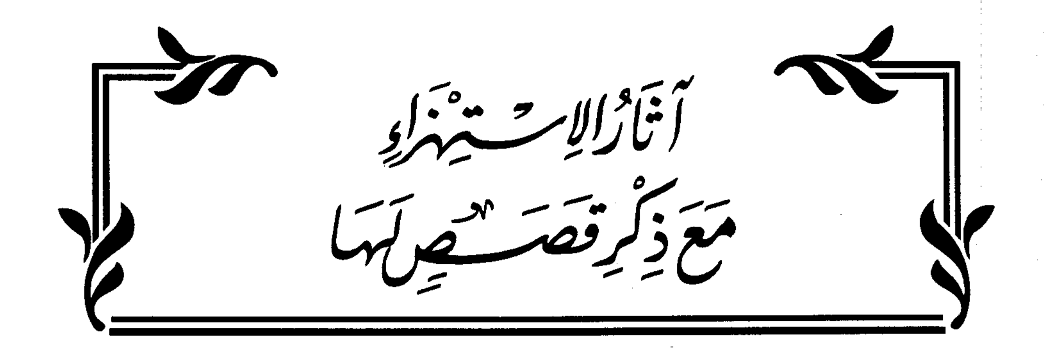
* ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **إلى قوله:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

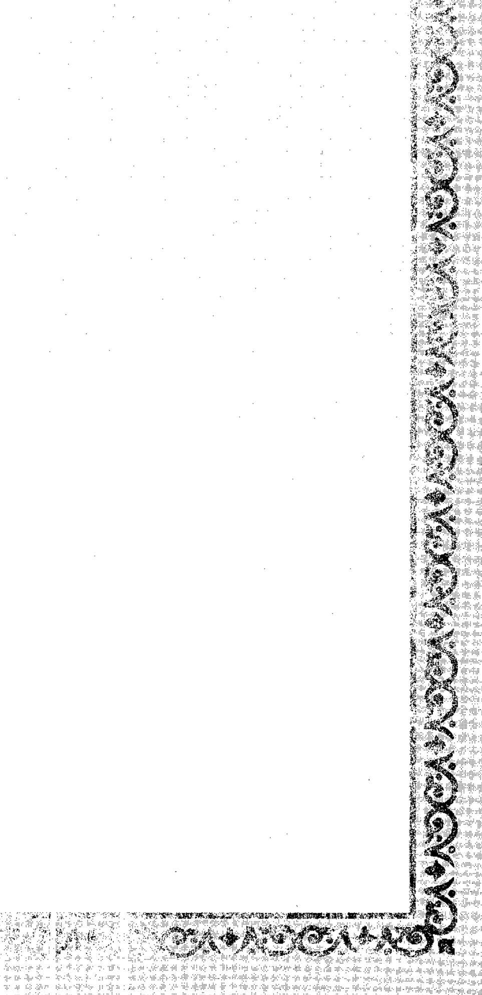
وقد جاء عكسه وهو الرجوع من الخطاب إلى الغَيبة!!

فمن ذلك قوله:

* ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

* * *


آثارُ الاستهزاءِ
مع ذِكْرِ قصصٍ لها



آثار الاستهزاء مع ذكر قصص لها

١- الأولى :

* أخبرنا الأنباري، أخبرنا عبدُ الحافظ، أخبرنا عبدُ القادر الرهاوي، أخبرنا عبدُ الرحيم بنُ علي الشاهد، أخبرنا محمد بنُ طاهر المقدسي الحافظ. . . !

أخبرنا أبو الفتح المقيد، أخبرنا أبو الحسن بنُ علي بنِ محمد بن طلحةَ. . . !

* حدثنا سليمانُ بنُ أحمد بنِ أيوبَ الطبراني قال:

سمعتُ أبا يحيـى زكريا بن يحيـى الساجي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ قال:

* كنا نمشي في أزقةِ البصرة إلىٰ باب بعضِ المحدِّثين فأسرعتُ المشيَ وكان مَع رجل منهم ماجنٌ في دينه فقال:

* ارفعوا أرجلَكم عن أجنحة الملائكةِ لا تكسروها!!

كالمستهزىء!

* فما زال في موضعه حتَّى جَفتْ رِجلاه وسقط. . . !

وقال الحافظ عبدُ الحافظ:

* إسنادُ هذه الحكايةِ كالوجد، أو كرأي العين، لأَن رواتها أعلامٌ أئمة. . .

٢ـ الثَّانِيَة :

* وبالإسناد إلى المقدسي **قال :** أخبرنا أبو الحسن بنُ الحسين العلوي . . . !

* **أخبرنا** ابنُ الحسين الضبعيُّ **قال :** سمعتُ عبدَ الله بنَ محمدِ بنِ العكبري **يقول :**

* سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بنِ يعقوبَ المتُّوتي **يقول :** سمعت أبا داود السجستاني **يقول :**

* كان في أصحاب الحديث رجلٌ خليع إلىٰ أَنْ سَمعَ بحديث النبي ﷺ :

«أن الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالب العلمِ رضاً بما يصنعُ» .

* فجعل في عقبيه مساميرَ حديدٍ **وقال :**

أُريد أن أطأ أجنحةَ الملائكةِ . . . !

* فأصابه أكلةٌ في رجليه . . . !

قلتُ :

* المَتُّوتيُّ بميم مفتوحة ثم تاء مثناة من فوق مشددة مضمومة، وواو ساكنة ثم تاء مثلثة ثم ياء النسب .

* وذكر الإمام أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمد بنِ الفضل التيمي ــ رحمه الله ــ في كتابه شرح صحيح مسلم هذه[١] الحكايةَ، وفيه ــ أي : في كتابه ــ :

---

(١) **هذه :** مفعول ذكر، فانتبه فقد بعدت عن الفعل . . . !

* وشُلَّت رجلاه ويداه وسائرُ أعضائه . . . !

قوله شَلَّتْ يداه:

* أي يبست وبطلت حركتُها، وهو بفتح الشين على اللغة الفصيحة! وفيها لغة أخرى بضمها، والله أعلم.

٣ـ الثَّالِثَة :

* **قال**: وقرأت في بعض الحكايات أن بعضَ المبتدعةِ حينَ سمعَ قولَ النبي ﷺ:

* «إذا استيقظ أحدُكم مِنْ نومه فلا يغمسْ يدَه في الإناء حتَّى يغسلَها فإنه لا يدري أين باتتْ يدُه»؟؟

* **قال** ذلك المبتدعُ علىٰ سبيل التهكم:

أنا أدري أين باتت يدي في الفراش . . . !

* فأصبح وقد أدخل يدَه في دبره إلىٰ ذراعه . . . !

قال التيمي:

* فليتقِ المرءُ الاستخفافَ بالسنن ومواضعِ التوقيف، فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلِهما . . . !

قلتُ: ومعنى هذا الحديث:

ما قاله الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ وغيرُه من العلماء ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ :

* إنّ النّائم تطوفُ يدُه في نومه علىٰ بدنه فلا يأمن أنها مرت علىٰ نجاسة:

* من دم بثرة، أو قملة، أو برغوث، أو علىٰ محل الاستنجاء، وما أشبه ذلك.

والله أعلم.

٤ - الرّابعة:

* قلتُ: ومن هذا المعنى ما وُجِدَ في زماننا هذا وتوارثت به الأَخبار وثبتت عند القضاة، أن رجلاً بقريةٍ ببلاد بُصرىٰ في أوائل سنة خمس وستين وستمائة. . .!

* كان شاباً سيِّىء الاعتقاد في أهل الخير، وله ابنٌ يعتقد فيهم، فجاء ابنُه يوماً من عند شيخٍ صالحٍ ومعه مسواك!!

* فقال: ما أعطاك شيخُك؟! (مستهزئاً. . .!).

قال: هذا المسواك!!

* فأخذه منه وأدخله في دبره احتقاراً له. . .!

فبقي مدةً، ثم وَلد ذلك الرجل الذي أدخل المسواك في دبره جَرْواً، قريبَ الشبهِ بالسمكة فقتله. . .!

* ثم مات الرجل في الحال أو بعد يومين. . .!

عافانا الله الكريم من بلائه ووفقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائرِه!!

* قدم لنا المؤلف ـ **رحمه الله تعالى** ـ هذه القصصَ الطريفةَ، والحكاياتِ الطَريفةَ، لنكونَ علىٰ أتم الحذر مِنْ أَنْ يدخل على نفوسنا شيءٌ من الاستخفاف، أو يتسرب لها قليلٌ من الاستهزاء مما ورد في السنَّة، أو جاء عن بعض السلف، لأَن ذلك موجب لمقت الله وغضبه: **ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر**. . . !

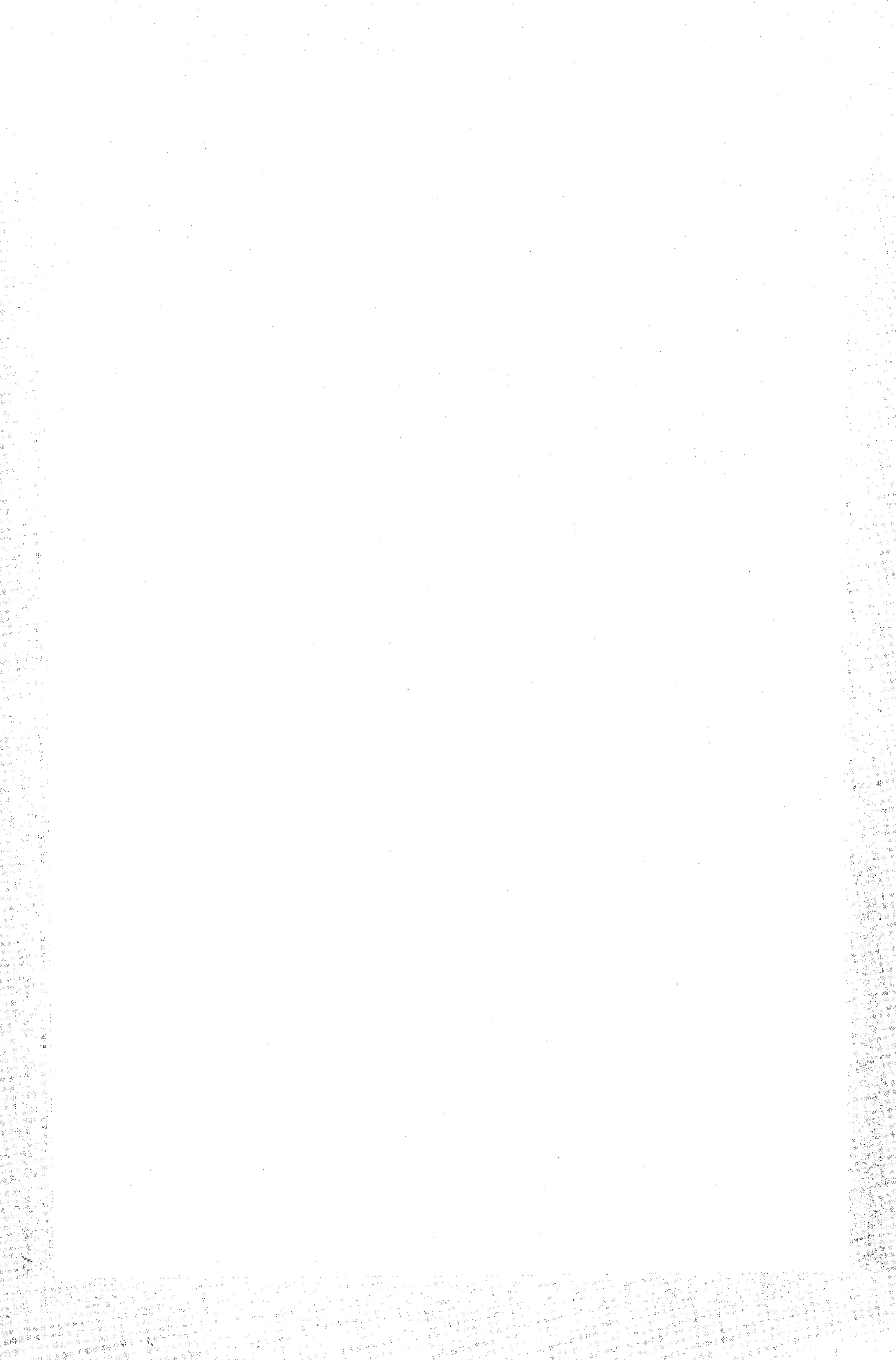
* فلو أجلنا نظرنا في كثير من مناسك الحج، فلا يسعنا إلاَّ أن نقف مكتوفي الأَيدي مستسلمين ومنصاعين لحُكْم المشرع ممتثلين أمرَه من غير بحث ولا سؤال!!

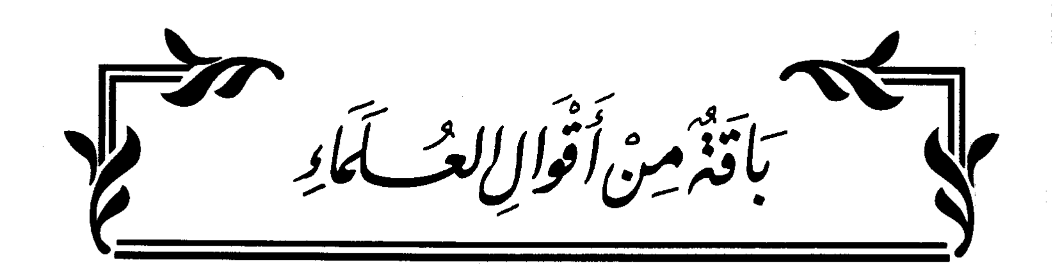
* فهنا يظهر سقيمُ الإيمانِ وعليلُه، من صحيحه وقويِّه. . . !

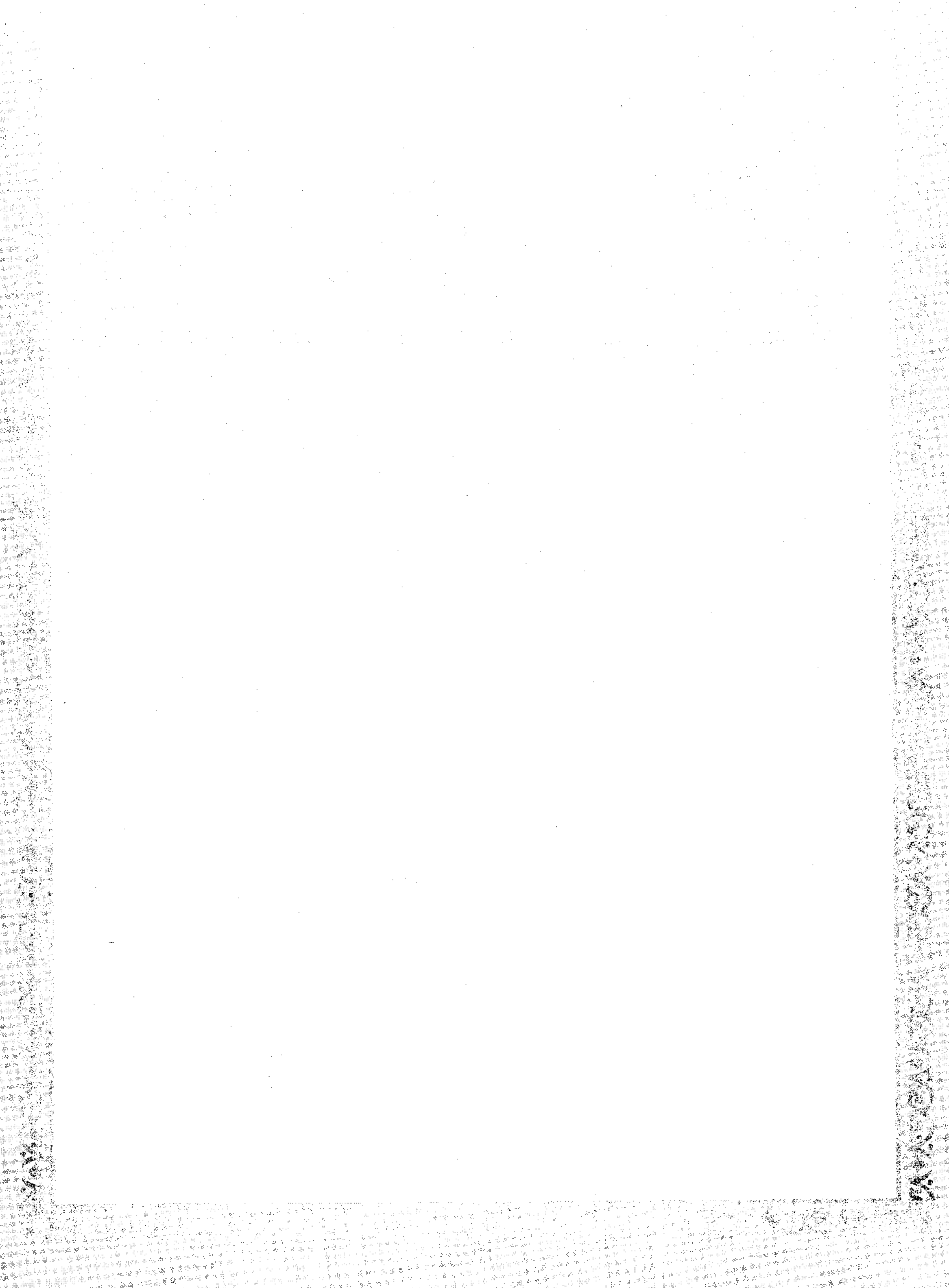
* **فنقول**: الله أعلم بمراده في ذلك.

* فاللّـهَ أسأل أن يمنَّ علينا بالإيمان الكامل، الخالي عن شوائب النقد، لأَن معرفة طاقةِ الإنسان محدودةٌ جداً، وعلمه قاصر محدود وجهلُه أكبرُ من علمه. فلا يسعنا إلا التسليم والاستسلام. . !

* * *




بَاقَةٌ مِنْ أَقْوَالِ العُلَمَاءِ



بَاقَةٌ مِنْ أَقْوَالِ العُلَمَاءِ

مَا قَالَهُ مَعْرُوفٌ

أخبرنا:

* الشيخ الفقيه المسدَّد أبو محمدٍ عبدُ الرحمٰن بنُ سالم الأَنباري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ.

أخبرنا:

* القاضي الإِمامُ أبو القاسم عبدُ الصمد بنُ محمدٍ بنِ أبي الفضل الأَنصاري...!

أخبرنا:

* الإِمام أبو الفتح نصرُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القوي المصيصي...!

أخبرنا:

* الشيخُ الفقيهُ الإِمامُ أبو الفتح نصرُ بنُ إبراهيمَ بنِ نصر المَقْدِسي الزاهد ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ...!

أخبرنا:

* القاضي أبو الحسنِ محمدُ بنُ عليٍّ فيما كتب إليَّ قال:

أخبرنا:

* أحمد بنُ يعقوبَ الهروي قال حدثنا أبو عبدِ الله الروزبادي.

حدثنا :

* عمرُ بن مخلد الصوفي **قَال** : قال ابنُ أبـي الورد :

* **قال معروف** الكرخي ــ **رَضِيَ اللَّهُ تعَالىٰ عنْه** ــ :

عَلَامَةُ مَقْتِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ تَرَاهُ مُشْتَغِلًا بِمَا لَا يَعْنِيهِ .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

معروف الكرخي :

* هو عَلَمُ الزهّادِ، بركةُ العصر أبو محفوظ البغدادي، واسمُ أبيه **فيروز**، روى الحديث عن الربيع، وعنه خلفُ بنُ هشام . . . !

قيل :

* كان أبواه نصرانيينِ فأسلماه إلىٰ مؤدّب، كان يقول له: قل ثالثُ ثلاثةٍ! !

فيقول معروف: بل هو الواحدُ، فيضربه فيهرب، **ثم إن أبويه أسلما** . . . !

* كان مجابَ الدعوةِ، وقد أفرد أبو فرج ابن الجوزي مناقبَ معروف في أربع كراريس . . . !

* وحكي أنه استسقىٰ لهم في يوم حارٍ فما رفعوا ثيابَهم حتَّى مُطروا . . . !

* توفي سنةَ مائتين .

مصادر الترجمة :

* طبقاتُ الصوفية : ٨٣، حلية الأولياء : ٨/ ٣٦٠، تاريخ بغداد : ١٣/ ١٩٩، السير : ٩/ ٣٣٩ .

وقوله : « **عَلَامَةُ مَقْتِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ تَرَاهُ مُشْتَغِلًا بِمَا لَا يَعْنِيهِ** »، ذلك لأَن المشتغل خالف قولَ النبي ﷺ حيث حذَّر من الاشتغال بما لا يعني **فقال:**

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»...

* فيكون لم ينل إسلاماً حسناً، ونقصَ حظُّه في الآخرة، فاشتغالُه بما لا يعنيه لا يعود عليه بالنفع في الدنيا!!

وهذا هو حقيقةُ المقتِ، لأَنه لم يُرض الشريعةَ، ولم يصل إلى الدنيا؛ ذلك هو الخسران المبين. . . !

* * *

مَا قَالَهُ ٱلْفُضَيْلُ

أخبرنا:

* شيخُنا الحافظُ أبو البقاء ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ ، **أخبرنا** أبو محمدٍ، **أخبرنا** القاضي أبو بكر، **أخبرنا** الخطيب، **أخبرنا** أبو سعيد يعني محمدَ بنَ موسىٰ بن الفضل بن إبراهيم **قَال:**

* سمعتُ الفضيلَ بنَ عياض ـ **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ** ـ **يقول:**

* **تَسْأَلُهُ الجنَّةَ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَقَلَّ نَظَرًا مِنْكَ لِنَفْسِكَ.**

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الفُضيل بن عياض:

* ابن مسعود بنِ بشر، الإمامُ القدوةُ الثبت، شيخُ الإسلام أبو علي التميمي اليَربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله تعالى!

* ولد بسمرقند، ونشأ بِأَبِيوَرْد، وارتحل في طلب العلم. . . !

* رَوىٰ عن سفيانَ الثوري أجلّ شيوخه، **قال سفيان بن عيينة:** فضيل، ثقةٌ!!

وقال ابن المبارك: فضيل أورعُ الناس!!

وقال شريك:

* لم يزل لكل قوم حُجَّةٌ في أهل زمانهم، وإن فضيلاً حجةٌ لأَهل زمانه!!

وقال ابنُ المبارك :

* إنَّ الفضيل صدق اللّٰهَ، فأجرى الحكمةَ علىٰ لسانه، فالفضيلُ ممّن نفعه علمُه، ما بقي في الحجاز أحدٌ من الأبدال إلاَّ فضيلاً وقوماً سمَّاهم . . . !

مصادر الترجمة :

* التاريخ الكبير: ٢/ ٢٤١، طبقات الصوفية للسلمي: ٦/ ١٤، حلية الأولياء: ٨/ ٨٤، السير: ٨/ ٤٢١.

وقوله : تسأله الجنة وتأتي ما يكره . . . إلخ .

* حيث أتيتَ بالمتناقضين، فدل علىٰ أن في عقلك نقصاناً، أو أنك تستهزىء بأوامر اللّٰهِ وهذا هو البلاء العظيم، وطامةُ العذابِ الكبرىٰ . . . !

* من أراد أن يقبل الله دعاءه فليقدم الشفيعَ وهو تقوى اللّٰهِ وامتثالُ ما أمره . . . !

اهـ من النسخة القديمة

قلتُ : وقد وفقني الله تعالىٰ لذكر توبةِ هذا الإمام الكبير، والعالم الشهير في كتابي الصحوة القريبة في ١/ ٤١٠.

* وكيف انتقلَ من حال إلىٰ حال، بسبب سماعه آيةً من كتاب الله، فرضي اللّٰهُ عنه ونفعنا به آمين . . . عُد لكتابي المذكور وسل الله لي ولك القبول.

كتبه محمد

* * *

مَا قَالَهُ سَهْلٌ

أخبرنا:

* أبو البقاءِ حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو القاسم عبدُ الرحمٰن بنُ السراج، قَال: سمعت أبا بكرٍ أحمدَ بنَ السَّائح قَال: سمعتُ القاسمَ بنَ محمد صاحب سهل يقُول: سمعت سهلَ بنَ عبدِ الله يقُول:

* لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ أَغْلَظُ مِنَ الدَّعْوىٰ، ولا طَرِيقَ إليهِ أقربُ مِنَ الافْتِقَارِ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

أُقول: لأنّ الأُولَى:

* ناجمةٌ عن الأَنانية فيكون مقلداً لإبليس في دعواه وأنانيته حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

والثانية:

* علامةُ العبوديةِ فتكون الأنبيا عليهم الصّلاة والسّلام قدوتُه في ذلك وهم نعم المقتدىٰ: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأعراف: ١٢].

* ومُدِحَ النبيُّ ﷺ في العبودية في أشرف المقامات حيث قيل له: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

* ومن مزايا الافتقار أنه يُمنح المتصفُ به نسبةً إلىٰ ربه:

قال تعالىٰ: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: ٦٥].   اهـ من النسخة القديمة

حَالُ شُعْبَةَ

ورُوِّينا بأسانيدَ صحيحةٍ عن أبـي يحيـى النكراوي قال:

* ما رأيتُ أعبدَ لله مِنْ شعبةَ حتَّى جفَّ جِلدُه علىٰ عَظْمِه ليسَ بينهما لحم. . . !

الشَّرحُ والتَّعليقُ

شعبةُ بن الحجاج:

وهو الإمام المشهور، والعَلَمُ المنشور، في المناقب مذكور!

* له التقشف والتعبد!! زينُ المحدثين!!

* أكثر عنايته بتصحيح الآثار، والتبري من تحمل الأوزار!!

* المتثبت المِحجاج شعبة بن **الحجاج**!!

* كان للفقر عانقاً، ولضمان الله تعالى واثقاً!!

وقيل: التصوف هو الرضا بالكفاف والتزين بالعفاف. . . !

وكان ـ رضي الله تعالى عنه ـ ألثغ في لسانه، سليماً في جَنانه، قوياً في إيمانه!!

وكان ـ كما ذكر الإمام النووي ـ قد يبس جلدُه على عظمه ليس بينهما لحم!!

وكان يصومُ الدهر كلَّه، لا ترىٰ عليه أثرَ الصيام. . . !

وكان سفيان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. . . !

انظر: حلية الأولياء للإمام الأصفهاني في ترجمة هذا المفضال: ترَ العجبَ العُجابَ في تاريخ الرجال!

* * *

مَا قَالَهُ ٱلإِمَامُ الشَّافِعِيُّ

وبلغنا عن الشافعي ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ قال :

خيرُ الدنيا والآخرةِ في خمسِ خصالٍ :

* ١ ـ غنى النفس!
* ٢ ـ وكفِّ الأَذىٰ!
* ٣ ـ وكسبِ الحلالِ!
* ٤ ـ ولباسِ التقوى!
* ٥ ـ والثقةِ بالله عزَّ وجلَّ علىٰ كل حال!

وعن الشافعي ـ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنه ـ قال :

* مَنْ غلبتْ عليه شدةُ الشهوة لحبِّ الدنيا، لزمته العبوديةُ لأَهلها.
* ومَنْ رَضيَ بالقُنوع : زال عنه الخضوعُ.

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

القُنُوع :

* أي هو : عدم السؤالُ والتذللُ، فإن السائل يقل حياؤه، فيذهبُ خضوعُه لله، لانشغاله عنه بالناس الذين يطلب منهم حوائجَه!!

وفي المثل : خيرُ الغنى القُنوع، وشرُّ الفقر الخُضوع!!

* ولربما لا يخطرُ له الخضوعُ، فينتقل من عبودية الله تعالى التي هي الحريةُ والشرفُ إلىٰ عبودية البشر!.

* فيصيرُ مملوكاً لهم، ذليلاً حقيراً.

ومِنْ دعائهم:

* نسأل اللّـهُ القناعة ونعوذ بالله من الجَشاعة...

وَقَدْ نُسِبَ لإمَامنا الشّافعي هَذين البيتين:

* العَبْدُ حُرٌّ إنْ قَنِعْ
والحُرُّ عَبْدٌ إن قَنَعْ

* فَاقنعْ وَلَا تقْنَع فما
شيءٌ يَشينُ سِوى الطَّمع

فإنَّ قنـع بكسر النون من الباب الرابع بمعنى رضي ومصدره القناعة...!

وقنعَ من الباب الثالث مفتوحة عين الفعل في الماضي والمضارع بمعنى سأل ومصدره القُنوع.

فله معنيان من حيث اللغة...!

* * *

مِنْ مَواعِظِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

وقَال الشَّافعيُّ ـ رَضِيَ اللَّه تعَالىٰ عنه ـ :

* مَنْ أحبَّ أن يفتحَ اللّٰـهُ قلبَه ويرزقَه العلمَ فعليه :

* ١ ـ بالخلوة!

* ٢ ـ وقلةِ الأَكل!

* ٣ ـ وتركِ مخالطة السفهاء!

* ٤ ـ وبغضِ أهلِ العلم الذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدبٌ .

وقَال الشَّافعيُّ ـ رَضِيَ اللَّه تعَالىٰ عنه ـ :

أنفعُ الذخائر التقوىٰ، وأضرُّها العدوان . . . !

وقَال الشَّافعيُّ ـ رَضِيَ الله تعالى عَنْه وَرحمه :

أفضل الأعمال ثلاثةٌ :

* ١ ـ ذِكرُ الله!

* ٢ ـ مواساةُ الإِخوان!

* ٣ ـ إنصافُ الناس من نفسك!

يعني هذه الثلاثةَ مِنْ أفضَلِ الأَعمال . . . !

* * *

وقال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ :

* لا يعرف الرياءَ إلاَّ مخلصٌ، يعني لا يتمكن في معرفة حقيقتِه، والاطلاع علىٰ غوامض خفيّاتِه إلاَّ مَنْ أراد الإخلاصَ!!

* فإنه يجتهد أزماناً في مطاولة البحثِ والفكر والتنقيبِ عنه، حتَّى يعرفَه أو يعرفَ بعضَه، ولا يحصلُ هذا لكلِّ أحدٍ وإنَّما يحصلُ للخواص...

* وأما مَنْ يزعم مِنْ آحاد الناس أنه يعرف الرياء، فهو جهلٌ منه بحقيقته...!

* وسأذكر في هذا الكتابِ باباً ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ ترىٰ فيه من العجائب ما تقرُّ به عينُك إن شاء الله تعالىٰ..!

ويكفي في شدة خفائه ما رويناه عن الأُستاذ الإمام أبـي القاسم القشيري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في رسالته بإسناده المتقدم عنه...!

* قال: سمعت محمدَ بنَ الحسين يقول: سمعت أحمدَ بنَ عليٍّ ابن جعفرَ يقول:

سمعت الحسنَ بنَ علوية يقول: قال أبو يزيد ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ :

* كنتُ ثنتي عَشْرةَ سنةً حدَّادَ نفسي، وخمسَ سنين كنتُ مرآةَ قلبـي، وسنةً أنظرُ فيما بينهما!!

* فإذا في وسْطي زنارٌ ظاهر، فعمِلتُ في قطعه خمسَ سنين، أنظر كيف أقطع؟!

* فكُشِفَ لي فنظرْتُ إلى الخلق فرأيتُهم مَوتَىٰ، فكبَّرتُ عليهم أربعَ تكبيرات...!

* فإذا في وَسْطِي زنارٌ ظاهر، فعملت في قطعه اثنتي عشرةَ سنةً، ثم نظرت في باطني زنارٌ، فعَمِلْتُ في قطعه خمسَ سنين، أنظر كيف أقطع؟!

قلتُ:

* يكفي في شدة خفاءِ الرياءِ اشتباهُهُ هذا الاشتباه علىٰ هذا السيد الذي عزَّ نظيرُه في هذا الطريقِ...!

وأمّا قوله:

* فرأيتُهم موتىٰ فهو في غايةٍ منَ النفاسة والحُسْنِ، قَلَّ أنْ يُوجدَ في غير كلامِ النبي ﷺ كلامٌ يحصل معناه.

وأنا أشير إلىٰ معناه بعبارة وجيزة:

* فمعناه أنه لمَّا جاهد هذه المجاهدةَ، وتهذبتْ نفسُه، واستنار قلبُه، واستولىٰ علىٰ نفسه وقَهَرَها، وملكها مِلْكاً تامّاً، وانقادتْ له انقياداً خالصاً...!

* نظر إلىٰ جميع المخلوقين فوجدَهم موتىٰ لا حكمَ لهم:

* فلاَ يضُرُّون ولا ينفعونَ، ولا يُعطون ولا يمنعون، ولا يُحيون

ولا يُميتـون، ولا يَصِلُـون ولا يقطَعـون، ولا يُقـربـون ولا يُبْعِـدُون، ولا يُسْعِدون ولا يُشقون، ولا يرزقون ولا يَحرِمون!!

* ولا يملكون لأَنفسهم نفعاً ولا ضُرّاً، ولا يملكونَ موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً. . . !

* وهذه صفةُ الأَمواتِ أن يُعامَلوا معاملةَ الموتَىٰ في هذه الأُمور المذكورة!

* وأَنْ لا يُخَـافُـوا ولا يُـرجَـوا، ولا يُطْمَـعُ فيمـا عنـدَهـم، ولا يراءَوا، ولا يُداهَنوا، ولا يُشْتَغَلُ بهم، ولا يُحْتَقروا، ولا يُنْتَقصوا!!

* ولا تُذكَرُ عيوبُهم، ولا تُتَّبعُ عَثَراتُهم، ولا يُنقَّبُ عن زلَّاتهم، ولا يُحسَـدُوا، ولا يُستكثَرُ فيهـم مـا أعطـاهـم الله تعـالـىٰ مِـنْ نعمـه، ويُرحموا ويُعذَروا فيما يأتونه من النقائص!!

* مع أنَّا نُقيمُ الحدودَ عليهم ما جاء الشرعُ به من الحدود. . . !

* ولا يسعنا ـ أيضاً ـ ما قدمناه مِنْ إقامة الحدودِ إنّا نحرصُ علىٰ ستر عوراتِهم من غير تنقص لهم، كما يُفعل ذلك بالميت!!

* وإذا ذكرهم ذاكرٌ بِشَيْنٍ نهيناه عن الخوض في ذلك كما ننهاه عن ذلك في الميت!

* ولا نفعل شيئاً لهم أو نتركُه لهم، ولا نمتنع من القيام بشيء من طاعات الله بسببهم، كما لا نمتنع من ذلك بسبب الميت!!

* فـلا نكتـرثُ بمـدحهـم ولا نحبـه، كمـا لا نكـره سبُّهـم إيـانـا ولا نقابله!!

فالحاصِل :

* أنهم كالعدم في جميع ما ذكرناه، فهم مدبَّرون تجري فيهم أحكامُ الله تعالىٰ:

* فمن عاملهم هذه المعاملةَ جمعَ خيرَ الآخرةِ والدنيا!

* نسأل الله الكريم التوفيقَ لذلك.

* فهذه الأَحرفُ كافيةٌ في الإشارة إلىٰ شرح كلامِهِ ــ رضي الله تعالى عنه ــ .

والله أعلم

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

قوله: مطاولة البحث... إلخ:

المطاولة في الأَمر: بمعنى التطويل فيه، وطوَّلتُ الحديدةَ: مددتها، وطولت للدابة: أرخيت لها حبلها لترعىٰ...!

اهـ مختار

والمراد هنا: الصبر مع التدقيق والبحث.

وأبو يزيد البِسْطَامِي:

* سلطان العارفين، طَيْفُور بنُ عيسىٰ بنِ شَرْوسان، أحدُ الزهّاد، وقدوة الزاهِديْن...!

مِن أقواله:

* لو نظرتم إلىٰ مَنْ أُعطِي مِنَ الكرامات حتَّى يطيرَ، فلا تغترّوا به حتَّى تروا كيف هو عندَ الأَمر والنهي، وحفظِ الحدود والشرع...!

يُحكىٰ عنه في الشطح أشياء.

* وكان يرجع إلىٰ أحوالٍ سَنِيّةٍ، وله كلامٌ حسن في المعاملات. توفي سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة.

مصادر الترجمة:

* طبقات الصوفية للسلمي: ٦٧، حلية الأَولياء، طبقات الأَولياء: **٢٤٥**، السير: **١٣/ ٨٦**.

ويريد بما قاله ــ رضي الله عنه ونفعنا به ــ، أن يُبينَ ما كانت عليه البشريةُ، مما جُبلتْ عليه بخبث الطوية من الميل إلى الحظوظ والشهوات، ودنيِّ المقاصد في النيات:

* وانشغالُه بمقتضى الأَمرِ إلى الكمال، ليتعرضَ لنفحات الإِفضال...!

* فشرع في تقويم الجوارح بالتعلم، فتعدلت على حسب ما أفاده التفهم!!

* فالتفتَ إلى الخواطر القلبية، فوجد فيها دسائسَ شيطانية، وذلك بالالتفات في بعض الأَغراض إلى الخلق!

* فعبَّر عن ذلك بالزنار في الطريق الأَحق، فتخلص من ذلك بمساعدات ربانية، ومجاهدات دينية وقلبية!

* فظهرَ له حسنُ أقواله وأفعالِه، حيث نسي إنعامَ اللّٰهِ بإفضاله، فسماه بالزنار الباطن، فهو لخفاء خيانته فيه، فجد واجتهد في إعدامه.

اهـ من شرح الرسالة باختصار لشيخ الإسلام زكريا الأَنصاري

والمراد بالزنار الظاهر:

* الركونُ لغير الله والاعتمادُ علىٰ ما سواه...!

* **والمراد بالزنار الباطن**: الاستحسانُ للأَحوال والأَعمال. **والله أُعلم**.

* * *

وَصِيَّةُ السَّرِي السَّقَطِيِّ
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

وَرُوِّينا بإسنادنا إلى القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

* سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰن السُلمي إمامَ الصوفية في زمانه وبعدَه.

قال:

* سمعتُ العباسَ البغدادي يقول:

* سمعت جعفراً يقول:

* سمعت الجنيد يقول:

* سمعتُ السري ـ رحمه الله تعالى ـ يقول:

* يا معشرَ الشبابِ! جُدُّوا قبلَ أَنْ تَبْلُغوا مَبْلَغِي، فتضعُفوا وتُقَصِّروا كما قصَّرتُ!!

* قال: وكان في ذلك الوقت لا تلحقه الشبابُ إلى العبادة...

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

السَرِيُّ السقطي:

هو السَرِيّ بنُ المغَلِّس أبو الحسنِ البغدادي، الإمامُ القدوة شيخُ الإسلام...

* ولد في حدود الستّين ومائة، وحدّث عن الفضيل بنِ عياض، وهُشَيم بنِ بشير، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجلُّ أصحابه.

قال أبو عبد الرحمٰن السُلمي:

* كان السري أولَّ من أظهر ببغداد لسانَ التوحيد، وتكلم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات...

* حُكِي عنه **قال:** صليتُ وردي ليلةً ومددتُ رجلي في المحراب!!

* فنوديتُ: يا سريّ، كذا تجالس الملوك؟

فضممتها **وقلت:** وعزّتِك لا مددتُها.

توفي سنة ٢٥٣هـ. وتوفي ـ **رحمه الله تعالىٰ** ـ عن ٩٠ سنة.

مصادر الترجمة:

* طبقات الصوفية: ٤٨، حلية الأولياء: ١٠/ ١١٦، تاريخ بغداد: ٩/ ١٨٧، صفوة الصفوة: ٢/ ٢٠٩، السير: ١٢/ ١٨٥. عاش ٩٣ سنة.

وقوله: جدّوا:

الجِدُّ: الاجتهاد في الأَمر: تقول منه: جَدَّ يَجِدُّ وَيجُدُّ...!

والأَمر:

يحكي المضارع يعني يجوز كسر الجيم وضمها.

* * *

ابْنُ أَبِي مِرْثَد

وقال أحمدُ بنُ أبي الحواري في كتاب الزهد حدثنا سويد **قال**: رأيتُ ابنَ أبي مِرثد في السوق، وفي يده عَرْقٌ ورغيفٌ وهو يأكل وكان طُلِبَ للقضاء ففعل ذلك حتَّى تخلَّصَ.

قلتُ:

* العَرْق بفتح العين وإسكان الراء هو: العظمُ عليه قليلُ لحمٍ.

ومما يُشبه هذا ما رواه الإمام البيهقي بإسناده عن الإمام الشافعي ـ **رحمهُ الله تعالىٰ** ـ **قال:**

* دخل سفيانُ الثوري ـ **رضيَ اللَّه تعالىٰ عنه** ـ علىٰ أمير المؤمنين فجعل يتجانن عليهم، ويمسح البساط **ويقول**: ما أحسنَه! بكم أخذتم هذا؟ **قال**: البولَ البولَ.

* حتَّى أُخرج يُريد أنه احتال ليتباعدَ عنه ويَسْلَمَ مِنْ أمرهم.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

أقول:

* قد يضيق ذرعاً من لا فقهَ له، من إحجام هذا الإمام العظيم عن توليته القضاء لجهله العميق في أحوال هؤلاء السادة البهاليل، الذين أعرضوا عن الدنيا إعراضاً كاملاً لا ترددَ فيه، وداسوها تحت أقدامهم، وزهدوا في مناصبها الفتانة التي مَنْ تقلدها فقد ذُبِحَ بغير سكين!

* فهؤلاء هم أدرىٰ بنفوسهم، وأشدُّهم وقوفاً علىٰ دفائنها ودخائلها!!

فدرءُ المفاسدِ عندهم مُقَدَّمٌ علىٰ جلب المصالح . . . !

* ولو كان عملُ ابنِ أبـي مرثد فيه انتقاد، لَتناوَله المؤلفُ وبيَّنَ وجهَ الخطأ فيه، ولكن ذكره في معرض المدح والثناء: رحم الله الجميع، ومنحنا حسنَ التوفيق.

* فكثيرٌ من الأَئمة الأَعلام سُجِنوا وأهينوا وعذبوا علىٰ تناول هذا المنصب فأبوا إباءً لا هوادةَ فيه!!

* ومنهم الإمام الأَعظم أبو حنيفة النعمان، سُجن ومات في السجن ولم يتولَّ القضاء، فأين نحن من هؤلاء؟

* فاللّـٰهَ أسألُ أنْ يمنحَنا فهماً صحيحاً، وإنصافاً فسيحاً، ونظراً ثاقباً في أمثال هذه القَصص الطريفة التي أصبحتْ غريبةً حتى عند كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم. اهـ.

وانظر ترجمةَ سفيان في ص١٧٩ من هذا الكتاب. وانظر ترجمة الإمام أبـي حنيفة وتخلصه من القضاء كيف كان في كتاب الحب الخالد.

* * *

مَا قَالَهُ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

قال الشافعي ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عنه ـ :

* مات ابنٌ للحسين بنِ عليٍّ ـ رَضِيَ اللهُ تعالىٰ عنهما ـ فلم يُرَ عَلَيْهِ كآبةٌ. . . !

فعوتب في ذلك فقال:

* إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فَيُعْطِينَا، فَإِذَا أَرَادَ مَا نَكْرَهُ فِيمَا يُحِبُّ رَضِينَا . اهـ.

* * *

طَاعَةُ المُؤَدِّبِ

وقال أحمدُ بنُ أبـي الحواري سمعت أبا سليمانَ يقُول :

* ما نحبُّ مَنْ نحبُّ إلاَّ بطاعتهم لمؤدبهم، وأنت تعصيني! قد أمرتُك أنْ تفتحَ أصابعك. . . !

وفي الترمذي: ضمها[1].

* * *

(١) وهو الأظهر لأَن من السنة الضم لا الفتح، فحرره. والخطاب لأحد طلاّبه.

فِي ٱلتَّعْزِيَةِ

وعن سعيد بن جبير ــ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ــ :

أنه نظر إلى ابنه **فقَال:**

* إني لأَعلم خَلَّةً[١] فيك!

* **قَال:** وما هي؟

* **قَال:** تموتُ.

فاحتسبَه[٢]. . . !

* * *

* وعن أبـي الحسن المدائني **قال** قيل لأعرابية: ما أحسنَ عزاكِ على ابنك؟

* **فقالت:** إنَّ فَقْدَ أبيه أنسىٰ المصائبَ بعدَه. . . !

* * *

صُورَةٌ فِي ٱلتَّعْزِيَةِ

وقال موسى بنُ المهتدي لإِبراهيمَ بنِ مسلم وعزاه بابنه **فقَال:**
سرورُك: وهو بليةٌ وفتنةٌ، **وحزنُك**: وهو صلواتٌ ورحمة. . . !

---

(١) الخَلة بالفتح: الخَصلة، والخُلة بالضم: الخليل، وتخلل بعد الأكل بالخِلال.
اهـ مختار

(٢) لعله: فأحتسبك، فحرره.

* **قَال:** وكتب رجل إلىٰ بعض إخوانه يعزيه بابنه:

أما بعد:

* فإنَّ الولَد علىٰ والده ما عاش حُزْنٌ وفتنةٌ، وإذا قدَّمه فصلاةٌ ورحمةٌ. . . !

* فلا تجزع علىٰ ما فاتك من حُزنه وفتنته، ولا تضيع ما عوَّضك اللّـهُ تعالىٰ مِنْ صلاته ورحمته. . . !

الشَرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الحُزْنُ والحَزَن: ضد السرور، وقد حَزِن من باب طرب، والحَزْنُ: ما غلظ من الأَرض. . . !

اهـ مختار

أرسل الإمامُ الشافعي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ إلىٰ بعض أصحابه يعزيه في ابن له قد مات **بقوله:**

* إِنِّي مُعَزِّيكَ لا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ
مِنَ الخلودِ ولكنْ سُنَّةُ الدِّينِ

* فما المعزَّى بباقٍ بعدَ ميِّتِهِ
ولا المُعَزِّي ولو عاشا إلى حِينِ

المعزَّى الأول: بفتح الزاي، **والثاني:** بكسرها. . .

* وقد علقت علىٰ كتاب «فتح العلام» عند قول المصنف «تتمة» في التعزية: ٣/ ٢١٣ الطبعة الثالثة ما يتعلق في التعزية من فضل وأجر وثمرة بشكل مفصَّل. . .

* * *

أَثَرُ الذَّنْبِ

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان **يقول**:

* أقمتُ عشرين سنةً لم أحتلم، فأحدثتُ بمكةَ حدثاً فما أصبحتُ حتَّى احتلمتُ!!

فقلت: وأيُّ شيءٍ كان الحدثُ؟

قال: تركتُ صلاةَ العشاءِ الآخرةَ في المسجد الحرامِ في جَماعةٍ.

الشَّرحُ والتَّعليقُ

أقول:

* هذا من قبيل: حَسناتُ الأَبرارِ سيئاتُ المقربين، فنحن الآن أصبحنا في زمان قد أدبر خيرُه، وأقبل شره. . . !

* فنرضىٰ من أبنائنا أن يحملوا في قلوبهم فرضيةَ الصلاةِ أولاً وقبلَ كل شيء!!

* وثانياً: المحافظةُ عليها في أوقاتها!!

* وثالثاً: أداؤها جماعةً وهي أفضلُ مراحلِ الأداء، منشرحينَ الصدر، محتسبين عندَ الله الأَجر. . . !

* * *

اللَّحنُ في العَمَلِ

ورويّنا عن الإمام مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ :

* تَلْقىٰ الرجلَ وما يلحنُ حرفاً، وعَملُهُ لَحْنٌ كلُّه.

* ورويّنا عن الإمام أبي بكر محمدِ بن يحيىٰ بن عبد الله بنِ العباس بنِ محمد بن صوْلِ المصولي، بضم الصاد المهملة وإسكان الواو.

وقال بعضُ الزهَّاد:

* أَعْربنَا في كَلامِنَا فَما نَلْحَنُ، ولَحنَّا في أَعْمالِنا فمَا نُعْرِبُ!

قال الشاعر:

* لَـمْ نُـؤْتَ مِـنْ جَهْـلٍ ولكنَّنـا
نَسْتُـرُ وجْـهَ العِلْـمِ بـالجَهْـلِ
* نكْـرَهُ أَنْ نَلْحَـنَ فِـي قَـوْلِنَـا
ومـا نُبَـالِـي اللَّحْـنَ فـي الفِعْـلِ

* * *

الخَلِيلُ بْنُ أَحمَدَ

* وأخبرنا الشيخُ أبو محمدٍ إسماعيلُ بنُ أبـي إسحاقَ، إبراهيم ابن أبـي البشر شاكر:

* **أخبرنا** أبـو طاهـر بركـات بـن إبراهيم بـن طاهـر الخشوعي، **أخبرنا** أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأَكفاني!

* **حدثنا** أبو بكر أحمد بن علي بن ثابتٍ البغدادي الحافظ!

* **أخبـرنـا** عبيـد الله بـن عمـر الـواعـظ، **حـدثـني** أبــي، **حـدثـنـا** محمد بنُ نصر بن علي الجهضمي!

حدثني محمدُ بنُ خالدٍ، **حدثنا** عليّ بنُ نصرٍ **قال**:

رأيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ ــ **رحمهُ اللهُ تعالىٰ** ــ في النوم.

فقلت في منامي: لا أرىٰ أحداً أعقلَ من الخليل **فقلت**:

* ما صنع الله بك؟

قال:

* رأيتُ ما كنا فيه، فإنه لم يكن شيءٌ أفضلَ من سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـٰهَ إلاَّ الله، والله أكبر . . .

وفي رواية:

* قال عليُّ بنُ نصرٍ: رأيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ في المنام **فقلت له**: ما فعل ربك بك؟

* **قَال:** غُفِرَ لي . . . !

* **قلتُ:** بم نجوتَ؟

* **قَال:** بلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيم . . . !

* **قلتُ:** كيف وجدتَ علْمَكَ أعني العروضَ، والأدبَ، والشعرَ؟

* **قَال:** وجدتُهُ هباءً منثوراً . . .

* وبهذا الإسناد إلى أحمدَ بنِ عليٍّ ثابتٍ، **قَالَ:** أنْشَدَنَا أبو الحسنِ محمدُ بنُ المظفر، أنشدنا أبو بكر أحمدُ بنُ سُليمانَ النجار، أنشدنا هلالُ بنُ العلاء لنفسه:

سَيَبْلَى لِسَانٌ كَانَ يُعْرِبُ لَفْظَه
فيالَيْتَه فِي وَقْفَةِ الْعَرْضِ يَسْلَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تُقَى
وَمَا ضَرَّ ذَا التقوى لِسَانٌ مُعَجَّمُ

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

* هو الإمام، صاحبُ العربيّة، ومنشىءُ علم العروض، أبو عبد الرحمٰن البصري، أحدُ الأعلام المحدّثين واللغويين!

* ولد سنةَ مائةٍ، حدث عن أيوبَ السختياني، وعاصم الأَحول!

أخذ عنه سيبويه النحوَ، وكذلك الأَصمعي وآخرون!

* كان رأساً في لسان العرب، ديّناً، وَرِعاً، قانِعاً، متواضعاً، كبيرَ الشأن!

يقال: إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يُسبَق إليه، ففُتِـحَ له بالعروض، وله معجم «العين»!

* وثّقه ابنُ حبّان، وكان متقشّفاً متعبداً، مفرطَ الذكاء مات سنة سبعين ومائة.

مصادر الترجمة:

* التاريخ الكبير: ٣/ ١٩٩، طبقات النحويين للزبيدي ص ٤٧، معجم الأدباء: ١١/ ٧٢، سير أعلام النبلاء: ٧/ ٤٢٩.

هذا، ورؤي الجنيدُ في المنام فقيل له:

ما فعل اللَّـهُ بك؟ **قال:**

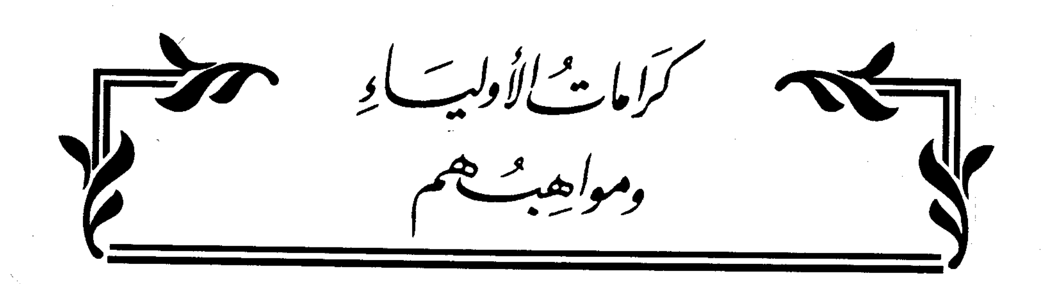
* ١ ــ طاحتْ تلك الإشاراتُ!

* ٢ ــ وذهبتْ تلك العباراتُ!

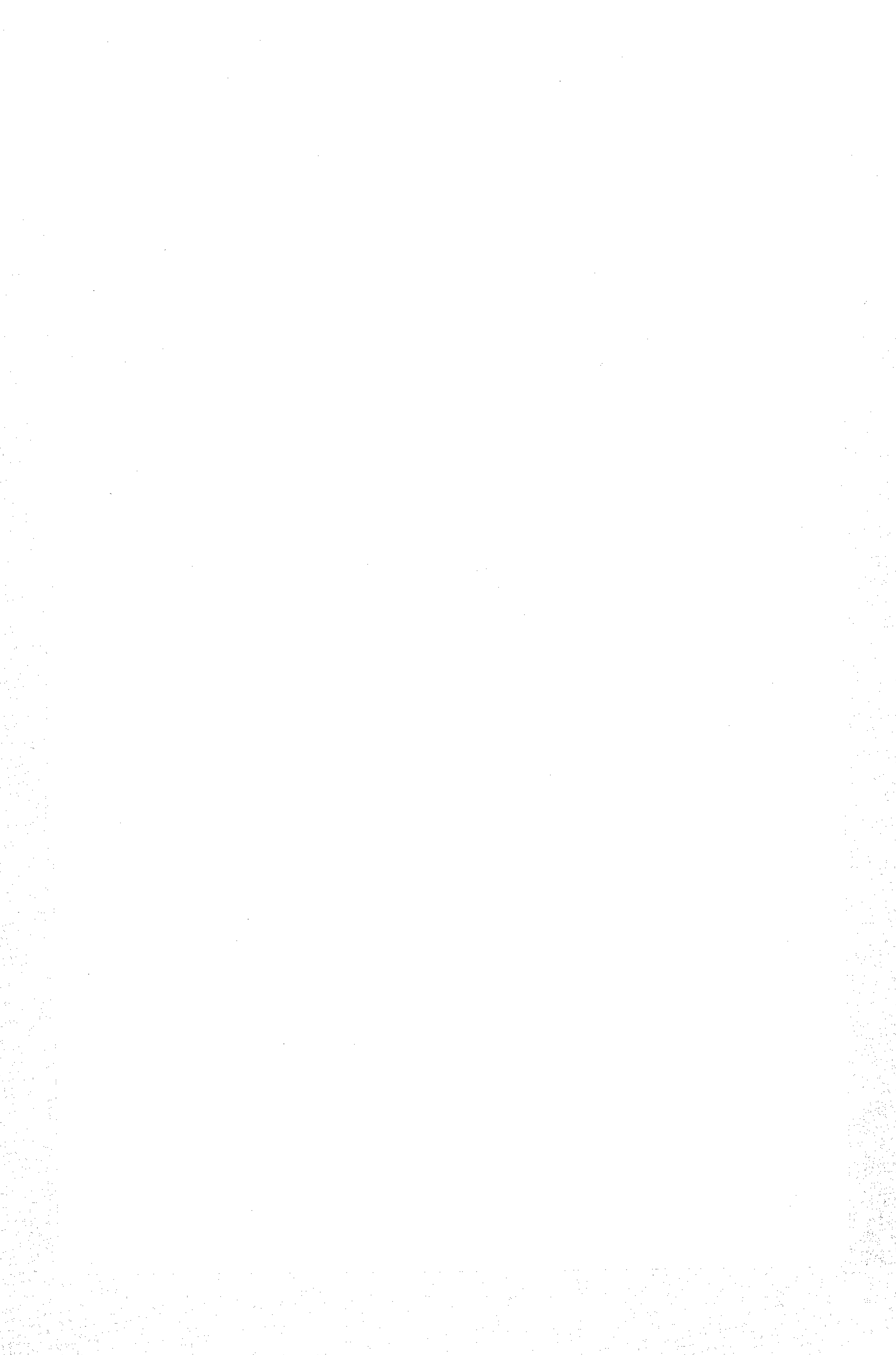
* ٣ ــ واندرستْ تلك العلومُ!

* ٤ ــ وما نفعني إلاَّ ركيعاتٌ كنتُ أَرْكَعُها في جوف الليل!! والناسُ نيامٌ.

* * *



كرامات الأولياء ومواهبهم



كراماتُ الأولياءِ ومواهِبُهم

قالَ اللّٰه تعالىٰ:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

* اعلم أن مذهبَ أهلِ الحقِّ، إثباتُ كراماتِ الأَولياء، وأنها واقعةٌ موجودة مستمرة في الأَعصار. . . !

* ويدلُ عليه دلائلُ العقولِ، وصرائحُ النقول. . . !

أما دلائلُ العقل:

* فهي أمرٌ يُمكن حدوثُه، ولا يؤدي وقوعُهُ إلىٰ رفع أصلٍ من أصول الدين، فيجب وصفُ اللّٰهِ تعالىٰ بالقدرة عليه، وما كان مقدوراً كان جائزَ الوقوع. . . !

وأما النقولُ:

* فآياتٌ في القرآن العظيم، وأحاديثُ مستفيضة!!

الشَّرحُ وَالتَّعليقُ

حدّ الكرامة:

* هي ظهورُ أمر خارقٍ للعادة علىٰ يد الوليّ، غيرِ مُقارنٍ لدعوى النبوة. . . ! وهي عونٌ علىٰ طاعته، ومقوِّيةٌ ليقينه، وحاملةٌ له علىٰ حسن استقامته، ودالةٌ علىٰ صدق دعواه الولايةَ، إن ادَّعاها لحاجة، وشهدتْ له بها الشريعةُ. . !

* ثم ظهورُ الكرامات على الأَولياء جائزٌ، لأَن خرق العادةِ مِنْ جملة الممكن!

وقدرةُ الحق تعالىٰ متعلقةٌ بسائر الممكنات، تعلقاً صلوحيّاً قديماً، وتنجيزيّاً حادثاً. فتأمل. . . !

وأُما قوله: غيرِ مقارنٍ لدعوى النبوة!!

فبهذا يحصل الفرقُ بينَ المعجزةِ والكرامة، فانتبه!!

وأُما قوله: هي عون علىٰ طاعته. . . إلخ. . . !

الغرضُ منه:

* بيانُ حكمةِ إيجادِ الكرامةِ للولي، فهي عونٌ بالنسبة لحال المبتدئين والمتوسطين. . . !

وقوله:

* ودالَّةٌ علىٰ صدق دعواه الولايةَ بالنسبة للواصلين من المرشدين أي الكاملين. . . !

اهـ شرح الرسالة ٤/ ١٤٧ ببعض تصرف

* * *

أمَّا الآيات:

قِصَّةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

فقولُه تعالىٰ في قصّة مريم:

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢٥].

قال الإمام أبو المعالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ إمامُ الحرمين:

* ولم تكن مريمُ نبيةً بإجماع العلماء...!

وكذا قاله غيرُه؛ بل كانت وليَّةً، صِدِّيقةً، كما أخبرنا الله تعالىٰ عنها!!

وقولُه تعالىٰ:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قِصَّةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ:

هي مريمُ بنتُ عمران!!

* كان أبوها من عظماء بني إسرائيل!!

وكانت زوجتُه عاقراً، طلبت من الله بضراعة صادقةٍ أن يهبها ولداً، ونذرته لبيت المقدس، يكونُ من السَّدَنة أي: الخدمة!!

أجاب الله دعاءَها، فحملت بمريم، فلما وضعتها قالتْ:

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

* وهي لا تصلح، فتقبّلها الله بأن تكون بدل الذكر. . . !

فكان الكافلُ لها بعد التنافس في كفالتها، وإجراءِ القرعة زكريا!!

* فكان كلما دخل معبدَها وجد عندها فاكهةَ الصيفِ في الشتاء، وفاكهةَ الشتاء في الصيف. . . !

فهذه الخارقة الأُولىٰ يسألُها مِنْ أينَ لك هذا؟ **تقُول :**

هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ...!؟

* كَبِرت مريمُ وبُشِّرت بغلام من غير والد اسمه المسيحُ عيسىٰ فهو **كلمة الله** ...؟

تعجبت مريمُ من هذا الأمر، وهي العابدة البتول، وخافت طعنَ اليهود وقذفها!!

* فلما آن أوانُ الوضع، اعتمدتْ إلىٰ جذع نخلةٍ يابسة لتستعينَ بها على الوضع. . . !

* فأحاطتْ بها عنايةُ الله تعالىٰ، فطمأنها جبريلُ بأن الله تعالىٰ قد تكفل رزقَها!

وما عليها إلاَّ أن تهزَّ جذعَ النخلةِ فيسقط عليها رطَبٌ جني، فتأكل رزقاً حلالاً، وتشرب من جدول ماء يجري قريباً منها!

* فكلي من الرطب، واشربي من العين، وقَرِّي عيناً، فكانت الكرامة الخارقة، تساقَطَ الرطبِ من تلك الشجرةِ اليابسة. . . !

* انظر كتابنا: قَصصَ التنزيل، فقد أوضحنا هذه القصة بشكل مفصل وواضح، وسهل! والحمد لله.

* * *

قصة صاحب سليمان عليه السلام

ومن ذلك قصةُ صاحبِ سليمانَ عَلَيهِ السَّلام حيث قال:

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠].

قال العلماء: ولم يكن نبيّاً.

الشرح والتعليق

قصة عرش بلقيس:

* لمّا علمَ سيدُنا سليمانُ عَلَيهِ السَّلام، بمقدَم ملكة سبأ، بعدما دعاها إليه مؤمنةً مستسلمة له!

* فأراد أن يُريها بعضَ الأمورِ الخارقةِ للعادة، مما خصَّه اللّٰهُ به من معجزات ليكونَ ذلك دليلاً على نبوته... لا افتخاراً وعلواً، لأنه منزه عن ذلك ومعصوم عن مثل هذه الصفات الدنيئة!!

* التفت سليمان لمن حولَه من الجان قائلاً لهم:

أيكم يأتيني بعرشِ بلقيس قبلَ أن تصلَ إليَّ؟

فقال عفريت:

* ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ هذا في مدةٍ لا تتجاوزُ نصفَ النهار، وكان يجلسُ للحكم والقضاء من الصبح إلى الظهر...!

* أراد أن يكونَ الزمنُ أقربَ...!

فكان في مجلسه رجلٌ من أهل الولاية والصلاح، اسمه آصف بنُ برخيا...!

قَال :

﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ . . . !

وإذا بعرش بلقيس المحصَّن بالحرس، المحوط بالأَسوار، أمامَ سليمان عليه السلام، انتقل من بلاد اليمن إلى بيت المقدس بلمحة البصر. . . !

فهذه كرامة لذلك الرجل الصالح، ومعجزة لسيدنا سليمان. . . كذلك تعرضنا لهذه القصة العجيبة في كتابنا قصص التنزيل فقد أوضحناها إيضاحاً كاملاً والحمد لله.

* * *

قِصَّةُ أُمِّ مُوسَى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

ومن ذلك ما استدل به إمام الحرمين وغيرُه، من قصة أم موسى.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قصة أم موسىٰ:

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧].

أقول:

* لما استفحل القتلُ في أطفال بني إسرائيل، وكثر الذبحُ، علىٰ إثر رؤيا قد رآها الطاغية فرعونُ بأنه سيولد مولودٌ من بني إسرائيل، يكون سبباً في القضاء على ملكه!!

وقد بلغ العدد على قولٍ ٩٠,٠٠٠ ألف مولود...!

* فخشي آلُ فرعونَ من موت كبارهم، وذبح صغارهم، بأن لا يبقىٰ مَنْ يقوم بقضاء مصالحهم الجسام...!

* فأصدر الطاغيةُ فرعونُ العفوَ عن الذبح عاماً، وتنفيذَه عاماً...!

* فعامُ العفوِ وُلِدَ هارونُ!

* وعام الذبح ولد موسىٰ!

وكان لفرعونَ عيونٌ وقوابلُ، يَجُبْنَ البلادَ، ويطفنَ على النساء!!

* فمن رأينها قد حملت سجلوا اسمها!!

* فإن حان حينُ الوضع، وأخذها المخاض!! جاء الذباحون بأيديهم الشفارِ الحادة، فنفذوا جريمة الذبح، وخرجوا بلعنة الله وغضبه... تنفيذاً للأوامر العرفيّة التي توارثها مَنْ بعدهم مِن الحكّام... المنحرفين عن الإسلام.

فلما حملت أمُّ موسىٰ بموسىٰ:

* فأكرمها اللّٰهُ تعالىٰ بكرامة غريبةٍ!

حيثُ إنَّ مخايلَ الحمل لم يظهر أمامَها، وأعمى الله أبصارَ القوابل عنها، إلاَّ قابلةً كانت مصافيةً لأَم موسى، ومخلصةً لها!!

* فلما ضربها الطلقُ وأخذها المخاضُ، أرسلتْ إليها قائلةً فلينفعني حبُك إياي!!

* فلما وقع موسىٰ بينَ يديها، وإذا بنور عظيمٍ لم يَر الراؤون مثلَه معَ الحب العميق، والتعلق الشديد بموسى عَلَيْهِ السّلام...!

هنا كرامتان...؟

* وهو مصداق **قولُه تعَالىٰ** ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ كرامةً لأَمه عليه السلام! وهذا أمر لا يُمكن إخفاؤه.

* فأوحى اللّٰهُ إليها وحيَ إلهامٍ بأن تصنعَ لها صندوقاً وتقذفه في النيل، ووعدها بردِّه...!

فهٰذه الكرامة الثالثة...؟

* وهكذا الأَمواجُ أخذتِ الصندوقَ حتَّى وقع بأيدي آلِ فرعون، فَقُدِّم قبلَ فتحه لامرأة فرعون!!

* فلما فتحته، فكأن القمرَ يَحكي جمالَه، فوقع حبُه في قلبها!

وهٰذه الكرامة الرّابعة...؟

* فعرضت عليه المراضعَ فلم يقبل ثدياً إلاَّ ثدي أمه!

فهٰذه الكرامةُ الخامسة...؟

* وتربى في حجر فرعونَ وبيته، وأحيط بعناية لا مثيلَ لها . . . !

وهَذه كرامة . . . ؟

* وهكذا كانت الكراماتُ تترادفُ علىٰ أم موسىٰ، وعنايةُ اللّٰهِ ترعى الموقف الرهيب حتى صدقتْ رؤيا الطاغية فرعون وكان حتفه علىٰ يديه عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام .

عُد لكتابنا قصص التنزيل ترَ العجبَ العُجاب في هذه القصة العظيمة .

* * *

قِصَّةُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ

ومن ذلك ما استدل به أبو القاسم القشيري من قصة ذي القرنين.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قصة ذي القرنين:

* لقد ذكر اللّٰهُ تعالىٰ في كتابه العزيز قصة ذي القرنين في سورة الكهف:

وأثنىٰ عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارقَ والمغارب، وملك الأَقاليمَ، وقهر أهلَها، وسار فيهم بالعدالة التامة، والسلطان المؤيد، والحكم المظفر المنصور، والنفوذ القاهر المقسط، معَ ما أوتي من الخوارق للعادة الدالة علىٰ صلاحه وتقواه...!

والصحيح: أنه كان مَلِكاً من الملوك العادلين الصالحين...!

واختلف العلماء في السبب الذي سمِّي به ذا القرنين.

* **فقيل**: لأنه كان له في رأسه شبهُ القرنين...!

* **وقيل**: لأنه مَلك فارسَ والروم...!

* **وقيل**: لأنه بَلَغَ قرني الشمس غرباً وشرقاً إلىٰ غير ذلك من الأَقوال...!

واسمه على الصحيح: عبد الله بنُ الضحَّاك، **وقيل**: غير ذلك...! والله أعلم.

رفع اليهودُ سؤالاً يمتحنون به النبيَّ ﷺ ويختبرونه، سألوه عن ذي القرنين... وهذا مصداقه قوله سُبحانه وتعالىٰ:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ ﴾ يا محمد!! لهؤلاء ﴿ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ

ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ [الكهف: ٨٣] أي: من خبره وشأنه أي: خبراً نافعاً كافياً في تعريف أمره، وشرح حاله. . . !

فقال: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾ . . .

* أي وسَّعنا مملكته في البلاد، وأعطيناه من آلات المملكةِ ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة، والمقاصد الجميلة، والأعمال الجسيمة!!

* سخَّر الله له السحابَ حتَّى بلغ المشرقَ والمغربَ، ومُدَّت له الأَسبابُ، وبسط له في النور!

* ومَدَّ له في الأَجل، ونصره حتَّى قهرَ البلاد، وفتح له المدائنَ.

اهـ من البداية والنهاية مختصراً

* * *

أقوال العلماء في الخضر عليه السلام

واستدلَّ القشيريُّ وغيرُه بقصة الخضر معَ موسىٰ **عليه السّلام** .

قالوا: ولم يكن نبياً؛ بل كان ولياً، وهذا خلاف المختار والذي عليه الأَكثرون أنه كان نبيًّا . . . !

* **وقيل**: كان نبيّاً رسولاً!
* **وقيل**: كان وليّاً!
* **وقيل**: مَلِكاً!

وقد أوضحت الخلافَ فيه وشرحه في تهذيب الأَسماء واللغات وفي شرح المهذب .

الشرح والتعليق

قصة الخضر :

ونص عبارة التهذيب :

واختلفوا في حياة الخضر ونبوته :

فقال الأَكثرون من العلماء :

هو حي موجود، بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة . . . !

* وحكاياتُهم في رؤيته، والاجتماع به، والأَخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير، أكثرُ من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . . . !

قال الشيخ أبو عمرو ابنُ الصلاح في فتاويه :

هو حي عند جماهير العلماء، والصالحين، والعامة معهم في ذلك. . . !

قَال : وإنما شذَّ بإنكاره بعضُ المحدِّثين **قَال** : وهو نبـي.

واختلفوا في كونه مرسلاً، وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين.

* **وقَال أبو القاسم** القشيري في رسالته في الأَولياء :

لم يكن الخضر نبيّاً وإنما كان وليّاً!

وقَال أقضى القضاةِ الماوردي في تفسيره :

قيل : هو ولي. . . !

وقيل : هو نبـي. . . !

وقيل : إنه من الملائكة، وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل. . . !

وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيا!!

قَال إبراهيم بنُ سفيانَ صاحبُ مسلم :

يقال: إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر في مسنده: إنه يقال له الخضر.

وذكر أبو إسحاق الثعالبـي المفسر :

اختلافاً في أن الخضر كان في زمن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أم بعده بقليل أم بعده بكثير؟

قَال والخضرُ على جميع الأَقوال نبـيٌّ معمَّر محجوبٌ عن الأَبصار. . . !

قَال : وقيل إنه لا يموت إلّا في آخر الزمان عند رفع القرآن. اهـ.

* وقد ألف الحافظ ابنُ حجر في هذا رسالةً وسماها الزهر النضر في نبأ الخضر.

قال صاحب أسنى المطالب في ص ٢٩٢:

حياةُ الخضرِ عليه السّلام: اختلفَ فيها العلماء، وأثبتها الصالحون والأولياء، رضوان الله عليهم، ولم يرد في حياته شيء يُعتمد عليه.

والخضر عَلَيْهِ السَّلام:

* نبي على المشهور عندَ العلماء، وإن لم يكن نبياً فهو تابع لنبي!!

فيجب عليه نصرةُ نبينا ﷺ واتباعُه لو كان حيًّا...!

* ولم يَرِدْ ما يدل علىٰ حياته في زمنه عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام!

ولو ورد لما خفي علينا؛ لأنه من الأمور الغريبة!!

* ولو فرضت حياته في عصر الصحابة لمات؛ لأنه في صحيح البخاري في كتاب العلم أن ابن عمر قَال:

صلَّى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقَال:

* «أرأيتكم كليلتِكم هذه، فإنَّ رأسَ مائةِ سنةٍ منها لا يبقىٰ ممن هو علىٰ ظهر الأرض أحدٌ».

وأما ما ورد أنه اجتمع بالنبي ﷺ فخبر باطل...!

* وأما اجتماعُه بالأولياء ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ـ فيُحمل على روحه، وأنها تتشكل بصورته، فالأرواحُ لها تصرفٌ بعدَ الموت كالحياة!!

ويدل لهذا أنَّ منْ يراه من الناس يراه هو وحدَه لا غيرَه!

* ولو كان جسماً لرآه كلُّ حي مرَّ به؛ لأنه آدميٌّ، لا مَلَكٌ ولا جني!!

* فرؤيته، ورؤية النبي ﷺ جهاراً لبعض الأولياء رؤية نورانية...!

وهي:

* رؤيةُ المثال لا في عالم الشهود، لأَنه لو كان في عالَم شهودِ الشخص، كان من جملة الخيال والهدس، أو حديث النفس. . . !

* ولـلأَوليـاء أحـوالٌ، لا يقـدرون أن يعبـروا عنهـا. . . لأَنهـا أمـورٌ معنويةٌ. . . !

* فكيف يُعبرُ عنها غيرُهم ولا نظن بهم إلاَّ الخير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ـ أجمعين.

اهـ باختصار وهو كلام نفيس.

كتبه محمد ببعض تصرف

* * *

قِصَّةُ أَهْلِ ٱلْكَهْفِ

ومن ذلك قصة أهل الكهف وما اشتملت عليه من خوارقِ العاداتِ.

قال إمام الحرمين وغيرُه: ولم يكونوا أنبياء بالإجماع.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قصة أُصْحَاب الكهف:

أصحابُ الكهفِ، مِنْ أبناء الأكابر والملوك، كانوا يعبدون الأصنامَ مع قومهم!

* اتفقَ اجتماعُهم في عيد لقومهم فرأوا ما يتعاطاه قومُهم من السجود للأصنام شرح اللّـهُ صدورَهم للحق، وألهمَهم الصوابَ!

وكانوا علىٰ شريعة سيدنا عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان ملكهم وثنياً!!

علم بهم فهددهم بالقتل أو بالرجوع إلىٰ دينه!!

* أجمعوا أمرهم بينهم أن يفروا بدينهم إلىٰ ذلك الكهف من الجبل!!

حملوا زادهم، وفارقوا أوطانَهم، مهاجرينَ إلى الله من أرضِ الكفرِ إلىٰ مكان مظلم، وكهفٍ ضيِّق!!

* فهو أطيبُ مكاناً من الأرض الواسعة، ساروا وسار في إثرهم كلبٌ، تعلَّقَ بهم وأحبهم، فلم يروا بأساً من صحبته لهم. . .!

* دخلوا الكهفَ، وجدوا هناك أمراً عجيباً، وجدوا ثماراً فأكلوا، وماءً بارداً فشربوا، ثم اضطجعوا قليلاً من إثر التعب. . .!

* وإذا بهم قد أُغفوا وناموا ملءَ جفونهم نوماً عميقاً، وكلبُهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد يحرسهم!!

* وهكذا ظهرتْ آياتُ اللّـهِ تعالىٰ، فتعاقبت الأَيامُ والسنون، والفتية راقدون، مضروبٌ علىٰ آذانهم!

* ولو اطلع مطلعٌ عليهم لرآهم يتقلبون مرةً ذاتَ اليمين، وأخرىٰ ذاتَ الشمال . . . !

حتى دخلتْ سنةُ تسعٍ وثلاثمائة منذ نومِهم:
انتبهوا بعدَ هذه المدةِ الطويلة ظانين أن الزمن لم يمض بهم . . . !

* ١ ــ قال أحدُهم: إني أتخيل ساعاتٍ طويلة قد مرت بنا . . . !

* ٢ ــ وقال ثانيهم: لبثنا يوماً كاملاً . . . !

* ٣ ــ وقال الثالث: لبثنا بعضَ يوم . . . !

* ٤ ــ وقال الرابع: الله أعلم بما لبثتم . . . !

* فبعثوا واحداً منهم ليشتريَ طعاماً، فظهر بالعملة التي عرضها أنهم قد مر عليهم تسعٌ وثلثمائة سنة . . . !

* فالذي أنام هؤلاء الفتيةَ هذا الزمنَ الطويلَ من غير طعامٍ ولا شراب، ثم أيقظهم، قادرٌ علىٰ إحياء الموتىٰ، وجَمْعِ الأَشلاءِ المتفرقة، والأَعضاء الممزقة . . .

* وهي كرامة لأولئك الفتية من أبرز الكرامات، وخارقةٌ من أجلِّ الخارقات، وقد أوضحنا أمرهم في كتابنا قصص التنزيل، فعد إن شئت إليه.

* * *

وأمّا الأحاديث : فكثيرة :

قِصَّةُ المِصْبَاحَيْن

حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

* منها حديث أنس أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا مِنْ عندِ النبي في ليلة مظلمةٍ ومعهما مثلُ المصباحين يُضيئان بينَ أيديهما . . . !

* فلما افترقا ، صار مع كل واحد منهما واحدٌ حتَّى أتىٰ أهلَه ! !

أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة وفي علامات النبوة !

هذان الرجلان :

* ١ ــ عُبَّادُ بنُ البشر . . . !

* ٢ ــ وأُسيد بن حُضَير ، بضم أولهما وفتح ثانيهما . . . !

وحضير بضم الحاء المهملة وبالضاد المعجمة .

* * *

أَصْحَابُ ٱلْغَارِ

* ومنها حديثُ أصحابِ الغار الثلاثةِ الذين أووا إلى الغارِ فأَطبَقتْ صخرةٌ عليهم بابَه . . . !

* فدعا كلُّ واحدٍ منهم بدعوة فانفرجت عنهم الصخرةُ.

وهو مخرَّج في صحيحي البخاري ومسلم.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قِصَّةُ أُصْحَابِ الغَارِ :

أقول مفصّلاً عن قصتهم . . . وحالهم العجيب :

* انطلق ثلاثةُ رَهْطٍ ممن كان قبلَكم، فآواهم المبيتُ إلىٰ غارٍ فدخلوه، فانحدَرتْ عليهم صخرةٌ من الجبل فسدتْ عليهم الغار . . . فعاينوا الموت ويأسوا من الحياة يأساً كاملاً ! !

فَقَالُوا :

* إنه ــ والله ــ لا يُنجيكم مِنْ هذه الصخرةِ إلاَّ أن تدعوا اللّٰهَ بصالح أعمالكم فإنَّ لذلك أثراً ظاهراً في النجاة :

١ ــ فَقَالَ رَجُلٌ مِنهُم :

* إنه كان لي أبوان شيخانِ كبيران، وكنتُ لا أغبُقُ ــ أي لا أسقي ــ قبلَهما أهلاً ولا ولداً . . . !

* فنأى بي طلبُ الشجر يوماً فلم أرح عليهما، أي فلم أصل إليهما حتَّى ناما، فحلبتُ لهما غَبوقَهما، أي مشروبَهما، فجئتهما به فوجدتهما نائمين ! !

* فتحرجتُ أي: تجنبتَ الإثم مِنْ أَنْ أوقظَهُما، وكرهتُ أَنْ أغبِقَ قبلَهما أهلاً ولا مالاً!!

* فقمتُ والقدحُ علىٰ يدي أنتظرُ استيقاظَهما، حتَّى برِقَ الفجرُ فاستيقظا فشربا غبوقَهما. . . !

* اللَّـٰهُمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك فأفرج عنا ما نحن فيه!!

فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروجَ منه. . . !

٢ ـ وقال الآخر:

* اللَّـٰهُمَّ كانت لي بنتُ عم، وكانت أحبَّ الناسِ إليَّ، فراودتها عن نفسها فامتنعتْ حتَّى ألمَّتْ بها سنةٌ مُجدِبةٌ من السنين!

* فجاءتني فأعطيتُها عشرينَ ومائة دينار علىٰ أن تخليَ بيني وبينَ نفسِها ففعلتْ حتَّى إذا قدرتُ عليها!!

* **قالت لي**: لا يحل لك أن تَفضَّ الخاتمَ إلاَّ بحقه، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهبَ. . . !

* اللَّـٰهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك فافرجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجتْ الصخرةُ إلاَّ أنهم لا يستطيعون الخروجَ. . . !

٣ ـ قال الثالث:

* اللَّـٰهُمَّ إني استأجرت أُجراءَ فأعطيتُهم أجورَهم غيرَ واحدٍ منهم ترك الذي له وذهب!!

* فثمَّرتُ أجرَه حتَّى كثر فجاءني بعدَ حينٍ **فقال**:

يا عبدَ الله أدِّ إليَّ أجري!! **فقلت له**:

* كُلُّ ما ترىٰ من أُجرتِكَ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ **فقال**:

يا عبدَ الله لا تَستهزِىءْ بي!!

فقلتُ:

إني لا أستهزىءُ بك، فأخذَ ذلك كلَّه فاستاقه، ولم يتركْ منه شيئاً. . . !

* اللَّـٰهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك فافرجْ عنا ما نحن فيه!!.

فانفرجت الصخرة فخرجوا من الغار يمشون. . . !

* والكرامةُ في ذلك استجابةُ دعائِهم، وتوسلُهم بأعمالهم. وهذا مصداق الحديث:

* تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. . . !

* * *

قِصَّةُ جُرَيْجٍ

* ومنها حديثُ أبي هريرةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ في قصة جريج أنه قال للصبي الرضيع: مَن أبوك؟ قَال: فلانٌ الراعي. . . !

وهو مخرَّج في الصحيح.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قِصَّةُ جُرَيْجٍ:

أقول: كان جريجٌ رجلاً عابداً في بني إسرائيل، وكانت له أمٌّ موجودةٌ!!

فكان يوماً يُصلي، إذ اشتاقت إليه أمه فجاءته **فقالت له**:

* يا جريجُ!!

فقال: يا ربِّ! الصلاةُ خيرٌ أم آتيها؟ أي أُجيبها!

فترجح عنده الصلاةُ عن اجتهادٍ وحسنِ نية، وفضَّلها على الإقبال علىٰ أمه.

* فدعته ثانياً فقال مثلَ ذلك ثم صَلَّىٰ!!

ودعته ثالثاً **فقال** مثلَ ذلك. . . !

فاشتد ذلك علىٰ أمه وشقَّ عليها. . . !

* **فقالت**: اللَّـهُمَّ لا تُمته حتَّى تُريَه وجوهَ الموسمات، أي الزانيات. . . !

وكانت امرأةٌ بغياً في بني إسرائيل! **فقالت لهم يوماً**:

* أنا أفتنُ جريجاً حتَّى يزنيَ. . . !

فأتته فلم تقدر عليه!!

* وكان هناك راعٍ يأوي بالليل إلىٰ صومعته.

فلما أعياها جريج!! راودت الراعيَ عن نفسها فأتاها فولدت منه...!

* ثم إنها قالت لبني إسرائيل: ولدي من جريج الراهب...!

فأتاه بنو إسرائيل وكسروا صومعته وشتموه!

* فقام إلىٰ صلاته ودعا اللَّـهَ تعالىٰ فنخس الغلامَ بيده وقال له:

يا غلامُ!! منْ أبوك؟

فنطق الغلامُ وقال:

* الراعي...!

فندموا علىٰ ما كان منهم، واعتذروا إليه، وأقبلوا عليه يقبّلونه ويتمسَّحون به وقالوا له:

* نبني صومعَتك من ذهب أو من فضة...؟

فأبَـى عليهم وبناها كما كانت.

اهـ. باختصار.

* * *

قصة عمر

* ومنها حديثُ أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ:

* «لقد كان فيما قبلكم من الأُمم مُحَدَّثُونَ، فإن يكن في أمتي أحدٌ فإنَّه عمرُ.

وفي رواية:

* قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء. . . !

رواه البخاري في صحيحه.

الشرح والتعليق

قصة عمر العظيمة :

أقول :

ومنه ما روي عن أمير المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطاب ـ رضيَ الله تعالى عنه ـ :

* أنه قال على المنبر بالمدينة المنوَّرة وهو يخطب الجمعة، لساريةَ، وكان بنهاوند يُقاتل العدوَ، وأراد العدو أن يكيدَه ويسبقَه إلى الجبل:

* يا ساريةُ الجبلَ! أي اصعده والزمه!

فقطع عمر خطبته، كما تقطع الإذاعة حديثها لأمر ما!!

* كشف الله لأمير المؤمنين حالَ سارية مع العدو، فقال له ذلك في خطبة الجمعة، فسمعه ساريةُ والناسُ معه فتحصنوا بالجبل.

فلعمر في ذلك كرامتان:

* ١ ــ ما كُشف له عن ساريةَ وأصحابهِ وحالِ العدو. . . !

* ٢ ــ وبلوغُ صوتِه إلىٰ ساريةَ في بلاد بعيدة. . . !

* فكان الظفر لسارية ــ وَالحَمدُ لِلَّه ــ والكرامة لعمر ــ رَضِيَ اللَّه تعَالىٰ عنهُ ــ.

قِصَّةُ أُمِّ أَيمَن

أقول:

* ومنه ما روي عن أم أيمن ــ رضي الله عنها ــ:

أنها خرجتْ مهاجرةً إلى الله ورسولِه وهي صائمةٌ، ليس معها زادٌ ولا حمولةٌ [وهي الأحمال التي يوضع عليها الزاد من الإبل وغيرها] ولا سقاء، في شدة حرِّ تِهامة!!

* وقد كادتْ تموتُ من الجوع والعطش، حتَّى إذا كان الحينُ الذي يُفطر فيه الصائم!!

سَمعتْ حفيفاً علىٰ رأسها، فرفعتْ رأسَها، فإذا بدلو معلَّقٍ برشاء أبيضَ

قالت:

فأخذتُه بيدي فشربتُ منه حتىٰ رويت، فما عطشت بعدُ.

اهـ من الحاشية على الرسالة القشيرية ٤/ ١٥٢

* * *

قِصَّةُ خُبَيْبٍ

* ومنها الحديثُ المشهور في صحيح البخاري وغيرِه في قصة خُبيب الأَنصاري بضم الخاء المعجمة ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ صاحبِ رسول الله ﷺ. . . !

* وقولُ بنت الحارث ـ والله ـ ما رأيتُ أسيراً قَطُّ خيراً من خُبيب ـ والله ـ لقد وجدتُه يوماً يأكلُ مِن قِطْفِ عنبٍ في يده، وأنه لموثَقٌ في الحديد، وما بمكةَ من ثمر. . . !

وكانت تقول: إنه لرزقُ الله خبيباً. . . !

* * *

* والأَحاديث، والآثار، وأقوال السلف والخلف في هذا الباب أكثر من أن تحصر، فيُكْتَفى بما أشرنا إليه. . . !

وسترى في هذا البابِ جُملاً من ذلك وباقي الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

تنبيه:

* قد دلتْ هذه الأَخبارُ المنقولةُ عن الثقات العدولِ أئمةِ الدين، وساداتِ المسلمين!

* علىٰ وقوع خَوارقِ العاداتِ للأَولياء، وليسوا بأنبياء، وإنه قد جرىٰ كثيرٌ من الخوارق علىٰ أيدي الأَنبياء والرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

* كإحياء الموتىٰ، والمشي على الماء، وعلى الهواء، وطي الأَرض، والإِتيان بالطعام من حيثُ لا يُحْتَسبُ!!

* وجعلِ البركةِ في الدراهم التي يُصرفُ منها، ولا تنقصُ منها شيءٌ، واستجابةِ الدعاء وغير ذلك مما تضمنتهُ الأَخبار فكيف تنكر؟ وقد بلغت عددَ التواترِ. . . !

وقد روى عبدُ الله بنُ أحمدَ بن حنبل عن أبيه أنه قال:

* لا يُنكر كراماتِ الأَولياء إلاَّ جهمي، والله أُعلم. اهـ.

* * *

الرَّدُّ علىٰ المُعْتَزِلَةِ

قال الإمام أبو المعالي إمامُ الحرمين:

* الذي صار إليه أهلُ الحق:

جوازُ انخراقِ العادة في حقِّ الأَولياء!!

* **وأطبقتِ المعتزلةُ علىٰ إنكارِ ذلك. . .!**

* ثم مِنْ أهل الحق مَنْ صار إلىٰ أنَّ الكرامةَ الخارقةَ للعادة، شرطُها أَنْ تَجْرِيَ من غيرِ إيثار واختيار من الولي. . .!

* وصار هؤلاء إلىٰ أن الكرامة تُفارق المعجزةَ من هذا الوجه. . .!

قال الإمام: وهذا القول غيرُ صحيح!!

* وصار آخرون منهم إلى تجويز وقوع الكرامة علىٰ حكم الاختيار ولكنهم منعوا وقوعَها علىٰ مقتضى الدعوىٰ **فقالوا:**

* إذا ادعى الوليُّ الولايةَ، واعتضد في إثبات دعواه بما يَخرق العادة فكان ذلك ممتنعاً!!

* وهؤلاء فرقوا بين الكرامة، والمعجزة بهذا، **قال:**

* وهذه الطريقة غيرُ مرضيةٍ أيضاً **قال:**

ولا يمتنع عندنا ظهورُ خوارِقِ العوائد معَ الدعوى المفروضة!!

قَال:

* وصار بعضُ أصحابِنا إلىٰ أنَّ ما وقع معجزةً لنبـي لا يجوز تقديرُ وقوعه كرامةً لولي:

* فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحرُ، وتنقلبَ العصا ثعباناً، ويَحيـي الموتَىٰ إلىٰ غير ذلك مِنْ آيات الأَنبياء كرامةً لولي!!

قَالَ الإِمَام: وهذه الطريقة غيرُ سديدةٍ أيضاً!!

قَال:

* والمـرضـيُّ عنـدنـا، جـوازُ خـوارِقِ العـاداتِ فـي معـارض الكرامات.

وقَال:

* غرضنا من إبطال هذه المذاهبِ والطرقِ، إثباتُ الصحيحِ عندنا!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

المُعْتَزِلَـةِ:

* هم فرقةٌ من القَدَرِيّة زعموا أنهم اعتزلوا فِرْقَتي الضلالةِ عندهم أي: أهلِ السنَّةِ والجماعة، والخوارج...!

سمّاهم به سيّد التابعين الحسنُ بنُ يسار البصري، لما اعتزله واصلُ بنُ عطاءَ وأصحابُه كعمرو بن عبيد وغيرِه!!

* من أقوالهم أنهم قالوا:

١ ــ بخلق القرآن...! وأنه ليس بقديم!

٢ ــ وجعلوا منزلةً بينَ المنزلتين: الكفر والإيمان...!

٣ ــ وأن صاحبَ الكبيرةِ لا مؤمن مطلقٌ، ولا هو كافر مطلق؛ بل هو بين المنزلتين، وأصولُ مذهبِهم خمسةٌ:

* وقد انقسموا إلىٰ فرق كثيرةٍ، وصاروا إلى الخلفاء العباسيين حتَّى ساد مذهبُهم مائتي عام إلىٰ أن جاء المتوكل فأبطل معتقدَهم والحمد لله . . . !

المصادر: القاموس المحيط (عزل)، وتاج العروس: ٨/ ١٥ .

* * *

المُعجِزَةُ وَالكَرامَةُ

قَال:

* وأما الفرق بينَ المعجزة والكرامة، فلا يفترقان في جواز العقل إلَّا بوقوع المعجزة علىٰ حسب دعوى النبوة، ووقوعِ الكرامةِ دونَ ادعاءِ النبوة.

قَال الإمَام:

* وقد جرىٰ من الآيات في مولد رسولِ الله ﷺ ما لا يُنكره منتم إلى الإسلام، وذلك قبلَ النبوةِ والانبعاثِ. . . !

والمعجزةُ لا تسبق دعوى النبوة فكان كرامةً.

قَال:

فإنْ زعم متعسفٌ أن الآياتِ التي استدللنا بها كانت معجزاتٍ لنبيٍّ كلِ عصر فذلك اقتحامٌ منه للجهالات!

* فإنا إذا بحثنا عن الأَعصار الخالية لم نجد الآيات التي تمسكنا بها مقترنةً بدعوى نبوة، ولا وقعت عن تحدِّي متحدٍ. . . !

فإن قَالُوا: وقعتْ للأَنبياء دونَ عوامهم، **قلْنا:**

* شرطُ المعجزةِ الدعوىٰ؛ فإذا فُقِدَت كانت خارقةً للعادة كرامة للأَنبياء، ونجعل ذلك غرضَنا إلىٰ إثبات الكرامات. . . !

ولم يكن وقتَ مولد نبينا محمد ﷺ نبيٌّ تستند آياته.

قَالَ الإِمَام :

* فقد وَضَحَتِ الكراماتُ جوازاً ووقوعاً سمعاً وعقلاً .

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

وأقول :

* إن الخوارق التي تظهر للنبـي قبل النبوة **يقال لها :**

إرهاصات . . . !

أي : هي كمقدمات وتمهيدات لأَمر النبوة ودعوى الرسالة ، وفي الوقت نفسه كرامةٌ له .

اهـ محمد

* * *

الفرق بين السحر والكرامة

قال الإمام وغيره:

* في الفرق بينَ السحرِ والكرامةِ، أنَّ السحرَ لا يظهرُ إلاَّ علىٰ فاسق. . . !

قال:

* وليس ذلك من مُقْتَضَياتِ العقلِ؛ ولكنه ملقى من إجماع الأُمة[1].

قال الإمام:

* ثم الكرامة وإن كانت لا تظهرُ علىٰ فاسقٍ معلنٍ بفسقه، فلا تشهد بالولاية على القطع؛ إذ لو شهدت بها لأَمن صواحبُها العواقب؛ وذلك لم يجز لولي في كرامة باتفاق. . !

هذا آخر كلام إمام الحرمين. . . !

الشَرحُ والتَعليق

أُقول:

* ومن المحققين مَنْ فرَّق بينَ السحرِ والمعجزة:

باقتران المعجزةِ بالتحدي. . . !

بخلافه!!

* فإنه لا يُمكن ظهورُه علىٰ يد مدعي النبوةِ كاذباً، كما جرتْ به عادةُ الله تعالىٰ المستمرة!!

* صوناً لهذا المنصبِ الجليلِ، عن أن يتسورَ حِماه الكذابون.

وقد شاع أن العملَ به كفر حتَّى قال العلامةُ التفتازاني:

* لا يُروىٰ خلاف ذلك، وعدَّه نوعاً من الكبائر...!

واختلف العلماء في تعليمه وتعلمه علىٰ أقوال...!

* والقائلون بالمنع محمولٌ على التعليم للإغواء والإضلال، وإليه مال الإمام الرازي **قائلاً**:

* اتفقَ المحققونَ علىٰ أنَّ العلمَ بالسحر ليس بقبيح، ولا محظور، لأن العلم لذاته شريفٌ لعموم **قوله تعالىٰ**:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

* ولو لم يُعلم السحرُ لما أمكن الفرقُ بينه وبينَ المعجزةِ...!

والعلم بكون المعجز معجزاً:

واجبٌ... وما يتوقف الواجبُ عليه فهو واجب...!

اهـ من روح المعاني للإمام الألوسي ١/ ٣٣٩ باختصار

وقال الإمام ابنُ حجر في فتاويه ص ٣٠٤:

مَطْلَبٌ: فِي ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلسِّحْرِ!!

وأما الفرق بينَ الكرامة والسحر:

* فهو أن الخارقَ غيرُ المقترن بتحدي النبوة...!

* فإن ظهرَ على يد صالحٍ ـ وهو القائمُ بحقوق الله تعالىٰ، وحقوقِ خلقه ـ فهو الكرامة...!

* أو علىٰ يد من ليس كذلك، فهو السحر، أو الاستدراج. . . !

قال إمام الحرمين:

* ليس ذلك مقتضى العقلِ ولكنه ملقى من إجماع العلماء انتهى!!

وتمييزُ الصالح المذكورِ من غيره، بيِّنٌ لا خفاء فيه؛ إذ ليست السيما كالسيما، ولا كالآداب!!

* وغيرُ الصالحِ لو لبَّسَ ما عسىٰ أن يُلبِّسَ، لا بدَّ أن يرشحَ من نتن فعلِه، أو قوله ما يميزه عن الصالح.

اهـ. وهو كلام نفيس ــ رحمه الله تعالى ــ وجزاه عن المسلمين خيراً.

كتبه محمد

* * *

إِثْبَاتُ الكَرَامَةِ

قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيما روِّيناه في رسالته:

ظهورُ الكراماتِ:

* علامةُ صدقِ مَنْ ظهرتْ عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهورُ مثلِها عليه لا يجوز!!

قال:

* ولا بدَّ أن تكون الكرامةُ فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً علىٰ موصوفٍ بالولاية في معنى تصديقهِ في حاله.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: علامة صدق من ظهرت عليه... إلخ:

أي فهي كالمعجزة من حيث هي دالةٌ علىٰ صدق مدّعي النبوة أيضاً:

* **فهي بمنزلة قوله سبحانه:**

«صدقَ عبدي فيما يبلغ عني».

* فكذلك الكرامةُ علىٰ يد الرجل الصالح، فإنها تدل على صدقه في حاله...!

وأمّا قوله: فظهورُ مثلِها عليه لا يجوز:

* أي لا يجوز علىٰ أنه من نوع الكرامة؛ بل يكون من نوع الإهانة أو الاستدراج!

وأمّا قوله: فعلاً ناقضاً للعادة:

* أي: خارقاً للعادة...

وأمّا قوله: في أيام التكليف:

* أي: لا في أيام الآخرة، لأنها ليست دارَ تكليف...

وهل البرزخُ مدتُه مِنْ حُكْم الدنيا، أو من حكم الآخرة؟

فيه خلاف...

وأمّا قوله: على موصوف بالولاية:

* أي مشتهر بالخير والصلاح بينَ الناس على نهج المتابعة للنبي ﷺ.

اهـ من شرح الرسالة. كتبه محمد

* تمسك بهذه الجمل وعض عليها بالنواجذ[1]!

* * *

(١) الناجذ: آخرُ الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان، ويسمَّى ضرسَ الحُلمِ، لأنه ينبت بعدَ البلوغ وكمال العقل...

الفرق بين المعجزة والكرامة

قال[1]: وتكلم أهل الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة.

فكان الإمام أبو إسحاق الأسفراييني ـ رحمه الله ـ يقول:

* المعجزاتُ: دلالاتُ صدقِ الأنبياء، ودليلُ النبوةِ لا يُوجد معَ غير النبي.

وكان يقول:

* الأولياءُ لهم كراماتٌ، منها شبهُ إجابةِ سُنَّةِ الدعآءِ، فأما جنس ما هو للأنبياء فلا...!

وقال الإمام أبو بكر بن فورك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

* المعجزاتُ: دَلالاتُ الصدقِ، فإن ادَّعى صاحبُها النبوةَ دلتْ علىٰ صدقه...

* وإنْ أشار صاحبُها إلى الولاية دلتْ علىٰ صدقه في حالته...

* فتسمىٰ كرامةً، ولا تسمىٰ معجزةً وإن[2] كانت من جنس المعجزات للفرق...!

وكان ـ رحمه الله ـ يقول:

* الفرقُ بينَ المعجزاتِ والكراماتِ، أن الأنبياءَ عليهم الصلاة

---

(١) أي الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالىٰ.

(٢) إنْ: هذه غائية أو تعليلية وليست بشرطية فانتبه!

والسَّلام مأمورون بإظهارها، والوليُّ يجبُ عليه سترُها وإخفاؤها[1].

والنبي:

* يدعي النبوة ويقطعُ القولَ به. . . !

والولي:

* لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكراً[2].

وقال أوْحَدُ وقته في فنه القاضي أبو بكر الأَشعري الباقلاني ـ رضي الله تعالى عنه ـ:

* **المعجزاتُ**: تختص بالأَنبياء. . . !

* **والكراماتُ**: تكون للأَولياء كما تكون للأَنبياء. . . !

ولا تكون للأَولياء معجزةٌ، لأَن مِنْ شرط المعجزة اقترانَ دعوى النبوة بها. . . !

* **والمعجزة** لم تكن معجزةً لعينها؛ وإنما كانت معجزةً لحصولها علىٰ أوصافٍ كثيرة!

* فمتىٰ اختل شرطٌ من تلك الشرائطِ لا تكون معجزةً، وأحد تلك الشرائط دعوى النبوةِ. . .

---

(١) إلَّا لحاجة ملحة، أو مناسبة مفيدة: كإنكار جاحد، أو ترسيخ عقيدة وتقوية إيمان؛ فلا بأس من إظهارها للضرورة، والضرورة تقدر بِقَدْرِها فافهم. . . !

(٢) واستدراجاً، أي باعتبار نفس الأَمر، لسابق عدم العناية، فيكون الخارقُ حينئذ من قبيل المكر بالإنسان، وإن كان ظاهرُ الحال، الخيرَ والصلاحَ!

* فالعبرةُ بما في نفس الأَمر. . .

والولي: لا يدعي النبوةَ، فالذي يظهرُ عليه لا يكونُ معجزةً[1].

قال القشيري:

وهذا الذي قاله، هو الذي نعتمده ونقول به؛ بل ندين اللَّـهَ به. . . !

* فشرائطُ المعجزاتِ كلِّها أو أكثرِها تُوجد في الكرامة، إلاَّ هذا الشرطَ الواحدَ وهو دعوى النبوةِ، فلا تكونُ المعجزةُ كرامةً. . . !

فالكرامة:

* كالمعجزة فعلٌ من الله لا محالة، فهي حادثةٌ لا قديمةٌ، وهو ناقضٌ للعادة. . . !

* وتحصل في زمن التكليف[2] علىٰ عبدٍ تخصيصاً له وتفضيلاً.

* وقد تحصلُ اختياريةٌ ودعائية، وقد لا تحصل!

* وقد تكون بغير اختياره في غالب الأَوقات!

---

(1) **وَالحَاصِل:**
أنَّ النبـيّ ﷺ لا بدَّ مِنْ علمه بأنّه نبـيّ، ومن قصده إظهارَ الخوارِق، ومِنْ قطعه بأنها معجزاتٌ. . . بخلاف الولي. . . !

(2) أي في مدة الحياة الدنيوية، لا في غيرها من أزمنة الآخرة. . . !
وليس المراد أنه لا تحصل من غير مكلف. . . !
فقد صرح الإمام الشافعي:
* بأنها تحصلُ من الصبـي غير المميز، ويدل لذلك ممن تكلم في المهد!!
* وهل زمنُ البرزخ من أزمنة الآخرة، فلا تحصل فيه الكرامة أيضاً أو فتحصل؟
* والذي يظهر لي ـ وَاللَّهُ أَعْلَم ـ أن الكرامة تحصل في زمن البرزخ علىٰ معنى أن الله تعالىٰ يخلق الكرامةَ لإكرام مَنْ أراد مِنَ الموتىٰ حيث هو الفعَّال الخلاَّق!

كتبه محمد

وهو تصريح جيد، وتفصيل علمي مفيد. . . !

* ولم يُؤمر الوليُّ بدعاء الخلقِ إلىٰ نفسه، ولو أظهر شيئاً من ذلك عمن يكون أهلاً له لجاز. . . !

واختلف أهل الحق في الوليّ هل يجوزُ أن يعلمَ أنه وليّ أم لا؟

* فكان الإمامُ أبو بكر بنُ فورك ـ رحمه الله ـ يقول:

لا يجوز ذلك؛ لأَنه يسلبه الخوفَ ويُوجب له الأَمنَ. . . !

* وكان الأَستاذ أبو علي الدقاق ـ رحمه الله ـ يقول:

بجوازه، وهو الذي نؤثره ونقول به.

* وليس ذلك بواجب في جميع الأَولياء، حتَّى يكون لكل وليٍّ يعلم أنه وليّ واجباً؛ ولكن يجوز أن يعلم بعضُهم كما يجوز أن لا يعلم بعضُهم[1]!

* فإذا علم بعضُهم أنه وليٌّ كانت معرفتُهُ تلك كرامةً له انفرد بها!

* وليس كُلُّ كرامةٍ لولي يجبُ أن تكونَ تلك بعينها لجميع الأَولياء؛ بل إذا لم يكن للولي كرامةٌ ظاهرةٌ عليه في الدنيا، لم يَقْدَحْ عَدَمُها في كونه وليّاً[2].

---

(١) وهو الصحيح، ولا نسلم أن ذلك يَسْلبُ الخوفَ، ويُوجب الأَمنَ. . . !

* فالعشرةُ الذين بشرهم النبيُّ ﷺ بالجنة، علموا ببشارته أنهم أولياءُ الله، وكانوا مع ذلك خائفين معَ كمال إيمانهم وفضلهم، واجتهادِهم في الدين.

اهـ من شرح الرسالة

كتبه محمد

وهو حكم مفيد تمسك به واحفظه

(٢) بل قد يكون أفضلَ ممن ظهرتْ عليه كراماتٌ؛ لأَن الأَفضليةَ إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة، ويدل لذلك الخبر: =

* بخلاف الأَنبياء[1] فإنَّه يجبُ أن تكونَ لهم معجزاتٌ، لأَن النبـي مبعوثٌ إلى الخلق فالناسُ بحاجة إلىٰ معرفة صدقه ولا يُعرف إلَّا بمعجزة.

وحال الوليّ:

* بعكس ذلك، لأَنه ليس بواجب على الخلق، ولا على الوليّ أيضاً العلْمُ بأنه وليّ. . . !

* والعشرَة من الصحابة ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ صدَّقوا الرسولَ ﷺ فيما أخبرهم به أنهم من أهل الجنة!!

وأما قولُ مَنْ قال:

* لا يجوزُ ذلك، لأَنها تُخرجهم من الخوف فلا بأس أن لا يخافوا تغييرَ العاقبةِ.

والذين يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق

= * ما فضَلَكم أبو بكرٍ بصلاةٍ ولا بصومٍ؛ بل بشيء وقَر في صدره. . .

قال الإمام الجنيد:

* وقد مشىٰ رجالٌ باليقين على الماء، ومات بالعطش أفضلُ منهم يقيناً!!

اهـ كتبه محمد

وهي استدلالات جيدة جدّاً فانتبه إليها

(١) الذي يظهر أنه أراد بالأَنبياء الرسلَ أصحابَ الشرائع، لأَن هؤلاء هم الذين يحتاج الناسُ لتصديقهم إلىٰ معجزة كي يعملوا بشريعتهم، وإلاَّ فإن النبـي إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه!!

* فما دام غيرَ مأمور بالتبليغ يقتضي أن لا تكونَ المعجزةُ واجبةً في حقه.

* اللَّـهُمَّ إلاَّ أن يقصدَ من النبـي الرسولَ، أو ماشياً على القول بترادفها.

اهـ من النسخة القديمة

سبحانه وتعالىٰ، يزيد ويربو على كثير من الخوف . . .

قال الأستاذ القشيري:

* واعلم أنه ليس للوليّ مساكنةٌ إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا له ملاحظة، وربما يكون لهم في ظهور جنسها، قوّةُ يقينٍ، وزيادة بصيرة؛ لتحققهم أن ذلك فعلُ الله تعالىٰ، فيستدلون بها من صحة ما هم عليه من العقائد، والله أعلم .

الشرح والتعليق

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ما مُحَصَّلُه:

أنَّ نوعَ المعجزةِ لا يصحّ أن يكون كرامةً . . . !

أقول:

* ومن باب المعجزاتِ ما رواه الترمذي يرفعه إلىٰ ابن عباسٍ ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ قال:

جاء أعرابـي إلى النبـي ﷺ **فقال:**

* بم أعرفُ أنكَ نبـيّ؟؟

قال: «إن دعوتُ هذا العِذْق مِنْ هذه النخلةِ، فشهدَ أني رسولُ الله» . . .

فدعاه رسولُ الله ﷺ، فجعل ينزل من النخلة حتَّى سقط إلى النبي ﷺ . . . !

وقال: ارجع فعاد . . . !

* فأسلم الأَعرابـي . . . !

وهذا مما يجري مجرى المعجزةِ، لأَنها خاصٌ بالأَعرابـي المذكور!

* وليس عاماً حتَّى يكونَ من حقيقة المعجزة، إذ هي ما قارنَ دعوى النبوةِ العامة.

ومن المعجزات:

ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال:

* رأيتُ رسولَ الله ﷺ وحانتْ صلاةٌ: . . . والتمسَ الناسُ الوَضوءَ، فلم يجدوا فأُتِـيَ رسولُ الله ﷺ بوَضوء فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه في ذلك الإِناء!

* وأمر الناسَ أن يتوضؤوا منه، فنبع الماءُ من تحت أصابعه، فتوضأ الناسُ، حتى توضؤوا من عند آخرهم. . .

والمعجزاتُ الثابتةُ عنه ﷺ وزاده شرفاً كثيرةٌ جدّاً. . . !

وقال ابن حجر في فتاويه:

اختلفوا في السحر: هل تنقلب به الأَعيانُ والطبائع؟!

* **فقال قوم**: نعم! كجعل الإِنسان حماراً.

* **وقال قوم**: لا فالساحرُ والصالح، لا يَقلبانِ عيناً مطلقاً. . . !

قَالُوا:

* وإلا لاشتبهت المعجزةُ بالكرامة، والكرامةُ بالسحر، ويرده ما مرَّ من امتياز المعجزة باقترانها بالتحدي!!

* **وأما زعمُهم**:

أنَّ أكثرَ آياته ﷺ، وأعمَّها، وأغلبَها كان بلا تحد:

* كنطق الحصىٰ والجذع، ونبع الماء.

ولعله لم يتحد بغير القرآن، وتمني الموت!!

* فقد كذَّب اللّـهُ تعالىٰ اليهودَ بأنهم أحبَّاءُ اللّـهِ وأخصاؤه فقال متحدياً لهم:

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين تهوَّدوا وتمسكوا بملة اليهودية:

* ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [الجمعة: ٦].

وَفي الحديث:

* «والذي نفسي بيده، لو تمنوا الموتَ ما بقي علىٰ ظهرها يهوديٌّ إلاَّ مات».

فلم يَتَحدَّ عليه الصّلاة والسّلام الناسَ إلاَّ مرتين:

* ١ ـ تحديه بالقرآن بقوله:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

* ٢ ـ وتحديه بالموت لليهود كما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ.

وقد كان ﷺ يقول عند بعضهم: أشهد أني رسول الله.

* وقد سمَّى الله معجزات الأَنبياء آياتٍ، ولم يشترط تحدياً.

فيَرِدُ أن المراد بقولهم في المعجزة:

* لا بدَّ من اقترانها بالتحدي الاقتران بالقوة أو الفعل.

ولا شكَّ أنَّ كل ما وقع منه ﷺ بعدَ النبوةِ مقرونٌ بالتحدي، لأَن قرائن أقوالِه وأحوالِه، ناطقةٌ بدعواه النبوة...

* وتحديه للمخالِفين، وإظهار ما يُقمعهُم، ويَكبتُهم ويُذلهم، فكان كلُّ ما ظهرَ منه ﷺ يُسمىٰ آياتٍ ومعجزات...

وقوله ﷺ عندَ ظهورِ بعضها:

* أشهدُ أني رسولُ الله، شاهدُ صدقٍ علىٰ ما ذكرته فتأمله!

* ومنها التمييز بينَ الكرامة والمعجزة.

* فالمعجزةُ: خاصٌ بخوارق الأَنبياء!!

* ولفظُ الكرامة: خاصٌّ بخوارق الأَولياء، وإنما هو اصطلاح الخلَف...!

وأما السلف:

* فكانوا يسمون كلاًّ من الأَمرين معجزةً: كالإمام أحمد وغيره...!

* ويخصون خوارقَ الأَنبياء باسم الآية والبرهان، وقد يُسمون الكرامةَ آيةً لدلالتها علىٰ نبوة من اتبعه ذلك الوليّ كما مرَّ بيانُه. . . !

اهـ باختصار كتبه محمد

وهي فوارق جيدة عضَّ عليها بالنواجذ

قوله: لا يخافوا تغيير العاقبة:

أي: تتغير عاقبتُه بأن تَخرجَ عنه ولايته. . . !

قيل:

مَنْ جعل شروطَ الولاية حسنَ الموافاة لله تعالىٰ، بأن يعلم الوليُّ تواليَ الطاعاتِ والقرباتِ عليه إلى الممات، لا يجوز ذلك، أي بأن يعلم بأنه ولي!

ومن قال:

إنه في الحال مؤمنٌ على الحقيقة، وإن جاز أن تتغير حالُه بعدُ، لا يبعد أن يكون وليّاً في الحال صِدِّيقاً ثم يتغير. . .

* قال الإمام مصطفى العروسي ــ رحمه الله تعالىٰ ــ في شرح الرسالة: ١٥٨/٤:

اعلم أن هذه المسألةَ باعتبار عموم المعنىٰ في الولاية العامة والخاصة. . . !

يقال فيها تفصيلٌ باعتبار العامة، والخاصة، والحال، والاستقبال. . . !

فأما العامة:

وهي ولايةُ المؤمنين، بمجرد الإيمانِ، فيمكن العلمُ بها في الحال. . .

فإنَّ مَنْ عرف حقيقةَ الإيمان، الذي كلَّفه اللّـهُ تعالىٰ به، وأدركَه مِنْ قلبه ونفسه فهو يعلم أنه من المؤمنين في وقته!

* وإن لم يعلم الدوامَ عليه، لِمَا يجوزُ في حقه من التغيير والتبديل والعياذ بالله تعالىٰ ثبَّتنا الله بالقول الثابت على دينه. . . !

وأما الخاصّة:

الموقوفةُ علىٰ شروطٍ زائدةٍ على الإيمان من جريانهم علىٰ أشرف الأَحوال، واشتغالهم بأفضل الأَعمال!!

* فهو باعتبار ما قد يُعرض لهم من الآفات الجائزةِ في حقهم كلَّ وقتٍ يُقال:

* إنهم إذا وزنوا أنفسَهم بميزان التحقيق، ووجدوها علىٰ سواء الطريق، ثار منهم الظنُّ بحفظ المولىٰ لهم. . . !

* نعم قد يخلق الله لهم علماً بعاقبة أمرهم، فيعلمون أنهم أولياء اللّٰهِ، وحينئذ فذلك خارجٌ من هذا المبحث، **واللّه سبحانه وتعالىٰ أعلم.**

كتبه محمد

فهذا خلاصةُ ما تقدم من الخلاف، فانتبه له فإنه دقيق، وسلِ اللّٰهَ التوفيق!!

وقوله: واعلم أنه ليس للولي مساكنة. . . إلخ:

أي سكونٌ إلى الكرامة التي تظهر عليه، ولا ملاحظةٌ لها، لغنائه عن حظوظ نفسه.

أقول:

* ولذلك أشار صاحبُ الحكم العطائية حيث **قال:**

* الطيُّ الحقيقي أن تطوَى مسافَةَ الدنيا عنك حتَّى ترىٰ الآخرةَ أقربَ إليك منك!

قلت:

ظاهرُ الطيِّ من الفعل والكرامة:

* كطيِّ الأَيام بلا طعام ولا شراب. . .

* أو طيّ الأَرض بحيث يقطعها دونَ مشي ولا تعب في أقرب مدة!!

فكلاهما لا عبرةَ به، وإنَّما الطيّ الحقيقي طيُّ الدنيا بالزُّهد. . . !

وكقول بشر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ :

من دخل في طريقنا يومين، فقد حاز مِلْكَ الدارين. . . !

* قيل : لأنه يترك في الأول الدنيا!

* وفي الثاني : التعلُّقَ في الآخرة!

* وفي الثالث : يكون لربه بلا علَّة. . .

فالجواب في حق الوليّ، أنه لا يعلِّق همته بما سواه تعالىٰ سواء كان من الذوات أو الصفات!!

* ولا فرق في ذلك بينَ الشريفِ والمشروف، والذميم والمحمود!

* فلا يلتفتُ إلىٰ عُلْوِيٍّ، أو سفليٍّ : سماويٍّ، أو أرضيٍّ. . . !

نعم؛ لا بدَّ مِن مراعاة الدليل والرفيق قبل الطريق، ويدخل في ذلك الأنبياء والمرسلون، وخلفاؤهم، فلا يجوز الإعراض عنهم كما لا يجوز الميل إليهم عبوديةً. . . !

قال الله تعالىٰ :

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[آل عمران : ٨٠]

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣].

اهـ ٤/ ١٥١ لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري علىٰ شرح الرسالةِ للإمام القشيري

كتبه محمد

فأعد النظر في هذا الكلام وادع لي بحسن الختام!!

* * *

كُلُّ كَرَامَةٍ لِوَلِيٍّ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيٍّ

قال القشيري ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ :

إنْ قيل :

* كيف يجوز إظهارُ هذه الكراماتِ الزائدةِ في المعاني علىٰ معجزات الرسل؟

قلنا :

* هذه الكراماتُ لاحقةٌ بمعجزات نبينا محمدٍ ﷺ، لأَن كلَّ مَنْ ليس بصادق في الإِسلام، تمتنع عليه الكراماتُ!!

* فكلُ نبـيٍّ ظهرتْ له كرامةٌ علىٰ واحد من أمته فهي معدودةٌ من جملة معجزاته!

* إذ لو لم يكن ذلك الرسولُ صادقاً، لم تظهر علىٰ مَنْ تابعه الكرامةُ، يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد. . . !

قال القشيري ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ :

هل يجوزُ تفضيلُ الوليّ على النبـي؟

قلنا :

* رتبـةُ الأَوليـاء لا تبلـغ رتبـةَ الأَنبيـاءِ عليهم الصّلاة والسّلام للإِجماع المنعقد علىٰ ذلك .

قوله: الزائدة في المعاني:

* أي بحسب سير أفرادها الواقعة لآحاد الأمة!!

وقوله: هذه الكرامات لاحقة... إلخ.

محصَّلُه:

* منع زيادتها عن المعجزات بواسطة كونها من جملة مقويات صدقها، باعتبار موافقةِ مَنْ ظهرت علىٰ يده للنبـي ﷺ في أعماله وباقي متابعاته!

وقوله: لم تظهر علىٰ مَنْ تابعه الكرامةُ:

* أي لا تظهر عليه بهذا العنوان...!

أما الخارق بعنوان آخر فقد يقع...!

* فظهورُها على الولي دليلُ صدقِ النبـي، وصحةِ معجزته، فإنه تابعٌ له في الحق الذي أتى به.

* فإكرامُ الله للولي يدل علىٰ أنه متبعٌ للرسول بما أتىٰ به...!

* فكراماتُ الأولياء ترجع إلىٰ ما عضد الله به الأنبياء من المعجزات الدالة علىٰ صدقهم. كتبه محمد عن شرح الرسالة مختصراً وهو تأويل جيد وحسن

وقوله: رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء... إلخ:

* هذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة؟؟

فقال:

* مَثَلُ ما حصلَ للأنبياء عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ كمثل زِقٍّ فيه عسلٌ، ترشُحُ منه قطرةٌ فتلك القطرة، مِثْلُ ما لجميع الأولياء!

* وذلك لأنه غايةُ رتبةِ الولاية، أولُ مَعارجِ الصديقين!

* وغايةُ معارج الصديقين، أولُ قدم الأنبياء عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

كتبه محمد فهو كلام نفيس

أَنْوَاعُ الْكَرَامَةِ

قال الأستاذ القشيري ـ رحمهُ الله ـ :

هذه الكراماتُ قد تكون إجابةَ دعوةٍ . . . !

* وقد تكون إظهارَ طعامٍ في أوان فاقةٍ من غير سببٍ ظاهرٍ ! !

* أو حصولِ ماءٍ في وقت عطش، أو تسهيلِ قطعِ مسافةٍ في مدة قريبة ! !

* أو تخليصٍ من عدو، أو سماعِ خطابٍ من هاتف وغير ذلك من فُنونِ الأَفعالِ المناقضةِ للعادة .

* قَال: واعلم أن كثيراً من المقدوراتِ يُعلم اليومَ قطعاً أنها لا تجوز أن تقعَ كرامةً للأَولياء، وبالضرورة أو شبهِ الضرورة، يُعلم ذلك :

* ١ ــ فمنها حصولُ إنسانٍ من غير أبوين . . . !

* ٢ ــ وقلبُ جمادٍ بهيمةً، وأمثالُ هذا كثير . . . !

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

فمن إجابة الدعوة قولُ يوسفَ بنِ الحسين :

* جاء رجلٌ إلىٰ ذي النون المصري، فشكا إليه ديناً عليه، نحواً مِنْ سبعِمائة دينارٍ . . . !

* قال : فأخذ ذو النون حَصاةً من الأَرض، فقال للرجل :

خذها فإني أرجو أن يكونَ فيها قضاءُ دينك . . . !

* قال يوسفُ فقال لي الرجلُ:

فجئتُ بها إلىٰ صديق لي من أصحاب الجوهر، فدفعتها إليه!!

* قال لي: ليس هذا وقت بيعِها، فإن صبرتَ عليَّ رجوتُ أن أبيعَها بالضعف!!

* قال: فغبتُ عنه شهراً ثم عدتُ إليه، فإذا هو قد باعها بألف وأربعمائة دينار.

فذلك من باب استجابة الدعاء. والله أُعلم.

أُقول:

* وفيه قلبُ الأعيان، وهو كثير فقد جرى علىٰ أيدي الأولياء. [وانظر ترجمة أبي مسلم الخولاني من هذا الكتاب ص ٣٦٢ تر العجب العجاب].

نموذج:

ومن التخليص من العدو أن ذا النون المصري ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ جاءته امرأة **فقالت:**

* إنَّ ابني قد أخذه التمساحُ هذه الساعة، فرأىٰ حُرقتَها **قال:** فأتيتُ للنّيل فأخذتُ التمساحَ، وشققتُ جوفَه، فأخرجتُ ابنَها صحيحاً، **فقالت:**

* كنتُ إذا رأيتُك سخِرتُ منك، فاجعلني في حلٍّ، فأنا تائبة إلى الله تعالىٰ.

اهـ من الحاشية على الرسالة

وانظر: ص ٣١٤، حديث عمر العظيم: «يا سارِيَةُ الجَبَلَ».

* * *

اشتقاق لفظ الولي

قال القشيري: يحتملُ الوليّ أمرين:

* ١ ـ أحدهما:

أن يكون فعيلاً مبالغة في الفاعل، كالعليم بمعنى العالم، والقدير بمعنى القادر.

فيكون معناه: توالت طاعتُهُ من غير تخلل معصية. . . !

* ٢ ـ الثاني:

أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح!!

* وهو الذي يتولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ حِفْظَه وحراستَه على الإدامة والتوالي!

* فلا يَخْلُقُ له الخذلانَ الذي هو قدرةُ المعصية، ويدوم توفيقُه الذي هو قدرة الطاعة.

قال الله تعالى:

* ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٥، ٨٦].

أما العبد الصالح:

* فينطلقُ على النبـي والولي.

قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء: ٦٩].

وَفِي الحَدِيث الصَّحِيح:

* أن النبـي ﷺ قال في عبد الله بنِ عمرَ إنه رجلٌ صالح والآياتُ والأَحاديث بمعنى ما ذكرتُه كثيرة...!

وأما حد الصالح:

فقال الإمام أبو إسحاق الزجّاج في كتابه معاني القرآن، وأبو إسحاق بنُ قرقول صاحبُ مطالع الأنوار:

هو: الْمُقِيمُ بِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُقُوقِ الْعِبَادِ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: الوليّ:

يُريد نفعنا الله به الولايةَ الخاصةَ، وإلاَّ فالمؤمنون ـ جميعاً ـ أولياءُ الله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

والوليُّ:

* يُطْلَقُ علىٰ كل عبدٍ تولّىٰ أمراً...!

فهو: الناصرُ، والعاضدُ، والحافظُ، ومتولي عقد النكاح وغيره من الأَفعال التي تُتولّىٰ...!

* وأصلُ الولاية: المبالغةُ في الفعل الحسن!!

* وكون الحقِّ وليَّ المؤمنين فهو علىٰ معنى ناصرِهم ومعينهم وموالي نعمِه الدنيوية والأَخروية عليهم. . .

* هذا والمراد هنا الولايةُ في العرف وهي الخاصة بخواص المؤمنين لا غير!

وَاللّٰه أُعْلَم اهـ من شرح الرسالة لشيخ الإسلام

قوله قدرة الطّاعة:

* مشىٰ فيه على مذهب الأَشعري، فإن عنده التوفيقَ هو خلق القدرة على الطّاعة.

وأما مذهب إمام الحرمين:

* فإن التوفيقَ عنده هو الطّاعة، ولذا قال الجلال الدواني الصدِّيقي:

قلتُ: الظاهر ما قاله الإمام، فإن القدرة على الطاعة متحققة في كل مكلف!

اللّٰهُمَّ إلاَّ أن يكون المراد القدرة المؤثرة القريبة التي هي مع الفعل. اهـ.

وعلىٰ كلٍّ فإن تعريف الأَشعري بعد تأويله يعود إلى ما قاله الإمام كما فصله الكلنبوي. . . !

فكان تعريف إمامِ الحرمين أولىٰ لأَنه أخصر ولا يحتاج إلى تأويل. اهـ.

وَاللّٰه أُعْلَم

* * *

الْعِصْمَةُ وَالْحِفْظُ

قال الإمام القشيري:

* فإن **قيل**: هل يكون الولي معصوماً أم لا؟

قلنا:

* أما وجوباً كما يُقال في حقِّ الأَنبياء فلا . . .

* وأما أن يَكون محفوظاً فلا يُصِرُّ على الذُّنوب، وإن حصلت له هفواتٌ في أوقاتٍ، أو زلاتٌ، فلا يمتنع ذلك في وصفهم.

وقد قيل للجنيد: العارف يزني؟

* فأطرقَ مَليّاً ثم رفعَ رأسَه **وقال**: وكان أمرُ اللّـهِ قَدْراً مقدوراً.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

وما قيل في حق الأَنبياء مما يخالف ظاهره ذلك **بقَوْلِهِ تعالىٰ:**

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ مؤول.

* فأُوِّلَ عصىٰ: بِخالَف. **وغوى**: بتغير حالِه عما كان عليه . . .

والمعاصي من الأَنبياء:

* صوريةٌ فقط، لا حقيقةٌ، وكيف وهي قد يترتبُ عليها من الثمرات والفوائد الدنيوية والدينية بالنسبة للأمم، ما لا يخفىٰ علىٰ عاقل عالم.

اهـ من الحاشية القشيرية

فالولي:

* يُحفَظ مما يجوزُ وقوعُه، فإنْ وقعَ في ذنب، تاب منه سريعاً، ومُحِـي أثرُهُ عنه! والنبـي يمتنع أن يقعَ له ما يجوز وقوعُه. . . !

* فَحِفْظُ الولي مما ذكر جائزٌ، وإن وقع له، وتاب منه كان ذلك من جملة الحفظ له ــ أيضاً ــ بواسطة إلهام الرجوع سريعاً ولا يُخرجُه ذلك عن كونه ولياً لله تعالى. . . !

قوله: وكان أمر الله قدراً مقدوراً:

أي فلا يمكن تخلُّفُ ما قدره اللّـٰهُ علىٰ عبده؛ بل لا بد من وقوعه ولو كان مَنْ قُدِّرَ عليه وليّاً من أوليائه!

فحينئذ فالفرقُ بينه وبينَ غيره من عوام الأَمة، عدمُ إصراره علىٰ ما قُدِّرَ عليه من المخالفات؛ بل يُوَفَّق للتوبة، والرجوع سريعاً، بخلاف غيره. . . !

* فوقوع الذنب من الولي لا ينافي ولايته بأن يحفظه الله بالتوبة منها سريعاً. اهـ.

* * *

الخوف

قال القشيري ـ رحمه الله ـ :

* **فإن قيل:** هل يسقط الخوفُ عن الأَولياء؟

* **قلنا :** الغالبُ على الأَكابر كان الخوفُ. . . !

* وذلك فيما تقدم علىٰ جهة النُدرةِ يعني القلةَ غيرُ ممتنع!

وهذا السري السقطي ـ **رضي الله تعالىٰ عنه** ـ **يقول :**

* لو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجارٌ كثيرةٌ، وعلىٰ كل شجرة طيرٌ يقول له بلسانٍ فصيح :

* السلامُ عليك يا وليَّ اللّـهِ، ولم يَخفْ أنه مَكْرٌ لكان ممكوراً به وأمثالُ هذا من حكاياتهم كثيرةٌ. . . !

قال فإن قيل :

* هل يجوز أن يُزايل الوليُّ خوفَ المكر؟

قلنا :

* إن كان مصطلَماً عن شاهدِه، مختطَفاً عن إحساسه بحاله، فهـو مستهلَك عنـه فيما استُوليَ عليـه، والخوفُ مـن صفة الحاضرين بهم.

قوله: يزايل:

زيَّله فتزيل، أي فرَّقه فتفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

المزايلة: المفارقة، **يقال**: زايله مزايلة وزيالاً، أي فارقه... !

والتزايل: التباين.

اهـ مختار

والاصطلام: الاستئصال والاستغراق!

* أفاد بذلك أن العبد وإن كمل، يكون في حال صحوه خائفاً راجياً، ولا يكون آمناً أصلاً... !

* كيف وأصحابُ رسولِ الله ﷺ، ـ رضي الله تعالى عنهم ـ معَ ما كانوا عليه من قوة اليقين، وشهود النور المبين!

* كان الغالبَ عليهم الخوفُ منه تعالىٰ، ومن جملتهم مَنْ بشرهم المقطوعُ بصدقه بالجنة!

* ومعَ هذا لم ينفكوا عن خوف الله بشهود جلاله وعظمته... !

* نعم؛ المصطلَم يزولُ عنه الخوفُ في حالة اصطلامِه، كمن أَمِنَ العاقبةَ بواسطة خبرِ معصوم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اهـ من الحاشية على الرسالة القشيرية

* * *

مَاقَالَهُ ٱلْقُشَيْرِيُّ

(ٱلْغَالِبُ عَلَى ٱلْوَلِيِّ فِي حَالِ صَحْوِهِ):

قال الإمام القشيريُّ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ :

* **فإن قيل:** ما الغالبُ على الولي في حال صحوه؟؟

قلْنا:

* ١ ـ صِدقُه في أداءِ حقوقِ الله تعالىٰ!
* ٢ ـ ثم رأفتُه وشفقتُه على الخلق في جميعِ أحوالِه. . . !
* ٣ ـ ثم انبساطُ رحمتِه للخلق كافةً!
* ٤ ـ ثم دوامُ تحمُلِّه عنهم بجميل الخُلق!
* ٥ ـ وابتداؤه لطلب الإِحسانِ من الله تعالىٰ إليهم من غير التماس منهم!
* ٦ ـ وتعليقُ الهمةِ بنجاة الخلق، وتركِ الانتقام منهم. . . !
* ٧ ـ والتوقي عن استشعار حقِّه عليهم معَ قِصَرِ اليدِ عن أموالهم!
* ٨ ـ وتركُ الطمعِ بكل وجهٍ، وقبضُ اللسان عن بسطه بالسوء فيهم!
* ٩ ـ والتصاونُ عن شهود مساويهم، ولا يكون خَصْماً لأحد منهم في الدنيا والآخرة. . .

قلتُ:

* معناه أنه يعفو عن حقوقه في الدنيا فلا يُطالبهم بها، فلا يبقىٰ له عندهم شيء يُطالب به في الآخرة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

[آل عمران: ١٣٤]

* وروينا في كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني بإسناده عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ قال:

* «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِـي ضَمْضَمٍ؟؟».

* قَالُوا: ومَنْ أبو ضمضمٍ يا رسولَ الله؟!

* قَال: كان إذا أَصْبَح قَال:

* اللَّهم إني وهبتُ نفسي وعرضي لك: فلا يَشتمُ من شَتَمه، ولا يظلمُ من ظلمه، ولا يضربُ مَنْ ضربه»(١).

قلتُ: معناه لا يقتص ممن ظلمه كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

---

(١) وإليه أشارت الآية: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قال الإمام القشيري:

* واعلم أن من أجلّ الكرامات ـ التي تكون للأولياء ـ دوامَ التوفيقِ للطاعة، والعصمةَ من المعاصي والمخالفات. . . !

قلتُ:

* يدخلُ في المخالفات ما ليس معصيةً: كالمكروه كراهةَ التنزيه، وكترك الشهواتِ التي يُستحب تركُها.

الشَرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قد مرّ معنا ترجمة الإمام القشيري ص ١٤٠، وهي ترجمة رائعة.

ورضي الله عن الإمام القشيري!!

* حيثُ جمعَ فأوعىٰ، وأعطىٰ فأوفىٰ، كي لا يغترَّ مغترٌّ بعمل قدَّمه، أو طاعةٍ فعلها، أو وظيفة قام بها، أو ليل كابده، أو نهارٍ أظمأه، وقلبُهُ مشحون بالوساوس، مملوء بالأغيار والحقد والحسد قائم كلٌّ منهما على قدم وساق!!

* فلم يدع صفةً حميدةً، ولا خصلَة مرضيةً إلاَّ وذكرها. . . !

فهذه أخلاقُ النبيين، وشمائلُ الصديقين، الذين نالوا أعلىٰ مراتبِ الولاية قدراً وأرفعِها درجةً ومنزلةً وفضلاً. . . !

* وإلاَّ فكيف يكون وليّاً وهو مُعطلٌ لحق الله، هاضمٌ حقَّ الناسِ؟

* وكيف يكون وليّاً، والقسوةُ قد أخذتْ بمجامع قلبه، فلم يمسح دمعةَ ملهوفٍ، ولم يُغث مسكيناً، ولم يأخذ بيد محتاج؟

* وكيف يكون ولياً، والحربُ قائمةٌ بينه وبينَ عبادِ الله، وحبُّ الانتقام لا يزاوله، مع حقده العميق عليهم؟

* وكيف يكون وليّاً والطمعُ لما في أيدي الناسِ ديدنُهُ، والجشعُ لا ينفك عنه!!

* وكيف يكون وليّاً، ولسانه لا يتورع عن الطعن في أعراض المسلمين، والأَكلِ من لحومهم، والتتبع لعوراتهم، والبحث عن زلاتهم!!

فهذه الفوارق التي تُبين حقائقَ الرجالِ، والموازين التي توزن بها الأعمال، وإلاَّ فكلٌّ يدَّعي وصلاً لليلى...!!

فهذه الصفاتُ التي ذكرها الإمامُ القشيري، أفضلُ بكثير من المشيّ على الماء، أو الطيرِ في الهواء، أو طيِّ المسافات البعيدة، أو غيرِها من الخَوارق...!

لأَنه قد يكون صاحبُها ممكوراً به ومستدرَجاً!

فنسأله تعالىٰ أن يهدينا وأحبابنَا إلى سواء السبيل، وأن يُخلِّقنا بأخلاق الصالحين.

اهـ كتبه محمد

قوله: وترك الشهوات... إلخ:

أي وذلك لأَن أجلَّ الكرامةِ دوامُ الاستقامة، بل الاستقامةُ هي حقيقةُ الكرامة إذ غيرها قد يعقبها ندامة!!

وَالحَاصِل:

* أن التحقيقَ في معنى الولاية، أن يكونَ الوليُّ محفوظاً من المخالفات، ومُيَسَّراً للطاعات، معَ استعمالِ الخوفِ والرجاء كلاًّ في وقته، وعلى حسبه...!

* وأيُّ كرامةٍ يا تُرىٰ أعظمُ من الاستقامة؟ علىٰ أن الخارق للعادة، قد يكون لقصد قوة اليقين في ابتداء السير لربِّ العالمين علىٰ يد من تَخلَّق بأكمل الأَخلاق، وحاز قصبَ السِباق!

* أو لردّ مُنكِر جاحدٍ، أو معاند حائد، فإذا كمُل العبدُ في أحواله، وتمكَّن في مقامه ووصاله، ولم تدعُ دواعي الخارقِ علىٰ يده بمثل ما تقدم، لم يلتفت إليه، لتوالي الأَكمل منه من نعم مولاه عليه، ودوامِ إحسانه إليه!

* والمرادُ من العصمة من المعاصي أي: الحفظ عنها، إذ لا عصمةَ إلاَّ لنبـي أو رسولٍ لا لذوي الكرامات من بقية المؤمنين. . . !

اهـ شرح الرسالة ٤/ ١٥٩

* * *

الحديث عن رؤية الله تعالى

قال القشيري:

فإن قيل:

* فهل تجوزُ رؤيةُ البارىء ـ تبارك وتعالى ـ بالأبصار اليوم في الدنيا من جهة الكرامة؟

قلنا:

الأقوىٰ أنه لا يجوز لحصول الإجماعِ عليه. . . !

قال:

* ولقد سمعتُ الإمامَ أبا بكر بنَ فورك يحكي عن أبـي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ أنه قال:

* في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير. . . !

قلنا:

* قد نقل جماعةٌ الإجماع علىٰ أن رؤية الله تعالىٰ لا تحصل للأولياء في الدنيا لا لامتناعها، وإلَّا فهي ممكنة بالعقل عند أهل الحق. . . !

* وقد اختلف الصحابةُ ومَنْ بعدَهم في رؤية النبـي ﷺ ربَّه سبحانه وتعالىٰ ليلةَ الإسراء!!

* والمختـارُ عنـدَ الأكثـريـن أو الكثيـريـن: أنـه رأىٰ وهـو قـول

ابنِ عباس وقد بسطتُ مقاصدَ ذلك في أوائل شرح صحيح مسلم ـ رحمهُ الله ـ .

الشَّرحُ وَالتَّعليق

قوله: قد نقل جماعة الإجماع . . . إلخ:

قال في الشيبانية:

* وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنيا يَرَاهُ بعينِهِ
فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
* وَخَالَفَ كُتْبَ اللّهِ وَالرُّسْلَ كُلَّهَا
وَزَاغَ عنِ الشرعِ الشّرِيفِ وَأَبْعدا

أقول:

* لقد تعرضت في كتابي سمير المؤمنين، الطبعة الثانية عشرة ص ١٩٦ لحكم الرؤيا في الدنيا والجنة بشكل موجز ومفيد، والإمام النووي قد أشبع هذا الموضوع إشباعاً جيداً، وأعطاه حقه إعطاء وافياً في شرحه على مسلم كما ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ . اهـ.

* * *

هَلْ تُسْلَبُ ٱلْوِلَايَةُ؟

قال القشيري:

فإن قيل:

* هل يجوزُ أن يكونَ وليّاً في الحال ثم تتغير عاقبته؟

قلنا:

* مَنْ جعل ــ من شرط الولاية ــ حُسْنَ الموافاةِ لا يُجوِّز ذلك.

ومن قال:

* إنه في الحال مؤمنٌ على الحقيقة، وإن جاز أن يتغير حالُهُ لا يبعدُ أن يكون ولياً في الحال صِدِّيقاً ثم يتغير...

قال:

* وهذا الذي نختاره ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي، أن يعلمَ أنه مأمونُ العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبتُه، فتُلحق هذه المسألة بما ذكرناه مِن أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي[1].

أما الكراماتُ:

* فتقدمَ بيانُ حدِّها[2].

---

(١) انظر في ص ٣٣١ من هذا الكتاب.

(٢) انظر في ص ٢٩١ من هذا الكتاب.

وأما المواهبُ:

* فجمع موهبةٍ وهي أمر ليس بخارق للعادة، ولكنه قليلٌ مستبعَد في العادة، يتميز به بعضُ الناس، ولا يختص ذلك بالأَولياء؛ بل يكون لهم ولغيرهم...

* وأنا أذكر في هذا الباب جُملاً من الكرامات والمواهب المستحسنةِ إن شاء الله تعالى ...

وقال الله تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وقال الله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

أخبرنا شيخُنا الشيخُ الإمامُ الصالحُ القاضي أبو محمدٍ عبدُ الرحمٰن ابنُ الشيخ الإمام الصالح أبي عمر محمد بنِ أحمدَ بن قدامة **قال:**

* **حدثنا** أبو جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد **قال:**

* **حدثنا** أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي **قال:**

* **حدثنا** أبو عامر محمودُ بنُ القاسم بنِ محمد الأَزْدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي وأبو نصر عبد العزيز بن عمر الرفاني!!

قال:

* **حدثنا** أبو محمد عبدُ الجبار بنُ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ الجراح الجراحي...!

قَال :

* حدثنا أبو العبَّاس محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محبوب المحبوبـي!!

قَال :

* حدثنا الإمامُ أبو عيسى الترمذي قَال :

* حدثنا عمر بنُ حفص الشيباني . . .

* حدثنا عبدُ الله بنُ وهبٍ عن عَمْرِو بنِ الحارثِ عن دراج عن أبـي الهيثم عن أبـي سعيدِ الخدري - رضيَ اللهُ تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ قَال :

« لَنْ يَشْبَعَ المُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةُ ».

قَال الترمذي : حديث حسن . . .

* وبهذا الإسناد إلى الترمذي قَال :

* حدثنا عليّ بنُ حجرٍ قَال :

حدثنا مسلمةُ بنُ عمرو قَال :

* كان عمرُ بنُ هانىءٍ يُصلي كلَّ يومٍ ألفَ سجدة يعني ألفَ ركعةٍ ويسبحُ مائةَ ألفِ تسبيحةٍ[1] .

* * *

(١) هذه كرامة للشيخ، ويُقال : إنه من طي الزمن .

أَبُو مُسْلِم الْخَوْلَانِيّ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ

أخبرنا شيخُنا أبو البقاء الحافظُ قَال: حدثنا أبو محمدٍ، حدثنا أبو بكر، حدثنا الخطيبُ، حدثنا الحسنُ بنُ محمد البزارُ. . . !

* حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ الآدمي، حدثنا محمدُ بنُ موسى الشطوبـي!

* حدثنا هارونُ بنُ معروفٍ، حدثنا ضمرةُ عن عثمانَ عن عطاء عن أبيه قَال:

قالت امرأة أبـي مسلم يعني الخَوْلاني:

* يا أبا مسلم ليس لنا دقيقٌ قَال: عندكِ شيءٌ؟ قالت: درهمٌ بعنا به غزلاً. . . !

قَال: أبغينيه أي أعطينيه وهاتي الجِرَاب!!!

فدخل السوقَ فوقف علىٰ رجل يبيع الطعامَ فوقف عليه سائل!!.

وقَال:

* يا أبا مسلم تصدق عليَّ! فهرب منه وأتىٰ حانوتاً آخرَ، فتبعه السائل. . .

فقَال:

* تصدق عليَّ! فلما أضجره أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى

الجِراب فملأه من نحاتة النجارين مع التراب!!

* ثم أقبل إلى باب منزله فنقر البابَ، وقلبُهُ مرعوبٌ من أهله، فلما فتحتِ البابَ رمى بالجراب وذهب. . . !

* فلما فتحَتْهُ إذا هي بدقيق حُوَّارىٰ فعجنت وخبزت!!

* فلما ذهب من الليل الهَوِيُّ جاء أبو مسلم فنقر البابَ وقلبُه خائفٌ، فلما دخل وضعتْ بينَ يديه خِواناً وأرغفةً حوارَىٰ **فقال:**

* من أين لكم هذا؟ **فقالت:**

* يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئتَ به، فجعل يأكلُ ويبكي[(١)].

قلت: ما أنفسَ هذه الحكايةَ وأكثرَ فوائدَها!!

شرح المفردات:

* **قوله:** الجِرَاب بفتح الجيم وكسرها، لغتان الكسر أفصح. . . !

* **قوله:** الحُوَّارَى هو بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء وتخفيف الياء وهو الأشهر.

* **وقوله:** الهوي، هو بكسر الواو، وتشديد الياء. . . !

وأما الهاء فتفتح وتضم لغتان: الفتح أفصح وأشهر، هو قطعة في الليل قبل نحو ربعه أو ثلثه. . . !

* **وقوله:** خِواناً هو بضم الخاء، وكسرها لغتان الكسر أفصح وأشهر، وهو عجمي معرب وجمعه أخونة وخون.

---

(١) وهذه كرامة للشيخ **ويُقال**: إنه من قلب الأعيان.

سيرته:

وأما أبو مسلم صاحب هذه الكرامة:

* فاسمُه عبدُ الله بنُ ثُوَب بثاء مثلثة مضمومة، ثم واو مفتوحة مخففة، ثم باء موحدة **ويقال**:

* ابن ثواب **ويقال**: ابن أثوب **ويقال**: ابن عبدِ الله **ويقال**: ابن عوف!!

* **ويقال**: ابن يسلمَ **ويقال**: اسمه يعقوب بنُ عوف، والصحيح المشهور ما قدَّمناه!

* وهو من أهل اليمن سكن الشام بداريا بالقرية المعروفة بجانب دمشق...

* وكان من كبار التابعين، وعُبَّادِهم، وصالحيهم، وأهلِ الكرامات الظاهرات والأَحوال السنية المتظاهرات!

* وكان قد رحل إلىٰ رسول الله ﷺ ليصحبه فتوفي النبيُّ ﷺ وهو في الطريق!

* فجاء ولقي أبا بكر الصديق وعمرَ وغيرَهما من الصحابة...

من كرامات أبي مسلم رضي الله عنه:

مشيه على الماء:

* ومن نفائس كراماتِه ما رواه الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل في كتاب الزهد له:

* أن أبا مُسْلم الخولاني مرَّ بدجلةَ وهي ترمي الخشبَ من برها فمشىٰ على الماء!

* ثم التفت إلىٰ أصحابه فقال:

* هل تفقدون من متاعكم شيئاً فتدعون اللّٰهَ عز وجل؟

* ورواه من طريق آخر وفيه أنه وقف علىٰ دجلة، ثم حَمِد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه!

* ثم ذكر آلاءه وذكر سَيْرَ بني إسرائيل في البحر، ثم نهَرَ دابته فانطلقت تخوض في دجلة وأتبعها الناسُ حتَّى قطعها الناسُ.

حديث الغُراب له:

* وبإسناد الإمام أحمد ــ أيضاً ــ أن أبا مسلمٍ كان بأرضِ الروم فبعث الوالي سريّةً، ووقَّت لهم وقتاً!!

* فأبطأوا عن الوقت، فاهتم أبو مسلم بإبطائهم، فبينما هو يتوضّأ علىٰ شطِّ نهر وهو يُحدث نفسَه في أمرهم!!

* إذ وقع غرابٌ علىٰ شجرة مقابلةٍ **فقَال**: يا أبا مسلم أُهْمِمْتَ بأمر السريّة؟**فقَال**: أجل..

فقَال:

* لا تهتم فإنهم قد غنموا وسيَرِدُونَ عليكم يومَ كذا في وقت كذا.

قال له أبو مسلم:

* مَنْ أنتَ يرحمُك الله؟ **فقَال:**

* أنا مُفرِّحُ قلوبِ المؤمنين، فجاء القومُ في الوقت الذي ذَكَر علىٰ ما ذُكِرَ.

أبو مسلم والمائدة:

* وبإسنادِ أحمدَ أنَّ أبا مسلم كان جالساً معَ أصحابه في أرض الروم يُحَدِّثُهم!!

فَقَالُوا:

يا أبا مسلم قد اشتهينا اللحمَ، فلو دعوتَ الله تعالىٰ فرزقنافقَال:

* اللَّهم قد سمعتَ قولَهم وأنتَ ـ علىٰ ما سألوا ـ قادرٌ!!

* فما كان إلاَّ أن سمعوا صياحَ العسكر، فإذا بظبيٍ قد أقبلَ حتَّى مرَّ بأصحابِ أبي مسلمٍ فوثبوا عليه فأخذوه...

أبو مسلم يستسقي:

* وبإسنادِ أحمدَ أنَّ الناسَ قُحِطُوا علىٰ عهد معاويةَ فخرج يستسقي بهم، فلما وَصلُوا إلى المصلىٰ قال معاويةُ لأَبي مسلم:

* قد ترىٰ ما حلَّ بالناس فادعُ اللّـهَ تعالى قَال:

* أفعلُ، عليَّ بعضبٍ[1] شرطٍ، فقام وعليه برنس فكشف البرنسَ عن رأسه ثم رفع يديه ثم قَال:

* اللَّهم إنَّا منك نَستمطرُ، وقد جئتُ إليك بذنوبي فلا تخيبني!!

فما انصرفوا حتَّى سُقوافقَالأبو مسلم:

* اللَّهم إنَّ معاويةَ أقامني مُقام سُمعةٍ، فإن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك!!

---

(١) هي ناقة عضباء مشقوقة الأُذن، وهي ـ أيضاً ـ لقبُ ناقةِ الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، ولكنها لم تكن مشقوقةَ الأُذن.

* وكان ذلك يومَ الخميس، فمات أبو مسلم يومَ الخميس المقبَل ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ !!

أبو مسلم والنار:

* وبإسناد الحافظِ إلىٰ طاهر السِّلَفي، عن شرحبيل بنِ مسلم. . . :

* أن الأَسود بنَ قيس العنسي الكذاب لمَّا ادَّعى النبوَّةَ باليمن بعث إلىٰ أبي مسلم الخولاني. . . !

فلما جاءه قَالَ: أتشهد أنِّي رسولُ الله؟

* قَالَ: ما أسمعُ!

قَالَ: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

* قَالَ: نعم.

فردد ذلك عليه!!

فأمر بنار عظيمة فأُجِّجت، فألْقَىٰ فيها أبا مسلم فلم تضرَّه.

* فقيل:

أنْفِه عنك وإلاّ أفسدَ عليك مَنْ تَبعكَ. . . !

* فأمره بالرحيل. . . !

أبو مسلم وعمر:

* فأتى أبو مسلم المدينةَ وقد توفِّي رسولُ الله ﷺ واستُخْلِفَ أبو بكر ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ .

* فأناخ أبو مسلم راحلتَه بباب المسجد فقام يصلِّي إلىٰ سارية من سواري المسجد فبصر به عمر فقام إليه!

فقَال: مَنِ الرجلُ؟

* **فقَال:** مِنْ أهل اليمن!

قَال: فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟

* **قَال:** ذلك عبد الله بنُ ثوب!

قَال: نشدتك اللّٰهَ أنت هو؟

* **قَال:** اللَّهم نعم.

فاعتنقه ثم بكىٰ، ثم ذهب به حتَّى أجلسه فيما بينه وبين أبـي بكر **فقَال:**

* الحمدُ لله الذي لم يُمتني، حتَّى أرانيَ في أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِلَ به كما فعل بإبراهيمَ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام** خليلِ الرحمٰـن. . . !

قلتُ:

هذا من أجلِّ الكراماتِ، وأنفسِ الأَحوال الباهرات. . . !

وقوله: لا أسمعُ:

يحتمل وجهين:

* ١ ــ أحدهما معناه: لا أقبل. . . !

* ٢ ــ والثاني: أنه علىٰ ظاهره وأن الله تعالىٰ سدَّ مَسامعَه عن هذا الباطل الشديد الفحش!!

* وقد اقتصر بعضُ الأَئمة على الاحتمال الأَول، والاحتمالُ الثاني عندي أظهر.

أُبو مُسلِم الخَوْلَانِيّ :

* هو سيّد التابعين، وزاهدُ العصر عبدُ الله بنُ ثُوَب الداراني!

* أسلم في أيام النبي ﷺ، وقدِمَ من اليمن إلى المدينة في خلافة الصدّيق، وحدّث عن الصحابة. . . !

* وكان مِنْ خبره في اليمن أن قبض عليه الأَسودُ العنسي مدّعي النبوةِ، وكان يُنكر عليه!

* فألقاه في النار فلم تضرَّه، ونجّاه الله كما نجّى الخليلَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلام.

قال عنه كعبٌ:

* هذا حكيمُ هذهِ الأمّة!

وقال حميد الطويل:

* جاز أبو مسلم بجيوش المسلمين فوقَ نهرِ دجلةَ لقتال الروم!

* وكان مجابَ الدعوةِ إذا استسقىٰ سُقِي!

* مات شهيداً بأرض الروم سنة اثنتين وستين، وقبره بداريّا.

مصادرُ الترجمة:

* طبقاتُ ابنِ سعد: ٧/ ٤٤٨، التاريخُ الكبير للبخاري: ٥/ ٥٨، حليةُ الأَولياء: ٢/ ٢٢، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٧.

وقوله: أبغينيه:

يقال:

* بَغَىٰ ضالته، يبغيها بُغاء، أي طلبها، وبغى له وأبغاه الشيء طلبه له!!

قَالَ اللَّه تعَالَىٰ:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

قالَ اللَّهُ تعالىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الكهف: ٦٤].

والهمزة في أبغينه للقطع.

* والذي حملني علىٰ كتب هذه الكلمةِ اختلافُ الطبعات اللاتي قابلتها على طبعتنا هذه فيها... اهـ محمد

وكان أبو مسلم ـ رضيَ اللَّهُ تعالىٰ عنه ـ.

* علىٰ جانب عظيم كبير من العبادة...

* حتَّى لو قيل له:

إنَّ جهنَّم لتُسعَّر...!

* لما استطاع أن يزيد في عمله شيئاً...!

وكان ـ رضيَ اللَّهُ عَنْه ـ يترك الأَكلَ **ويقول:**

* الخيلُ إنما تجري وهي ضُمْر.

وكان يقول:

* مَنْ شدَّ رجليه في الصلاة، ثبَّت الله رجليه على الصراط...!

اهـ من الطبقات الكبرى ١/ ٢٥

* * *

عَبدُ الواحِدِ بنُ زَيدٍ

وقال أحمد بنُ أبـي الحواري في كتاب الزهد له:

* حدَّثني سليمان: كان عبدُ الواحد بنُ زيد ـ رضي الله تعالى عنه ـ أصابه الفالج!!

* فسأل اللّٰهَ عزَّ وجلَّ أن يُطلقه في أوقات الوضوء، فكان إذا كان وقت الوضوء قام من سريره، حتَّى يذهبَ فيتوضأ، فإذا عاد إلىٰ سريره عاد إليه الفالج. والله أعلم.

الشَرحُ وَالتَعلِيقُ

عبد الواحد بن زيد:

هو المحدّث الزاهدُ القدوةُ شيخُ العُبّاد أبو عُبَيْدةَ البصري...!

قال مسمع بنُ عاصم:

* شهدتُ عبدَ الواحد يعظ، فمات في المجلس أربعةٌ...!

وعن محمد بن عبد الله الخزاعي قال:

* صلّى عبدُ الواحد بنُ زيد الصبحَ بوضوء العتمة أربعين سنة.

توفي بعد سنة خمسين ومائة.

مصادر الترجمة:

* التاريخُ الكبير: ٦/ ٦٢، حلية الأولياء: ٦/ ١٥٥، تاريخ الإسلام: ٦/ ٢٤٣، السير: ٧/ ١٧٨.

* * *

سهل بن عبد الله

وروينا بإسنادنا السابق للقشيري ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ قال: سمعت أبا حاتم السجستاني **يقول:**

* سمعتُ أبا نصرٍ السراج **يقول:**

* دخلنا تُسْترَ فرأينا في قصر سهل بنِ عبدِ الله ـ رحمهُ اللّه ـ بيتاً كان الناس يسمونه بيت السباع. . . !

* فسألنا الناسَ عن ذلك؟

فَقَالُوا:

* كان السباعُ تجيء إلىٰ سهل، فكان يُدخلها هذا البيتَ، ويُضيفها ويُطعمها اللحمَ ثم يخليها. . . !

قال أبو نصر:

* ورأيت أهلَ تُسترٍ كلَّهم متفقين علىٰ هذا وهم الجمعُ الكثير.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

سَهْل بن عبد الله:

* هو أبو محمد سهلُ بنُ عبدِ الله بنِ يونسَ بنِ عيسى بنِ عبد الله بن رفيع التُسْتُري الصالح!

* لم يكن له في وقته نظيرٌ في المعاملات والورع. . .

* وكان صاحبَ كراماتٍ، ولقي الشيخَ ذا النون المصري بمكة.

* وكان له اجتهادٌ وافر، ورياضة عظيمة.

* ولد سنة ٢٠٠، وقيل: ٢١١هـ، وتوفي سنة ٢٨٣ ـ رَحِمَهُ اللَّه تَعالىٰ ـ.

* نشأ سهلٌ من نعومة أظفاره نشأةً صالحة.

* وتربى ـ في بيت خاله محمد بن سوار الذي كان إماماً من أئمة التقوى والصلاح والزهد ـ تربيةً إسلاميةً عاليةً...

قال سهل:

* كنتُ وأنا ابنُ ثلاثِ سنينَ، أقومُ في الليل فأنظر إلىٰ صلاة خالي محمدِ بنِ سوار!!

فقال لي يوماً:

* يا سهلُ ألا تذكرُ اللّٰهَ الذي خلقك فسواك فعدلك؟

فقلت:

* وكيف أذكرُه؟

قال:

قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاثَ مراتٍ:

* الله معي،

* الله ناظري،

* الله شاهدي!

فقلت ذلك لياليَ ثم أعلمته!

فقال:

* قل في كل ليلة سبعَ مراتٍ!

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته!

فقَال:

* قل في كل ليلة إحدىٰ عشر مرةً.

فقلته، فوقع في قلبـي حلاوتُه.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي:

* يا سهل احفظ ما علمتَ ودُمْ عليه إلى أن تدخلَ القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة!!

قال سهل:

* فلم أزل علىٰ ذلك سنتين فوجدتُ حلاوةً في سري!!

ثم قال لي خالي يوماً:

* يا سهل من كان اللّـٰهُ معه، وناظراً إليه، وشاهدَه أيعصيه؟

إياك والمعصية!!

أُقول:

وقد شرحت سيرته الحميدة وذكره العطر في كتابـي «الحب لخالد» ط ٧ ص ٨٣.

وتُسْتر: كجندب هو أول سور وضع بعد الطوفان.

انظر: القاموس المحيط

* * *

أَبُو الخَيرِ التِّينَاتِيّ

* وبه إلى القشيري قال : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ اليمني **يقول** : سمعتُ عبدَ الله بنَ علي الصوفي **يقول** : سمعتُ حمزةَ بنَ عبدِ الله العلوي **يقول** :

* دخلتُ علىٰ أبـي الخير التيناتي ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ وكنتُ اعتقدتُ في نفسي أن أُسَلِّم عليه وأخرجَ، ولا آكلَ عنده طعاماً!

* فلما خرجتُ من عنده ومشيتُ قدراً، وإذا به أتىٰ خلفي وقد حمل طبقاً عليه طعامٌ **وقال** :

* يا فتى كُلْ هذا فقد خرجتَ الساعةَ من اعتقادك. . . !

قال : وأبو الخير هذا مشهور بالكرامات. . . !

مَتىٰ يَخافُنا الأَسَدُ ؟:

حُكي عن إبراهيمَ الرقي **قال** : قصدتُه مسلِّماً عليه فصلَّىٰ صلاةَ المغربِ فلم يقرأ الفاتحةَ مستوياً، فقلت في نفسي :

ضاعتْ سَفْرتي!

* فلما سلَّمتُ خرجتُ للطهارة فقصدني السبعُ فعدتُ إليه **وقلت** :

* إن الأَسد قصدني .

فخرج وصاح على الأَسد وقال:

* ألم أقل لك لا تتعرضْ لضيفاني؟

* فتنحىٰ وتطهرتُ.

فلمّا رجعتُ قال:

* اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتمُ الأَسدَ، واشتغلنا بتقويم القلوبِ فخافنا الأَسدُ. . . !

قلتُ:

* قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء، ولا فقهَ عنده أنَّ صلاةَ أبي الخير هذه كانت فاسدةً لقوله لم يقرأ الفاتحة مستوياً!!

* وهذه جهالةٌ وغباوة ممن يتوهم ذلك وجسارةٌ منه إلىٰ إرسال الظنون في أولياء الرحمٰن. . . !

* فليحذرِ العاقلُ من التعرض لشيءٍ من ذلك؛ بل حقه إذا لم يفهم حكمتَهم المستفادَة، ولطائفَهم المستجادَة، أن يتفهمها ممن يَعرفها. . . !

* وكلُّ شيءٍ رأيتَه من هذا النوع مما يَتوهمُ مَنْ لا تحقيقَ عنده أنه مخالفٌ ليس بمخالف؛ بل يجب تأويلُ أفعالِ أولياءِ الله تعالىٰ. . . !

وجوابُ هذا مِنْ ثلاثة أوجهٍ:

* ١ ــ الأوّل: لا تفسد الصلاة بالاتفاق!

* ٢ ــ الثاني: أنه مغلوبٌ علىٰ ذلك بخلل في لسانه، فتصحُ صلاتُه بالاتفاق.

* ٣ ـ **الثالث:** أنه لو لم يكن له عذر، فقراءةُ الفاتحةِ ليست بمتعينةً عندَ أبـي حنيفة، وطائفةٍ من العلماء، ولا يلزم هذا الوليَّ أن يتقيدَ بمذهب مَنْ أوجبها.

ورأيتُه بخط الشيخ ـ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنه ـ .

الشرحُ والتعليقُ

أبو الخير التيناتي:

* هو حماد صاحبُ الأَحوالِ والكراماتِ، العابدُ الأَقطع، كان مغربيّاً أسودَ، سكن تِيناتِ، من أعمال حلب!!

* صحب أبا عبدِ الله بنَ الجلاّء، وسكن جبل لبنان مدةً!!

قال أبو القاسم القشيري:

* كان كبيرَ الشأن، له كراماتٌ وفراسةٌ حادة...!

توفي سنة سبع وأربعين وثلاثِ مائة!!

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الصوفية: ٣٧٠، حلية الأَولياء: ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية: ٢٦، طبقات الشعراني: ١/ ١٢٨، السير: ١٦/ ٢٢.

أُقول:

فالوليُّ لا يكون وليّاً إلاَّ بدقة المتابعةِ، وملازمةِ السنةِ، والعزوفِ عن المخالفة معَ العلم الصحيح الموافق لمصدرٍ صحيح!

* فمقامُ الولاية لا يُنال عن غير هذا!

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

نعم؛ إن هناك طائفةً من الأَولياء، هم علىٰ قلة ونُدر، قد غلب عليهم أحوالٌ صيَّرتهم في عِداد المجاذيبِ. . . !

* فخرجوا في بعض الأُمور من قيود العلم والشرع. . . !

* فمثلُ هؤلاءِ لا نأخذُ منهم، ولا نُقِرهم علىٰ خطئهم، أو نجاريهم علىٰ انحرافهم، متتلمذين لهم!

* وإلاَّ تعطَّلتِ الأَحكامُ، وتقدم لها الدخلاءُ، واختلط الحابل بالنابل، والصادق بغير الصادق. . . !

* إن هؤلاء المجاذيبَ، نُجلهم ونُكرمهم، معَ البعدِ عنهم، وعدمِ طلبِ الدعاء منهم!

* ونُنكر عليهم ما هو مخالفٌ للشرع!!

* فهذا ما استفدناه من أشياخنا جزاهم الله عنَّا خيراً، وإلاَّ ضاع الإِنسانُ، وضلَّ الطريقَ وتاه. . . !

* فإمامنا النووي ـ رَضِيَ اللَّه تعالىٰ عنه ـ ما حملني علىٰ خدمة كتابه هذا وغيره إلاَّ حبي إياه، وإجلالي لمكانه المنيف، لأَنه الأسوةُ الحسنةُ والقدوةُ الصالحة لكل طالب وراغب!

* فهو أحرصُ الناس علىٰ ملازمة الإِتباع، والخوف من الابتداع!!

* فالاستقامةُ خيرٌ من ألف كرامةٍ، ولا سيما ونحن في زمن طُمِستْ فيه البصائر، وعميتِ القلوبُ، وغلب فيه الإِنكارُ والجحودُ علىٰ ما لا يحتاج إلىٰ تأويل، فكيف بما يحتاج إلى تأويل!!

* فزمنُ الشيخِ غيرُ زماننا هذا، لأَن فيه ردَّةً ويا لها من ردَّة قد اجتاحت الأَخضرَ واليابس، وطعنت العقيدة في الصميم. . . !

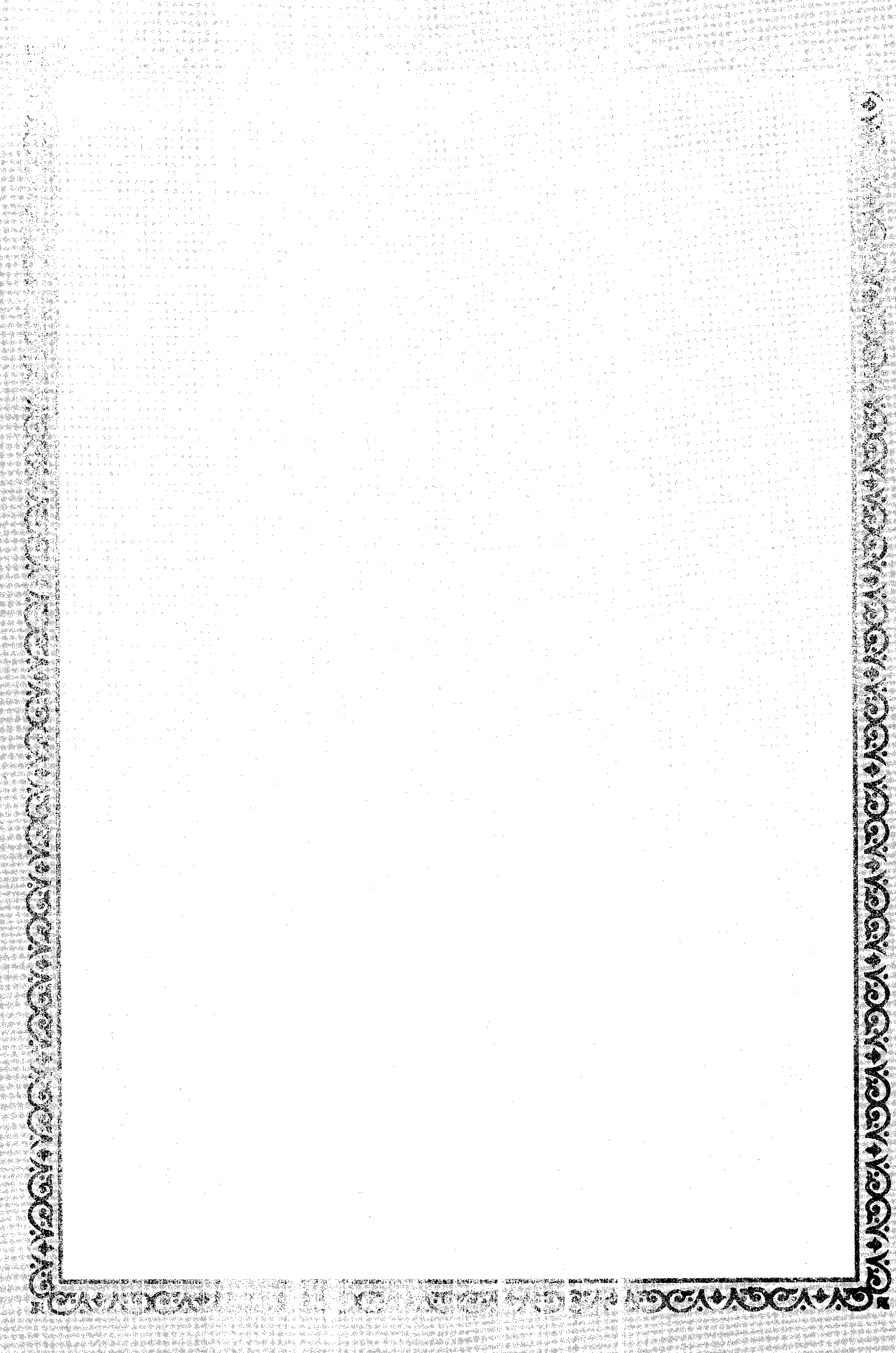
* فنسأل الله تعالىٰ أن يَهديَنا إلى طريق الصوابَ، ويُوفقنا للأَدبَ مع الأَولياء والأَحباب، ويُفهمَنا ما خفي عن نظرنا القاصر مما برز منهم. . . !

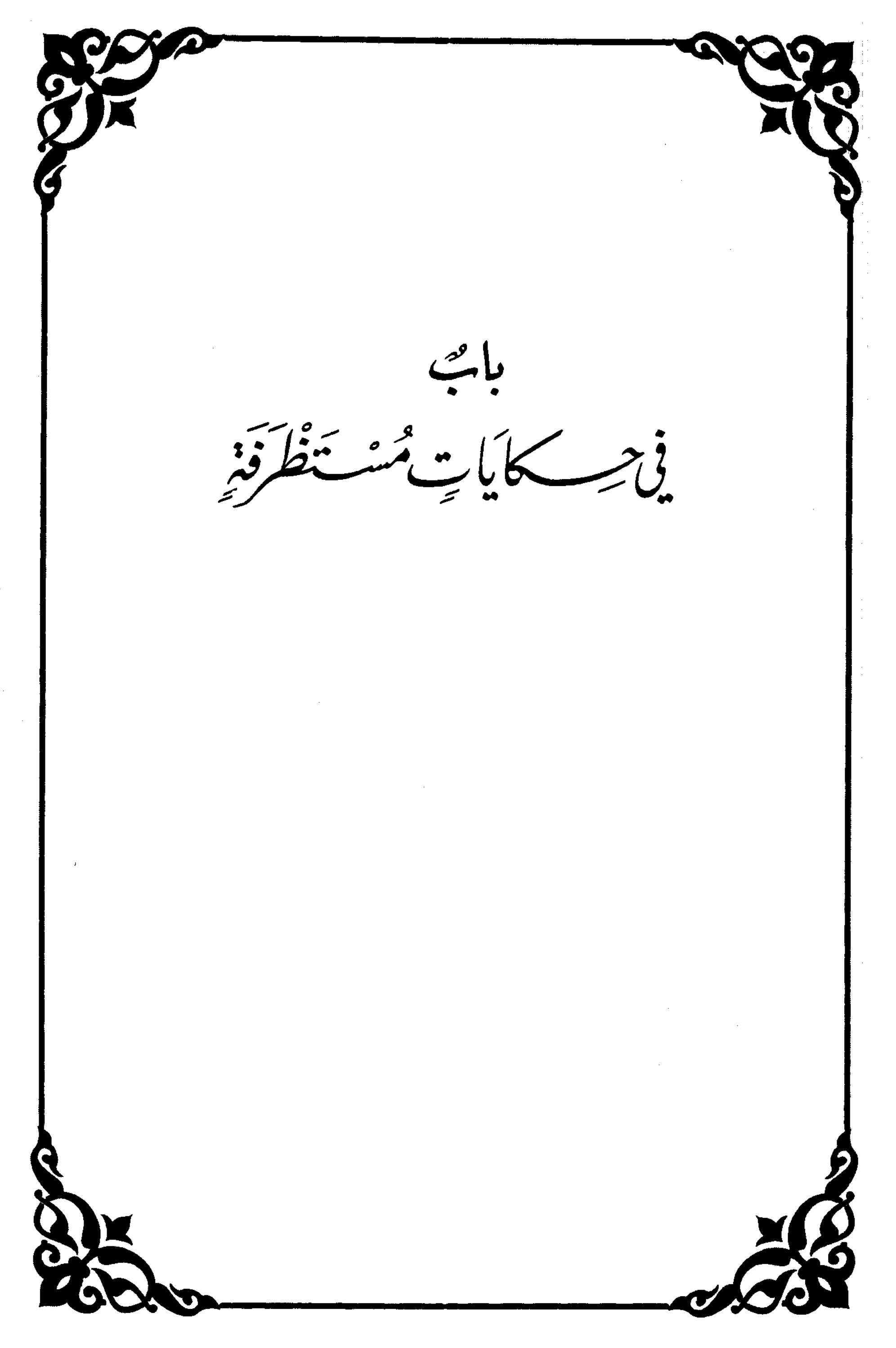
* ولكن من رحمة الله بنا سترهم عنا، وحجبهم عن أبصارنا، وإلاَّ كنا علىٰ خطر عظيم. . .

* فمن عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب. الحديث. . . !

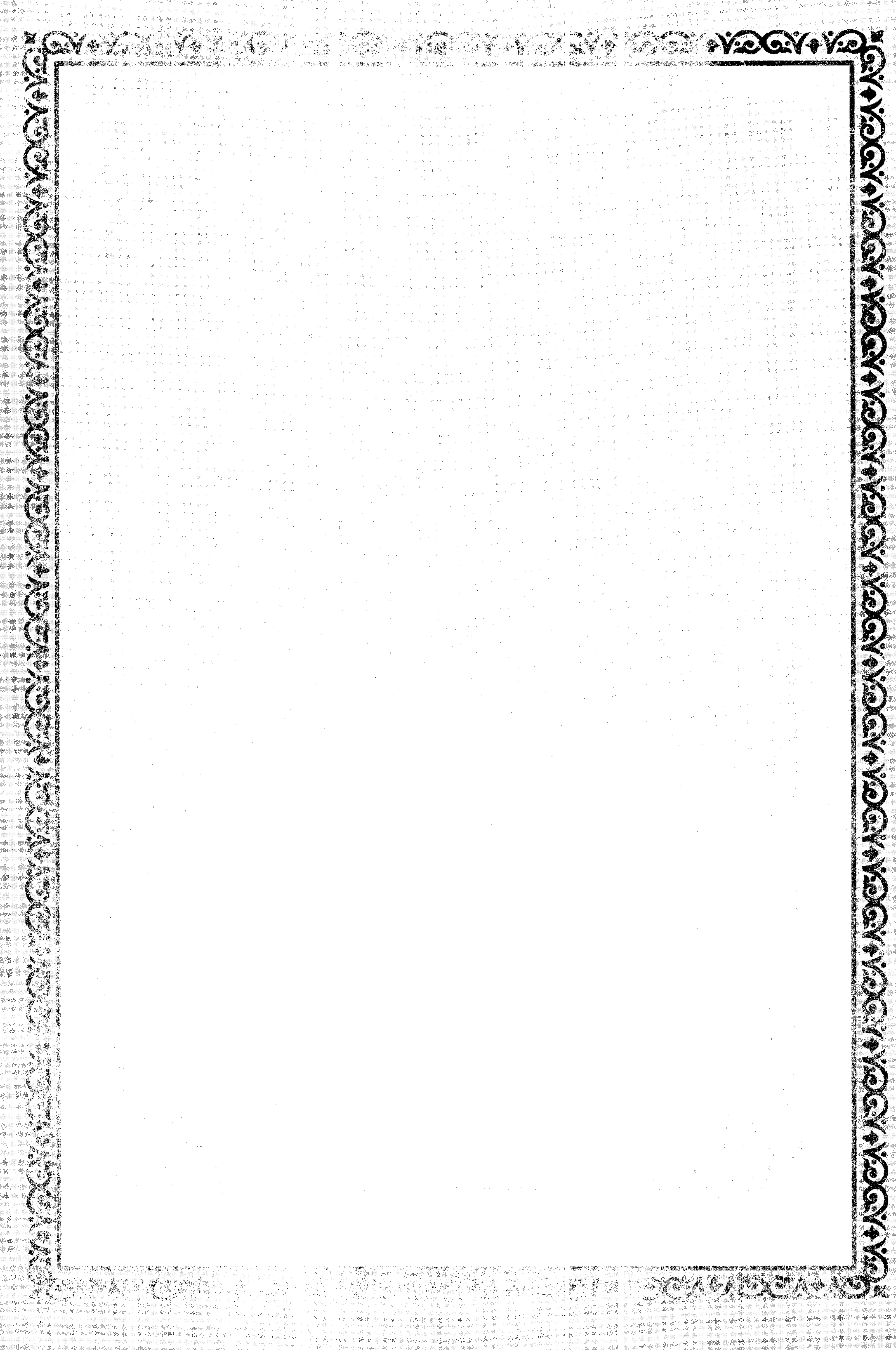
كتبه محمد عُفِيَ عنه

* * *





بابٌ
في حِكايَاتٍ مُسْتَطْرَفَةٍ



بابٌ
في حكاياتٍ مُسْتَظْرَفَةٍ

المقدّمة

* قد جمعتُ كراماتٍ لبعض الرجال، وقد جعلتُ لكل واحد منهم مطلباً، ليكونَ أسهلَ تناولاً، وأيسرَ مراجعةً، وأوقعَ في نفس القارىء[1].

* اعلم أن هذا البابَ وإن لم يكن من أبواب الزهد، فهو مما تستريح النفسُ به إذا ملَّت!!

* وكان الزاهدُ قد يحتاج إلىٰ أحاديثَ غيرِه مما لا يُؤثَرُ في الزهد ولا يُفهم كثيراً!!

* فربما تحدثوا في أمور الناس، وانجر بهم الكلامُ إلى الحديث في حرام من غيبة ونحوِها!

* فإذا اشتغلوا بهذا، انبعثت نفوسُهم لسماعه، واشتغلوا به عن غيره من القبيح!!

* ومعَ هذا فلا تخلو هذه الحكاياتُ التي أذكرها ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ من فوائدَ ينتفع بها طالبُ الآخرة وبالله التوفيق . . . !

* * *

(١) هذه زيادة عن الأَصل فانتبه!

سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ

روِّينا عن أبـي حاتم الرازي الإمام أحدِ أركان الحديثِ قال:

* حضـرتُ مجلـسَ سليمـانَ بـنِ حـرب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ ببغداد فحزروا مَنْ حضر مجلسَه أربعينَ ألفَ رجلٍ!!

* وكان مجلسه عندَ قصر المأمون...

فبُني له شِبهُ منبرٍ وصعِدَ سليمانُ عليه!!

* وكان المأمون فوقَ قصره وقد فتح بابَ القصر وأرسل ستراً وهو خلفه يكتب ما يُملي سليمانُ...!!

قال أبو حاتم:

* لا يُسأل عن حديثٍ إلاَّ حدَّث مَنْ سمعه...!

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبِ بْنِ بَجِيل:

هو الإمامُ الحافظُ الثقة، شيخُ الإسلام، أبو أيوب الواشجي البصري، قاضي مكّة، ولد سنة أربعين ومائة...!

* حدّث عن شُعبةَ، وحماد بنِ سلمةَ، وعنه البخاري، وأبو داود، والحميدي، وأحمد بن حنبل!!

قال أبو حاتم:

* هو إمام من الأَئمة، كان لا يُدلّس، ويتكلم في الرجال، وفي الفقه!

* وقد ظهر له نحوٌ من عشرة آلاف حديث، وما رأيتُ في يده كتاباً قط...!

* كان مجلسه عند قصر المأمون، فبنى له شبه منبرٍ، وحزروا مجلَسه أربعين ألفَ رجل...!

* ولي قضاءَ مكّةَ، ثم رجعَ إلى البصرة ومات بها سنةَ أربعٍ وعشرين ومائتين...!

مصادر الترجمة:

طبقاتُ ابن سعد: ٧/ ٣٠٠، التاريخ الكبير للبخاري: ٤/ ٨، تاريخ بغداد: ٩/ ٣٣، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٣٠.

* * *

القَاضِي أَبُو عَبْدِ اللهِ المَحَامِلِيُّ

* وذكر أبو سعيد السمعاني أنه كان يحضر مجلسَ إملاءِ الإمام القاضي أبو عبد الله المحاملي عشرةُ آلافِ رجل.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

القَاضِيَ أَبُو عَبْدِ اللهِ المحَامِلِيُّ:

* هو الإمام العلامة المحدّثُ الثقةُ مُسنِدُ الوقتِ أبو عبدِ الله الحسين بنِ إسماعيل بنِ محمد الضبـي البغدادي!!

* وُلد سنةَ خمس وثلاثين ومائتين، وطلب العلمَ حتَّى صار مسنِدَ أهلِ العراق، وتصدّر للإفادة والفُتيا ستّين سنة!!

* سمع من أبـي حُذافة السهمي صاحبِ مالك، ومِنْ عَمْرو بنِ علي الفلاّس، وحدّث عنه دَعْلَجُ بنُ أحمدَ، والطبراني، والدارقطني وخلق!!

قال عنه الخطيب:

* كان فاضلاً ديِّناً، ولي قضاءَ الكوفة ستين سنة...!

وقال الداوودي:

* كان يحضر مجلس المحاملي عشرةُ آلافِ رجل: توفي سنةَ ثلاثين وثلاثمائة.

مصادر ترجمته:

* تاريخ بغداد: ٨/ ١٩، تذكرة الحفاظ: ٣/ ٨٢٤، البداية والنهاية: ١١/ ٢٠٣، سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٥٨.

* * *

شِهَابُ الدِّينِ السُّهْرَوَرْدِيُّ وَجَمَالُ الدِّينِ

* رأيت بخط الشيخ ـ رحمهُ الله ـ في مواضعَ مفرَّقةٍ، سمعتُ شيخَنا وسيدنا الإمام الحافظ زينَ الدين ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ مرتين آخرُهما يومَ الأَربعاء الثالث من شهر رمضان المعظم، سنة سبع وخمسين وستمائة!!

يقول:

* وعظ الشيخُ الجليلُ شهابُ الدين السُّهروردي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ بدمشق حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ وَصَانَهَا!؟

* فقرأ القرآنَ الأَعزُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمد الممدوح بن علي الربيني بن عبد الله الجواد بن جعفر!

* فتواجد الشيخ وخلع أثوابَه، فاشتراها منهم جمالُ الدِّين للتبرك بخمسمائة درهم...!

* وكان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لا يُضيع من أوقاته شيئاً؛ بل لا يزال مشتغلاً بالصلاة، والقراءة، والذكر ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ...!

* وكان شيخُنا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لَبِسَ منه خرقة وصحبه مدةً في بغداد بالرباط ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا ـ...!

* سمعت شيخَنا وسيدنا الإمامَ الصالحَ العارفَ بقية شيوخ الطريقة شرفَ الدين أبا إسماعيل محمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ صري بن

هرماس بن نجار بن عقيل بن جابر بن حكام بن حكمة بن يوسف بن جعفر الطيار بن أبـي طالب!

* وهذا نسبه أملانيه يومَ الجمعة الرابعَ عشرَ من شهر رمضان سنةَ تسعٍ وخمسين وستمائة بالمدرسة الرواحية بدمشق حماها الله تعالى وصانها !؟ سمعته يقول عن الشيخ الفقيه الإمام الصالح محمد البرسي. . . !

قال: ننظر الحافظَ عبدَ الغني ونحن جماعةٌ فيهم يُفتون.

* فلما وضع رجله على درجة الكرسي قلت في نفسي:

* بأي شيء فضَّلك الله علينا؟ فالتفت إليَّ وقال:

يا مُدْبرُ!! مَن خَدَمَ خُدِم، مَنْ خدم خُدِم، مَن خَدَمَ خُدِمَ فقلت: آمنت بالله.

الشرحُ والتعليقُ

شهاب الدين السهروردي:

* هو الإمام العالمُ المفتي الزاهد أبو النجيب عبدُ القاهر بنُ عبدِ الله بنِ محمد بن عَمُّويَه، وينتسب إلى أبـي بكر الصديق ــ رضي الله تعالى عنه ــ. كانَ شيخَ بغداد، شافعياً صوفياً واعظاً. . . !

* ولد بسُهْرَوَرْد سنة تسعين وأربعمائة، وقدمَ بغداد، وسمع من علمائها، وتفقه بالنظامية!!

* ثم آثر الانقطاع وتجرَّد، وسلك طريقاً وعراً في المجاهدة، ثم شرع في دعاء الخلق إلى الله تعالى. . . !

* فأقبل الناسُ عليه، وصار له قَبولٌ عظيم، وأفلح بسببه أمَّةٌ صاروا سُرُجاً، وبنىٰ مدرسة ودرّسَ وأفتىٰ. . . !

* توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ودفن بالنِظامية.

مصادر ترجمته:

الأَنساب: ٧/ ١٩٧، المنتظم: ١٠/ ٢٢٥، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ١٧٣، طبقات الشعراني ١/ ٤٠ ب، السير: ٢٠/ ٤٧٥.

قوله: لبس منه خرقة... إلخ:

* فلُبسُ الخرقةِ ـ والله أعلم ـ كنايةٌ عن الانتساب لهذه الطائفة والدخولِ في سلكهم، ويا لها من غبطة وشرف!!

* فالإمام النووي أكرمه الله بخدمة هؤلاء الفقرآء، أعني مشايخ التزكية ـ رضي الله عنهم ـ، ونفعنا بهم.

أو نترك اللباس على ظاهره من إزار أو ردآء. اهـ.

قوله: يفتون:

أي بلغوا في العلم مقام الإفتاء...!

وقوله: قلت في نفسي... فالتفت إليَّ وقال... إلخ!

هذا الكشف قد ورد عن كثير من الأَولياء وهو: نور من نور الله تعالى يقذفه الله في قلوب مَن يُحب من أحبابه، فيرون البعيد قريباً، والخفي جليّاً...!

عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ينادي قائدَه الكبير وهو على منبر الجمعة، بعدما قطع حديثه:

* يا سارِيَةُ الجبلَ، أي اعتصم من عدوك بالجبل، فوقع صوتُ عمر في أذن سارية، فنفذ ما أمره...!

والقصةُ مشهورةٌ ومأثورة. انظر ص ٣١٤ من هذا الكتاب.

عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

* وها هو ثالث الخلفاء ذو النورين، **عثمانُ بنُ عفان**، يدخل عليه رجل قد نظر إلى امرأة نظرة خيانة **فقال عثمان** رَضِيَ ٱللَّه تعَالَى عَنْه:

* أيأتي أحدُكم إلينا وفي عينيه آثارُ الزنى؟

فوقف الرجل مدهوشاً مبهوتاً قائلاً:

* أوَحيٌ بعدَ رسولِ الله؟

فقال عثمان: لا، ولكن... !

اتّقوا فِراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

شَيْخِي أَبُو ٱلنَّصْرِ خَلَفٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

* وقد وقع لي وأنا العبدُ الضعيف مع شيخي أبي النصر خلف الحمصي، ـ **رحمَهُ الله تعَالىٰ** ـ وقدّس روحَه!!

* كنتُ عنده في حمص، جالساً إلى جانبه في زاويته، فخطر لي في قلبي أنَّ الشيخ طلابُه كثيرون، ومحبُّوه أكثر، فأين أنا من هذا العدد الكبير؟

لو غبت عنه فهل أمرُّ على ذاكرته يا ترىٰ؟

* وكنتُ مستصحباً معي مِنْشَفَة جديدةً، **فقلْتُ** في نفسي:

سأبقي هذه المنشفة في زاوية الشيخ، فكلما رآها تذكَّرني فكنتُ سعيداً بهذه الذكرىٰ!!

وهذا خاطر قد جال في خلدي، وعزمتُ علىٰ تنفيذه... !

* فالتفتَ إليَّ الشيخ حالاً وقال لي بعبارة واضحة جليّة:

أنا أذكرك بدون شيء... !

* وله من هذه المكاشفات الشيءُ الكثير فرضي الله تعالىٰ عن أوليائه ونفعنا بهم وحشرنا معهم وفي زمرتهم... فالإيمانُ بهم ولايةٌ صغرىٰ... ! فافهم... هذا.

كَرامَةٌ لِصَاحِبِ ٱلْمُهَذَّبِ

* وسمعت سيدَنا الشيخَ كمالَ الدين سلَّار حفظهُ اللهُ تعالى يحكي عن بعض الفقهاء: أنّه وضعَ المهذّبَ تحت رأسه ونام فاحتلم في منامه، ورأى الشيخَ أبا إسحاق مصنِّفَ المهذبِ في المنام فدفعه برجله، **وقال له**:

* أُقعد أما يكفيك أنك وضعت المهذَّبَ تحتَ رأسك ثم صرتَ جُنباً. **أو كما قال**.

الشَّرحُ وَالتَّعلِيقُ

سلَّار:

هو سلَّار بنُ الحسن بن عُمر بنِ سعيد، الشيخ كمال الدِّين أبو الفضائل الإربلي مفتي الشام ومفيده!

* الشافعي شيخ الأَصحاب، ومفيد الطلاب، تفقه على ابن الصلاح، وانتفع منه خلق كثير منهم النووي. . . !

* وقد اختصر البحرَ للروياني تلميذُ الشيخ تقيّ الدِّين بنِ الصلاح، وشيخِ الإمام النووي. . . !

قال الإمام النووي ــ رحمهُ الله تعالى ــ:

* هو شيخنا المجمعُ على إمامته، وجلالته، وتقدمِهِ في علم المذهب على أهل عصره بهذه النواحي. . . !

وقال ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ :

* هو إمامُ المذهب في عصره، والرجوعُ إليه في حلِّ مشكلاته، وتَعرُّفِ خفيَّاته، والمتَّفق على إمامته، وجلالته، ونزاهته!

* تفقَّه علىٰ جماعة منهم: الإمام أبو بكر الماهاني!!

* وكان البادرائيّ قد جعله معيداً بمدرسته، فلم يزل على ذلك إلى أن مات، ولم يُرِدْ منصباً آخر!!

* [والبادرائي هو: عبد الله بن أبي الوفاء محمدِ بنِ الحسن، واقفِ المدرسة البادرائية. . .!

* والمدرسة المذكورة تقع في محلة العمارة الجوانية في دمشق الشام].

قال الشريف عزّ الدِّين:

* وكان عليه مدار الفتوى بالشام في وقته، ولم يترك بعدَه في بلاد الشام مثلَه، توفِّي في جمادى الآخرةِ سنةَ سبعين وستمائة عن بضعٍ وستين سنة. . .

مصادر الترجمة:

* طبقاتُ الشافعية للإسنوي: ٢/ ٦٩، البداية والنهاية: ١٣/ ٢٦٢، شذرات الذهب: ٥/ ٣٣١.

وكتاب المهذب:

أي المُنَقَّىٰ من الخطأ. والتهذيب: كالتنقية!!

ورجل مهذب، أي مُطَهّرُ الأَخلاقِ، نقيٌّ من العيوب.

قال النابغة:

وَلَسْتَ بِمستَبقٍ أَخًا لا تَلُمهُ
على شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ ؟

معناه :

* أي الرجال الذي هو طاهرٌ نقيٌّ لا عيبَ فيه فإنك لا تجده ولا سيّما في مثل هذه الأيام. . . !

وكتاب المهذب:

* هو للإمام الزاهدِ الموفَّقِ أبـي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ علي بن يوسفَ الفيروزآبادي الشيرازي. . . !

* كتابٌ عظيم قد جمع مؤلفه: العبادات والمعاملات بمجلدين على مذهب الإمام الشافعي. . . !

* فأكثرَ فيهما من المسائل المفيدة والأحكام المنيفة!

فهو مرجع من مراجع كتب الشافعية المتفق على فضله. . . !

* وقد علق على كتاب المهذب وشرحه شرحاً لطيفاً العلامة محمد بن أحمد بن بطال الركبـي ـ رحمَهُ اللهُ تعَالىٰ ـ الذي هو من أفذاذ العلماء. . . !

اهـ كتبه محمد

* * *

كَرَامَةٌ فِي تَكْثِيرِ القَلِيلِ

* سمعت شيخَنا وسيدَنا الإمامَ الفاضلَ، والعلامةَ البارع عز الدين، أبا جعفرٍ عمرَ بنَ أسعدَ بن أبي غالب الإِيلي المفتي الشافعي ـ رحمَهُ الله ـ يومَ الثاني من شعبان سنةَ تسعٍ وخمسين وستمائة، بالمدرسة الرواحية بدمشق حماها الله وصانها وسائرَ بلادِ الإِسلام وأهلَها آمين. . . !

يقول: قال بعض الفقهاء:

* كتب الشّيخُ كتابَ نهايةِ المطلب، وكان لي عادةٌ أن أكتب في الليل أوراقاً معلومةً، فكنتُ ليلةً أكتبُ، فنظرتُ إلى السراج فوجدتُ زيته قليلاً لا يكفيني لتمام الوظيفة!!

قال:

* واشتغلتُ بالكتابة، وذهلت عنها، فما ذكرتُ ذلك حتى كتبتُ الوظيفةَ بتمامها!!

* فعدَدتُ الأَوراقَ، فلما فرغتُ من عدِّها وذكرتُ دعائي، فنظرت إلى السراج فانطفأ مع نظري إليه، **أوكما قال:**

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

أقول:

كلُّ كرامةٍ لوليٍّ معجزةٌ لنبي. انظر ص ٣٠٨ حديثَ أنسٍ ـ رضِيَ اللَّه تعَالىٰ عنهُ ـ، ونبع الماء من كَفِّهِ عَلَيْه الصَّلاة وَالسَّلام ص ٣٣٤ في الحاشية، وأمثالُ هذه كثيرةٌ جداً أكثر من أنْ تُحصىٰ من تكثير القليل. . . وهكذا!

نجم الدين عيسى الكردي

* توفي ـ رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ـ الشيخ الفقيه نجم الدِّين عيسى الكردي الشافعي سنةَ ستٍّ وخمسين وستمائة، وأظنه في شعبان!

* كان فقيهاً بالمدرسة الرواحية صانها الله تعالى بمدينة دمشق حماها الله تعالى !!

وصرف عنها كلَّ قاصد لها بسوء، وأدامها دارَ الإسلام أبداً وسائرَ بلاد الإسلام وأهلِها. . . !

* فرأيته في المنام بعدَ موته بأيام بعد ليلة الجمعة، وعرفتُ أنه قد مات فسلَّمت عليه **وقلت له:** أحييتَ يا نجمَ الدِّين وجئتَ؟؟

وقلت له:

* لقد قال الغزالي في كتاب الموت من كتاب إحياء علوم الدين:

* إنَّ الموت أمر عظيمٌ، ولم يأتنا أحدٌ بعد الموت يخبرنا عن حقيقته!

* ولا يعرف حقيقته إلاَّ من ذاقه، ثم **قلتُ:** أخبرنا عن حقيقة الموت!

فقال: هو وإن كان صعباً لكنه لحظةٌ يسيرةٌ، ثم تنقضي. . . !

قلتُ: فما حالُك بعدَه؟

فقال: هناك يعني عندَ الله تعالىٰ خيرٌ كثير . . . !

كأنه يُشير إلىٰ أن حالته حسنةٌ بفضل الله تعالىٰ أو كما رأيت.

* * *

شَمْسُ ٱلدِّينِ مُحَمَّدُ ٱلنَّوَوِيُّ

* ومات في هذه السنة الفقيهُ شمسُ الدين محمدٌ النووي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ . . . !

* وعليه قرأت الختمةَ الشريفة فرأيتُه في المنام ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ـ بعد موته فعرفت أنه ميتٌ **فقلْتُ**:

* ما حالُك يا شمس الدين أنت في الجنة؟ **فقال**:

اليوم لا ندخل الجنَّة إلاَّ بعد قيام الساعة **فقلْتُ لَه**:

* صدقتَ، فإنه لا يدخل الجنة اليوم إلاَّ الأَنبياءُ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامه عَلَيْهِم والشهداء!!

* وأما غيرُهم فينعم في غيرها قبلَ مجيء الآخرة، ثم يدخلون الجنة بعدَ قيام الساعة كما جاءت الشريعة!!

* ثم **قلتُ له**: قد جاء أن الروح ترجع إلى البدن قبلَ مسألةِ منكرٍ ونكير، متىٰ رجوعُها إلى الجسد، بعدَ الوضع في القبر، أو قبله في حال حمل الميت في النعش؟

فقال:

* بعد الوضع في القبر، ـ رحمه الله ـ وإياي ووالدينا ومشايخَنا ومَنْ نفعنا من أصحابنا ومن أسأنا إليه وسائرَ المسلمين آمين. . . !

* سمعت صاحبنَا الشيخَ الإمامَ الزاهدَ الورعَ العارفَ شمس الدين يومَ الثلاثاء، الحادي والعشرين، من جمادى الأولىٰ، سنةَ إحدى وستين وستمائة، بالخانقاه الشميصاتية بدمشق **حماها الله تعالىٰ**

يقول:

* جرى من أيام يعني قليلةً كلامٌ بينَ شيخين إمامين من أصحابنا في شهود ما عيَّنهما لي، لا أوثر أنا ذكرَهما. . . !

قال:

* وجرىٰ بينهما مباحثةٌ في أن القرآن في المصاحف والصدور لا علىٰ سبيل الحلول، كما قاله أصحابُنا، وإن نفس الحبر المكتوب ليس هو الكلام القديم؛ بل دال عليه!!

* ثم إنهما طلبا الإرشاد من إمام الحرمين لينظرا ما ذُكِرَ فيه، فنظراه ثم انصرفنا. . . !

* فرأيت في تلك الليلة كأن بحراً في وَسْطِهِ شيء، وذلك الشيء هو مطلوب الناس!!

وجميعُ علماءِ المسلمين يُحيطون به، ينظرون إلى ذلك الشيء شاخصون إليه، لا يدرون ما هو ولا يُدركونه!!

قَال: ورأيت إمام الحرمين دخل بين الناس وشمر ثوبه، ودخل في ذلك البحر نحوَ خمسةَ عشرَ ذراعاً، ثم لم يقدر على مجاوزته!!

* فوقف هناك كما هو، وسائرُ العلماءِ كما هم يحيطون بالبحر، ناظرون إلىٰ ذلك الشيء!!

قَال: ووراء العلماء خلق كثير ممن كان يشتغل بعلوم الأَوائل أعني العلوم العقلية: كعلم الهيئة، وعلم المنطق وأُصول الدِّين!!

* ومن كان يشتغل بالخلاف ممن يُنسبون إلىٰ قلة الدين، وتركِ الصلاة، وسوء الاعتقادِ وهم مَنْ أعرِفهم!

* فرأيتُهم كلَّهم وراء الناس، وهناك كلاب تبول علىٰ جميعهم!

وعُيِّنَ لي منهم إنسانٌ، أعرفه أنا ممن كان فنه الخلاف!

* حُسِبَ ونُسِبَ إلى قلة الدين، لا أوثرُ أنا تعيينَه. . .!

قَال: رأيته سكرانَ أو كما قاله شمس الدين. . .!

* نسأل الله الكريم المنّان ذا العظمة والسلطان، والفضل والامتنان الرؤوف الرحمٰن، أن يُحسن العاقبةَ لنا، ولوالدينا، ومشايخنا، وأصحابنا ومن نحب، والمسلمين أجمعين آمين.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

قوله: بعد الوضع في القبر:

أي وبعد انصراف الناس عن قبره كما سمعتُ من بعض من أثق به من مشايخي، فتعود إليه الروحُ لسؤال الملائكة له، نسأله تعالى السدادَ والثبات. اهـ.

والخانقاه الشميصاتية:

* تقع هذه المدرسة قرب جامع الأَموي في الجانب الشمالي منه. . . !

هي مدرسة أثرية قديمة، كبيرة المساحة، واسعة الأَرجاء، كثيرة المرافىء والمنافع والغرف!!

* صالحة لأَن تكون أزهراً ثانياً، ولكن ويا للأَسف قد مر عليها زمن كانت في عداد الأَموات فأصبحت مغلقةً لا تزار إلاَّ في مناسبات كالمتاحف الأَثرية!!

* فكانت اليد الطولى في إخراجها من العدم للشيخ علي الدقر بإيحاء من شيخه الشيخ بدر الدين الحسني!!

* فانتزعت من الأَوقاف، وأدخل فيها الطلابُ، وتخرج منها العلماء: من قضاة، ومفاتي، وأئمة، وخطباء، فأثمرت بإذن ربها، وأينعت، وآتت أكلها!!

* ولم تزل الآن في يد الشيخ عبد الغني الدقر ابن المرحوم الشيخ علي، فهو قائم بمهمتها والإشراف عليها وسميت بمدرسة الغرّاء!!

* تضم ما يزيد على أربعمائة طالب كما ذكر لي الأَخ العزيز الشيخ محمد عوض، فاللهَ أسألُ أن يحفظها وسائر المعاهد الإسلامية من عَبث العابثين، وأيدي الملحدين، ومكر المكارين.

كتبه محمد

* * *

أَبُو يَعْقُوبِ الكَرَّامِيُّ

* وذكر السمعاني في الأَنساب أَنَّ أبا يعقوبَ إسحاقَ بنِ ممشاد الزاهد الكرَّامي كان حسنَ الوعظ، فأسلم على يده خمسةُ آلاف رجلٍ، وامرأةٌ من أهل الكبائر والمجوس. اهـ.

* * *

عَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنُ مَيْسَرْ

* وروينا عن الإمام أبـي بكر الأَنباري **قال**: سمعتُ أحمدَ بنَ يحيـى يعني أبا العباس **يقول**:

* **سمعنا من القواريريّ مائةَ ألفِ حديثٍ.**

يعني بالقواريري عبدَ الله ابنَ عمرَ بنِ ميسر، أبا سعيد الحشمي، مولاهم البصري ثم البغدادي.

* * *

مَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ

* ورأيت بخط الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعليقاً في مواضعَ متفرقةٍ سمعتُ شيخَنا القاضيَ الإمامَ مجموعَ أنواع الحسنةِ، بقيةُ الشيوخ والعلماء، بدرُ الدين أبا عبدِ الله محمدَ بنَ إبراهيمَ بنِ خلكان، الإربلي الشافعي ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ يـومَ الأَربعاء، السادسَ عشـرَ مـن رجب، سنة ستين وستمائة **يقول**:

* رأيت امرأة ـ يظنها قال صالحة ومعناه ـ حفظتِ القرآنَ العزيز كلَّه في سبعين يوماً.

* * *

كمال الدين سلّار

* سمعت شيخنَا قاضيَ الإسلام كمالَ الدين سلَّار ـ رضي الله تعالى عنه ـ **يقول:**

حفظتُ «التّنبيه» في أربعة أشهر.

الشّرح والتّعليق

«التّنبيه»:

هو في الفقه في فروع الشافعية...!

للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسفَ الشيرازي ت ٤٧٦هـ.

وهو أحد الكتب الخمسةِ المشهورةِ، المتداوَلَةِ بين الشافعية وأكثرها تداولاً، لما مدح به النووي في تهذيبه!!

أخذه من تعليقة الشيخ أبي حامد المروزي.

فرغ من تصنيفه سنة ٤٥٣هـ.

ولبعضهم في مدحه:

يـا كَـوْكَبـاً مَـلأَ البصَـائـرَ نـورُهُ
مَنْ ذا الـذي لـكَ فـي الأنـامِ شَبيهـاً
كـانَـتْ خَـواطِـرُنـا نِيـامـاً بُـرْهـةً
فَـرُزِقْنـا مِـن تَنْبِيهِـهِ تنبيهـاً

وله شروح كثيرة، وللنووي: تصحيح التنبيه، ويسمى: العمدةَ في تصحيح التنبيه. ولعزّ الدِّين بنِ جماعة مقصد النبيه في شرحِ خطبة التنبيه. طبع الميمنية ١٣٢٩هـ في ١٦٠ ص، وبعالم الكتب ببيروت مؤخراً.

معجم المطبوعات العربية: ٢/ ١١٧١ ــ ١١٧٢.

وشرح التنبيه للشيرازي اسمه: «غنية الفقيه».

المؤلف: شرف الدين أحمد بن موسى بن يونس أبو الفضل الإربلي ت ٦٢٢هـ مخطوط في الظاهرية بدمشق.

المصدر: الإعلام للزركلي: ١/ ٢٦١.

* * *

تآليفُ الإمامِ الغزاليّ

سمعت شيخَنا البتليسي حفظه اللّٰهُ مراتٍ **يقول :**

* أُحصيت كتب الغزالي ـ رَحِمَهُ اللَّه تَعالىٰ ـ التي صنفها ووزعت على عمره . . . !

* فخصت كلَّ يوم أربعَ كراريس . . . !

وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء .

الشَرحُ وَالتَعليقُ

أُقول :

* هذه كرامة للإمام الغزالي وهي تعتبر من طي الزمان . . . !

فإنَّ الله تعالى يبارك في الزمن القليل مع الإنتاج الكثير . . . !

وهو أكبر محققٍ ومربٍ في علم النفس!!

* * *

تَصَانِيفُ الشَّافِعِيِّ وَالأُشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

قلتُ:

ومن المشهورين بكثرة التصنيف:

* ١ ــ إمامنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. . . !

* ٢ ــ والإمام أبو الحسن الأشعري. . .

ــ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنهُمَا ــ. . . !

* ٣ ــ وقد عدد الإمام أبو بكر البيهقي ــ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ــ مصنفات الشافعي. . . !

* وعدَّد الإمامُ حافظُ الشام؛ بل حافظ الدنيا أبو القاسم المعروف بابن عساكر ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ في كتابه تبيينَ كذب المُفْتَرِي فيما نُسِبَ إلى الإمام أبي الحسن الأَشعري، تصانيفَ[1] الأَشعري أنها نحوُ ثلاثمائة تصنيف. اهـ.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

الإمام الشافعي:

* هو الإمام العظيم، عالِم العصر، ناصرُ الحديث، فقيهُ الملَّة، محمدُ بنُ إدريسَ بنِ العباس القرشي المُطّلبي الشافعي المكّي!!

ولد بغزة سنة ١٥٠، ومات أبوه إدريسُ شاباً!!

---

(١) تصانيف مفعول به لعدَّدَ.

* فنشأ محمد يتيماً في حِجر أُمّه فتحوّلت به إلى مكة وهو ابنُ عامين فنشأ بها. . .

وأقبل على الرمي حتَّى فاق فيه الأَقران!!

* ثم أقبل على العربية والشعر فبرع في ذلك!!

ثم حُبِّبَ إليه الفقه فساد أهلَ زمانه!!

* أخذ العلمَ بمكة عن مسلم بن خالد الزَّنجي مفتي مكة، وسفيانَ بنِ عيينة وفضيلَ بنِ عياض. . . !

* وارتحل وهو ابن نيّف وعشرين سنة إلى المدينة فحمل عن مالك «الموطأ» عَرَضه من حِفْظه. . . !

* وسافر إلى اليمن وبغداد ومصر، وصنّف التصانيفَ، ودوّن العلم، وصنف في أصول الفقه وفروعه، توفي سنة ٢٠٤.

مصادر الترجمة:

* التاريخ الكبير للبخاري: ١/ ٤٢، حلية الأَولياء: ٩/ ٦٣، مناقب الشافعي للبيهقي.

وأبو الحسن الأشعري:

* هو علي بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بشر واسمُه: إسحاق بنُ سالم بنِ إسماعيلَ بنِ عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبي بردة ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأَشعري عبد الله بن قيس!!

* ولد الشيخ أبو الحسن سنةَ ستين ومائتين، وكان أولاً أخذ عن أبي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال!!

* ثم ترك هذا المذهب على إثر رؤية رأى فيها رسولَ الله ﷺ. . . !

* وهو بصري من قوم أبي موسى وأولاده من الذين أوتوا العلم، ورزقوا الفهم.

انظر: طبقات الشافعية: ٢/ ٢٤٥.

مَا نَقَلَهُ شَيْخُ المُؤَلِّف

* سمعت شيخَنا وسيدَنا الإمامَ الجليلَ، والسيدَ النبيلَ، الحافظَ المحقق، والمقتبسَ المدقق، الضابطَ المتقن، والمشفقَ المحسن، الورِعَ الزاهد، والمجتهد العابد:

* بقيةَ الحفاظِ المفتي شيخَ الأَئمة والمحدثين، ضياءَ الدين أبا إسحاق، **إبراهيمَ بنَ عيسى المرادي يقول** في يوم الأَربعاء السابع من شوال ثمانٍ وخمسينَ وستمائة بالمدرسة البادرائية بدمشق، حَمَاهَا اللهُ وصَانَهَا.

قَال:

* سمعت الشيخَ عبدَ العظيم ــ رَحِمَهُ اللهُ ــ **يقول:**

* كتبت بيدي تسعينَ مجلدةً، وكتبتُ سبعمائة جُزءٍ كلُّ ذلك من علوم الحديث:

* تصنيفٍ وغيره.

وكتب ذلك من مصنفاته وغيرِها أشياء كثيرةً. . .

قال شيخُنا:

* ولم أر ولم أسمع أحداً أكثرَ اجتهاداً منه في الاشتغال: كان دائمَ الاشتغالَ في الليل والنهار. . . !

قَال:

* وجاورتُهُ في المدرسة يعني بالقاهرة ـ حماها الله ـ بيتي فوقَ بيته اثنتي عشر سنةً!!

* فلم أستيقظْ في ليلةٍ من الليالي ساعةً مِنْ ساعاتِ الليلِ إلاَّ وجدتُ ضَوْءَ السراج في بيته وهو مشتغل بالعلم...

* وحتى كان في حال الأَكل، والكتابُ والكتبُ عنده يشتغل فيها!!

* وذكر من تحقيقه، وشدّةِ بحثه، وتفننه ما أعجزُ عن التعبير عنه...!

قَال:

* وكان لا يخرج من المدرسة لا لعزاء ولا لهناء، ولا لفرجة ولا لغير ذلك إلاَّ لصلاة الجمعة؛ بل يستغرق كلَّ الأَوقات في العلم ـ رضي الله تعالى عنه وعنه والدينا والمسلمين ـ ....؟

* سمعت شيخَنا ضياءَ الدِّين ـ رضي الله تعالى عَنْه ـ **يقول:** كتبت صحيح البخاري في ست مجلداتٍ بقلم واحد، ولكن كنت أبريه، وكتبت بذلك القلم أشياء بعد البخاري وذلك بمدينة القاهرة حماها الله تعالى[(1)].

* قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: بريت القلمَ أبريه برياً.

* * *

(1) هذه أمور كادت ألا تُصدقَ لولا تواترُ النقل، فرضي الله عن الجميع ورزقنا حسن التوفيق. فالاعتقادُ بما نقل عن هؤلاء السادة البهاليل ولايةٌ صغرى...!

أَبُوبَكْرٍ الْكِتَّانِيُّ

قال أبو سعيد السمعاني في كتاب الأَنساب:

* ختم الشيخُ أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني في الطواف اثني عشر ألفَ ختمة.

ومات سنة اثنين وعشرين وثلثمائة.

الشَّرْحُ وَالتَّعْلِيقُ

أُبو بَكْر الكِتَّاني :

هو محمد بن علي بن جعفر البغدادي القُدوة العارف . . . !

* شيخ الصوفية!!

وكان من الأولياء . . . !

* حَكَىٰ عن أبي سعيد الخراز، وإبراهيم الخوّاص، وعنه جعفر الخُلْدِي وآخرون.

مات مجاوراً بمكة سنة **٣٢٢هـ**.

مصادر الترجمة:

* حليةُ الأَولياء: ١٠/ ٣٥٧، تاريخ بغداد: ٣/ ٧٤، صفة الصفوة: ٢/ ٢٥٧، سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٥٣٣.

والكتاني:

* بفتح الكاف وبالمثناة الفوقية، نسبة إلى الكتان وعملِه!!

* بَغداديُّ الأَصلِ، صَحِبَ الجنيد والخراز. . . !

وجاور بمكة إلى أن مات.

* نظر الكتاني ــ رحمهُ اللّه ــ إلى شيخٍ أبيضَ الرأس واللحيةِ يسأل الناس،

فقال:

* هذا رجل أضاع حقَّ الله في صغره فضيعه الله في كبره. . . !

أي لو تعود في صغره القناعةَ باليسير، وتخلق بالورع والتوكل لم يُحوجه الله آخرَ عمره إلى سؤال الناس. . . !

وَقال ــ رحمهُ الله تعَالىٰ ــ:

* الشهوةُ لبني آدم زِمامُ الشيطان، أي يجرهم بها إلى المعاصي، فمن أخذ الشيطان بزمامه، بأن تمكن منه لشدة محبته لشهواته كان عبدَه، فيكون من أصحاب السعير. . . !

وَقال ــ رحمهُ الله تعَالىٰ ــ:

* رأيت المصطفى ﷺ في النوم، **فقلتُ:**

ادع الله تعالى أن لا يميتَ قلبي!

فقال:

* قُلْ كلَّ يوم ألفَ مرة: يا حي يا قيوم لا إلـه إلاَّ أنت. . . !

وَقال ــ رحمهُ الله تعَالىٰ ــ:

* رأيتُ حوراء، **فقلتُ:** لمن أنت؟

قالت:

* لمن حبس نفسه عن مألوفها.

وَقال ــ رحمهُ الله تعَالىٰ ــ:

* ١ ــ الأنسُ بمخلوقٍ عقوبةٌ!

* ٢ ـ والقربُ من الدنيا وأهلِها معصيةٌ!
* ٣ ـ والركونُ إليهم مَذَلةٌ!

وَقال ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ :

مَنْ أصبحَ وعنده همَّانِ:

* ١ ـ همُّ المعصيةِ. . .

* ٢ ـ وهمّ جَمْعِ المال. . .

فاللّٰهُ منه بريء. . .

وَقال ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ :

كان في رأسي وجع، فرأيت المصطفىٰ ﷺ **فقال :**

اكتب هذا الدعاء:

* «اللّٰهُمَّ بثبوت الربوبيّة، وبعظيم الصمديّة، وبسطوات الإلٰهيّة، وبقدَم الجبروتيّة، وبقدرة الوحدانيّة».

* فكتبته وجعلته علىٰ رأسي. . .

فسكن حالاً. . .

* * *

عِزُّ الدِّينِ الإِرْبِلِيُّ

* سمعتُ شيخي وسيدي الإمام العلامة، المفتي، المدقق، المتقن مجموعُ أنواعِ المحاسن:

* عز الدين أبا حفص عمرَ بنَ أسد بنِ أبي غالب الإربلي الشافعي، ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ـ مرات آخرُها يومَ الجمعة الرابع والعشرين من رجب، سنةَ تسعٍ وخمسين وستمائة **يقول:**

* كُلُّ عَامِلٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِطَاعَةٍ، فَهُوَ ذَاكِرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

ثم رأيت ذلك منقولاً في شرح السنَّة لأبي محمد البغوي منقولاً عن سعيد بن جبير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ.

* * *

* هذا آخر ما وجد ...!

* رضي الله تعالى عن مؤلفه ولي الله الشيخ محيي الدين النووي رَضِيَ اللَّهُ تعالىٰ عَنْهُ ـ وَعَنَّا وعنه والدينا، ومشايخنا وأصحابنا وجميع المسلمين، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، صلاة وسلامًا متلازمين إلى يوم الدين.

كَرِّرْ عليَّ حديثَهم ياحادي

فحديثهم يجلُو الفُؤادَ الصَّادِي

تمّ الكتاب

بعون الله تعالى وتوفيقه

الشَّرحُ والتَّعليقُ

عز الدين الإربليّ:

* هو أبو حفص عمرُ بن أسعد بن أبي غالب الربعي الإرْبلي الإمام المتقن!!

مصادر الترجمة:

* تهذيبُ الأسماء واللغات: ١/١٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/٣٠٨.

قوله: كل عامل لله... إلخ:

أقول:

* فالتاجرُ، والعاملُ، والصانعُ، والحائك، والمزارع، والمهندس، والطبيب، والعالم، والمتعلم!.

* وكلُ صاحبِ مهنةٍ أو ربّ عمل، إذا أخلص كلٌ فيما هو فيه، ونوى في قلبه نفعَ المسلمين وإيصالَ المعروف والخيرِ إلى الناس!

* فهو ذاكر لله تعالىٰ حاضر معه! **فالذكر إذاً على نوعين:**

١ ــ الأوّل:

* ذِكْرٌ خاصٌ، وهو أن يلتزم الذاكر ذكراً معيناً: من قراءة قرآن، أو تلاوة

حديث، أو سرد **دعاء** أو ترديد اسم من أسمائه **تعالىٰ**، **فيُكثر** من ذلك حتى ينجلي **قلبُه**، ويطهرَ سره وتقرَّ **عينه**، وينطبعَ حبُّ المذكور في **مشاعره**!

* فيشهد عند ذلك فناء مَنْ سواه، وأنه **الباقي** بعد زوال خلقه الحي الدائم.

٢ ـ والثاني:

* ذكرٌ عام وهو التزام كلِّ صاحبِ حرفة حرفتَه متقناً لها وناصحاً، مخلصاً وصادقاً، داعياً إلى الله بحاله قبلَ قاله، حتى يكونَ قدوةً صالحة في مجتمعه، ومثالاً حسناً بينَ أقرانه؛ لأن الإخلاص رائده، والصدق قائده. . .

* ففائدته تكون أعمّ ونفعه أشمل:

* إذا مات فذكره باقٍ، وأثره خالد، ومعروفه مسجل بقلم من نور على صفحات القلوب!

* يُتَرحم عليه بعدَ رمسه، والخيرُ يجري في صحيفته وهو في مرقده. اهـ.

* * *

كلمة الختام

معروف وإحسان

* لَقَدْ أَكْرَمَنِي اللَّهُ تعالىٰ حِينَ مُباشَرَتي لِخِدْمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيم لِلْطَبْعَةِ الثَّالِثَةِ بأخٍ صَادِقٍ، وَمُحِبٍّ مُخْلِصٍ، فَكَانَتْ لَهُ اليَدُ الْبَيْضاءُ في اسْتِخْرَاجِ تَرَاجِم بَعْضِ الرِّجَالِ مِمَنْ ذَكَرَهُم الْمُصَنِّفُ ـ رحمهُ الله تعالىٰ ـ ولم يُعْرف عنهم شيء وَهُوَ: الدّكتُور يُوسُف عَبْد الرحمٰنِ المَرْعَشلي، جزَاهُ اللَّهُ تَعالىٰ خَيْرَ الْجزاءِ، لأَنَّهُ قَدْ بَذَلَ جُهْداً كبيراً، وَفرَّغَ وَقْتاً طَوِيلاً، فَكَانَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ، مُحْتَسِبَ الأَجْرِ، مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ، حَيْثُ نَالَ شَرَفَ الْخِدْمَةِ لِكِتَابِ بُسْتَانِ الْعَارِفِينَ. . . !

* وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعالىٰ أَنْ يعُمَّ بِهَذا الكِتابِ النَّفْعَ، وَيَفْتَحَ بِفَوائِدِهِ السَّمْعَ، وَيُصْلِحَ بِإِرْشاداتِهِ الْقَلْبَ، وَيَمْنَحنا الإِخلاصَ في الأَعْمالِ، وأَنْ يمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الخِتامِ، ويَحْشُرَنا وأَحبابَنا في زُمْرَةِ الْمُعَلِّمينَ، مَعَ إِمامِ المرْشِدينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

نزيل المدينة المنورة

محمد محمود الحجار

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أحسن ما قيل في وصف الدنيا	٢٤
بيان ما اشتمل عليه هذا الكتاب	٢٦

باب في الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والباطنة

الأحاديث التي عليها مدار الإسلام

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الإخلاص وأقوال الأئمة فيه

فصل فيه مواعظ لبعض العلماء والعارفين

الموضوع	الصفحة

باب في نفائس مأثورة

الموضوع	الصفحة

آثار الاستهزاء مع ذكر قصص لها

باقة من أقوال العلماء

الموضوع	الصفحة

كرامات الأولياء ومواهبهم

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

باب في حكايات مستطرفة

الموضوع	الصفحة

• • •